

إن أريد إلا الإصلاح

٧

ما استطعت

تأليف الشيخ

جمهورية مصر العربية

الإمام محمد بن عبد الوهاب

الشيخ بابا ناصر

حياته وآثاره

إعداد وتقديم الدكتور

مصطفى بن بشار

1225

نشر جمعية التراث

القرية - غرداية - الجزائر

الشيخ حمون عمر فخار

الشيخ

إبراهيم بن بابا بوعروة (بابا ثامر)

شاهد على عصره

إعداد وتقديم وتخرج

د. مصطفى صالح باجو

نشر جمعية التراث

القرارة. غرداية. الجزائر

طبع: المطبعة العربية 11 نهج طالبي أحمد غرداية

المقدمة

يمثل تاريخ الرواد والمجددين في مسار الأمم والمجتمعات منعرجا حاسما في مسارها، ومعلما بارزا لوعي الأجيال بذاتها، وتحسينها لمبادئها، وحفاظها على ذاكرتها من المسخ؛ ولشخصيتها من الانسلاخ. في هذه المذكرات تجمعنا مواقف شتى ومحطات توزعتها الأيام، وصبغتها بلونها الأحداث الجسام، وجمعتها وحدة الأهداف ونبل المرام. تجسدت في مسيرة واحد من صنّاع تاريخ الجزائر الحديثة، ممن أسهموا بجهد مشكور في نهضة الأمة من كبوتها، والأخذ بيدها إلى طريق النور، وانتشالها من براثن الجهل والتخلف والاستعمار، فانطلقت تبني لها غدا مشرقا في عالم الأحرار، لاسترداد مجد تليد، وإعلاء صرح مشيد، مرددة مع الشاعر قوله السديد:

نبي كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا

ذلكم هو الشيخ إبراهيم بن بابا بوعروة، الشهير في بلده وبين معارفه بميزاب باسم "الشيخ بابا ثامر"، جندي أخلص لله دينه، ونقد وطنه وأمته نفيس العمر وجليل التضحيات، وإن أبي إجحاف الأيام إلا أن يسدل الستار على جهوده وجهاده، فلم يحظ بالاطلاع على تلك الصفحات الناصعات، إلا ثلة من رفاق الدرب وتلاميذ الشيخ.

وكما عودنا شيخنا الفاضل حمو بن عمر فخار، وعهدنا منه في عديد المرات، أن يسرنا بما اكتنزه من هذه النفائس، وينفحنا بسخي الهدايا تنبيهها للأبناء الغافلين، وإنصافا للآباء الراحلين، فقد جاءت هذه



حقوق الطبع محفوظة

طبع: المطبعة العربية 11 نهج طالبني أحمد غرداية
الهاتف / فاكس : (029) 88. 36. 53
المنطقة الصناعية : (029) 87. 34. 34
Imprimerie.El-Arabia@caramail.com

الايحاي القانوني، رقمه/2602/2003

د. ط. م. ك. رقمه/6/19/787/9961/I.S.B.N

الوثائق التاريخية تكشف عن مكنون هذا المجاهد المغمور، العامل في هدوء منقطع النظير، الشيخ بابا ثامر، عليه سحائب الرحمة إلى يوم النشور.

هي مذكرات عن حياته خطتها يمينه، ونفحات من سيرته أمتع بها من رام التعرف على صفحات هذا الجهاد، في لقاء مطول أداره الشيخ حمو فخار وحفظه الشريط المسجل بالصوت والصورة. وحرصنا على استقصاء ما ورد في هذين المصدرين، المكتوب والمسجل من حقائق تاريخ هذا المجاهد. وإن كان اعتمادنا أساساً على الوثائق المكتوبة حفاظاً على الصياغة والأسلوب.

ومسيرة الشيخ حافلة بالأحداث والمحطات، لذلك اجتهدنا بإضافة عناوين فرعية توضيحية، لفتاً للقارئ إلى أهم المنعرجات والمراحل التي قطعها الشيخ في مسيرته المباركة. حتى أسدل الستار عليها في جنازة مهيبة استوقفت الشيخ حمو فخار، فقام بين المشيعين خطيباً يستجلي العظات، ويذكر بالمآثر والباقيات الصالحات.

ومن جهاد الفرد الراحل، ننتقل إلى ملف حافل، يخلد أمجاد آبائنا الأوائل، إذ عرجنا إلى صفحات من تاريخ مشايخ غرداية وأفاضلها، ثم إلى ترجمة مؤسس حلقة العزابة الشيخ محمد بن بكر الفرسطائي، أعقبها عرض واف لسفر الجهاد المقدس للميزابيين في ظل الحركة الوطنية، ودورهم المحوري في الثورة التحريرية، وكان ذلك من أنفس ما خطت يمين الشيخ بابا ثامر، تتبعاً للأحداث، واستجلاءً للدوافع والأسباب، وعناية فائقة بتواريخ الوقائع، وتحديداتها بالسنة والشهر واليوم، ومقابلة التاريخ المجري بنظيره الميلادي في صورة لم نعهد لها مثيلاً في من رصدوا تاريخنا القديم. ولعل لمهنة الشيخ في القضاء وتوثيق العقود أثراً في بروز هذا الاهتمام البالغ بالدقة والمقابلة بين التواريخ.

وضمن وثائقه المحفوظة أجوبة عن مسائل اجتماعية وتاريخية شتى، ومراسلات مع معاصريه من الأنداد والأبناء والآباء، أثبتنا ما وقع بأدينا منها في ملف المراسلات.

كما عرضنا لعينات من خطبه وكلماته ألقاها وهو يرعى مسيرة الجيل ويسدد خطى النشء في مضمار نهضة التعليم، يقي فلذات كبده العثرات، ويحثهم على اقتحام العقبات؛ لبلوغ عليا المراتب والدرجات، لمن رام فوزاً في الحياة وسعادة بعد الممات.

ويلحّ الشيخ على النشء أن يهتموا بالمطالعة الجادة في شتى صنوف المعرفة النافعة، توسيعاً للمدارك، وفقها للواقع والحياة، وذلك شرط ضروري لمن رام تطوير أمته وريادة مجتمعه. وقد جسد الشيخ ذلك بسلوكه وسيرته، قبل أقواله وخطبه.

وكم كان في خطبه حريصاً على قضايا جوهرية في مسيرة الأمة الحضارية، فظل يدعو إلى تعلم اللغات الحية، وترجمة كتب التراث إليها للتعريف بتاريخنا وكنوزنا. ويحثّ المفكرين على تأليف كتب الجيب لنشر الثقافة على الجميع.

ولا داعي للاستغراب من تكرار بعض الأحداث في هذه المذكرات والمقالات، فالشيخ كان يكتب في مناسبات شتى، ولطبقات متفاوتة، بين مستمع ومراسل وسائل، ولم يكن يخطط لتصنيف مؤلفات للدارسين والباحثين، بل جعلها سبيلاً لنشر الثقافة وبث الوعي في الجماهير بمختلف الوسائل.

لذلك تعمدنا تركها حفاظاً على أمانة التاريخ للأجيال، كما أن تكرارها يؤكدها، ويوضح بعض مجملاتها، مما طوته زوايا الأيام.

وعملنا الأساسي في هذا الكتاب تنسيق هذه الوثائق وفق المحاور المشار إليها، ووضع هوامش توضيحية لبعض المصطلحات والتعريف

بأبرز الشخصيات، وتخرّيج الأحاديث والآيات.

وغاية هذا الجهد رد نزر من الجميل لمن طوّقوا بالمتن هذا الجليل، واحترقوا لينيروا له السبيل، غايتهم في ذلك رضوان الله، ولا شيء سواه، ففازوا بالحسنين، وآتاهم ربهم جنتين.

وأقصى الرجاء أن نحسن بهم الاقتداء، ونسدي لهم الدعاء، ونبني فوق ما فعلوا. وقل اعملوا...

د. مصطفى صالح باجو

غرداية، الجمعة جمادى الثانية 1424هـ

الموافق لـ 15 أوت 2003م



تمهيد

لعل الكثير ممن يقع في يده هذا المؤلف الزاخر بالحقائق التاريخية والمواقف الشجاعة يتعجب من نشرها كذكريات أو مذكرات لرجل بسيط لا يبدو على شخصيته ما يذاع عنه من مواقف، ولا يشتهر بها في حياته.

أي نعم، إنه تعجّب في محله عند من لا يعرفه، لكن الداعي في الواقع للنشر عن هذه الشخصية الفذة إنما كان لرفع الحجاب عنه لدى الجيل الحاضر، بما تحوي حياته من مآثر لو بقيت مطمورة لكان ذلك غبنًا للسابقين واللاحقين كليهما. فقديمًا قال من قال -وصدق في المقال:

إن اختفى ما في الزمان الآتي
فقسّ على الماضي من الأوقات
وإنما حرصت على إخراج هذا السفر الرائع عن الشيخ بوعروة إبراهيم رحمه الله، لأني عاشرته زمنا ليس بالقصير في الحضر والسفر، واستفدت دروسا قيّمة قلّما تتاح لأحد، رغم ما بيني وبينه من فارق العمر، والفضل في ذلك لتواضعه وصراحته مع من دونه مثلي، قصد أن أنسج على منواله، وألتحق بركابه، وكان لسان حاله يردد على مسامعي بسيرته وأسلوبه قول القائل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

سافرت إلى حاضرة قسنطينة للاستجمام حيث تجارة شقيقي محمد -وعمر صغير- فما وجدت متنفسًا في عطلي وأنا طالب بمعهد الحياة بالقرارة، أحسن ولا أروع من محل الشيخ إبراهيم بوعروة في شارع "لاكونكوردي" بقسنطينة، فهناك تعرفت على ما لا أحصيه من شخصيات رفيعة كالشيخ خير الدين من جمعية العلماء المسلمين،

وأضرابه من كبار التجار، والمعتزين بصداقة الشيخ بوعروة من المواطنين من كل الطبقات.

وباختصار، أسجل في هذا التقديم البسيط للشيخ بوعروة ما يلي؛ اعترافاً بجميله نحوي، وهو شخصية مرموقة لدى كل الأوساط بقسنطينة، وأنا تلميذ قصير الباع، وأنشودتي المحبة إليّ:

إذا كنتُ في القوم الطوالِ فضلتُهُمُ بعارفةٍ حتى يقال طویل

أسجل ثلاث مكارم أسداها إليّ تشجيعاً وتدريباً لي على خوض المعامع فيما يستقبلني في حياتي الطلابية الوشيكة الانتهاء، وفي حياتي العملية التي تنتظرني في مسقط رأسي، لدى عودتي إليه مدججاً بسلاح الشجاعة والإخلاص والوفاء.

أولها: أنه فتح لي غرفة مكتبته النادرة المثال، الحاوية لبدائع الكتب والمجلات الصادرة من البلاد العربية، ما حَبَّب إليّ المطالعة وأغرائني بالنسج على منوالها، وزهّدي في التوفه من الأشخاص والأخبار، وفي مؤلفات لا تسمن الطالب الراغب ولا تغنيه من جوع، ولا ترويه من ظمأ.

ثانيها: أنه قدمني في رمضان لإلقاء دروس ليلاليه بأكملها -بدار بن دالي- دون أن يشاركني فيها ولو ليلة واحدة، لا لكفائي يعلم الله، ولكن تدريباً وتشجيعاً.

ثالثها: كلفني بإلقاء درس العيد حيث جموع تجار الميزابين بقسنطينة، وأغلبهم من أعيانها، واكتفى بالاستماع مع الجمهور الحافل غير عابئ بما يعلق المعلقون.

وكان من أثر موقعي حينئذ أن وردت إليّ رسالة من أستاذي الشيخ بيوض من القرارة، تعليقاً على كلمتي في العيد، كلها إعجاب بموقعي وتشجيعاً على المضي في اغتنام الفرص المواتية، أو خلقها،

"وفرص الحياة خليقة أن تُخلقا".

والرسالة مثبتة بكتابي "كان حديثاً حسناً" عن مناقب القائد المرّبي الشيخ بيوض إبراهيم في الصفحات 78-80، بتاريخ 5 شوال 1365هـ -سبتمبر 1946.

وأخيراً، أضيف إلى ما تقدّم من مكارم، ما يلي لعظيم أهميته:

أولها: أنه أخذ بخاطري أن يهدي مكتبته برمتها لمكتبة جمعية الإصلاح بغرداية، وكلفني بنقلها، فكان ذلك من أروع إنجازاته. أسأل الله أن يتقبل ذلك منه وأن يشركني في الأجر، "والدالّ على الخير كفاعله".

ثانيها: أنه كان -رحمه الله- علاوة على ما كان يشغله من التدخل في تصفيات التركات في المحكمة وخارجها، كان شغوفاً بمطالعة تفسير القرآن الكريم، وقد بلغ من ولعه بذلك أنه -كما حدثني- أعاد مطالعة تفسير القرآن ثلاث مرات من ألمع المفسرين.

ثالثها: قد كوّن من بعض أدباء قسنطينة مجلساً للمداولة في الأدب الغض الرقيق، وكان لي الحظ أن ألحقي بهم أثناء عطلي بقسنطينة، لم أنقطع عن المشاركة حتى شغلني مهامي بغرداية، لكن أجز ذلك لا شك باقٍ عند ربنا ذي الفضل العظيم.

رابعها: وإن أنس لا أنسى رحلتي معه إلى الحج على طريق البرّ من فرنسا، وكان برفقتنا نحن الاثنين الأخ الوفي حواش عبد الرحمن بن عيسى، دامت مدة شهرين، وحوت من الذكريات النادرة ما يفيد ويهيج الخاطر. وكانت مليئة بالنوادر والمفاجآت القيمة.

ومما بقي عالقاً بذهني بيت القصيد من مقطوعة في ثمانية أبيات شعرية، نُقشت على حبة قمح لا تُقرأ إلا بمكبّرة، ختامها:

في حبة القمح أهديت المديح له إذ حبة القمح فاقت حبة الذهب

خامسا وأخيرا:

عندما تغلب عليه المرض وأحسّ بدنوّ أجله اغتنم فرصة عيادتي له
فسلّم إليّ جميع مذكراته التي كان شغوفاً بتدوينها عاكفاً على مراجعتها
وتنقيحها والمحافظة عليها، فاستخرت الله في إبرازها، نظراً لما حوته من
تاريخيات هامة رجاء أن يستفيد منها الجيل الحاضر، ومواقف مشرفة
تنير الطريق لمن رام خدمة الصالح العام ابتغاء رضوان الله.

وكلّ أمني من قرأها أن يسدي لمن وضعها فيضاً من الرحمت،
ويتلو إثر استعراضها ما علّمنا المولى جل وعلا إذ يقول: ربنا لا تؤاخذنا
إن نسينا أو أخطأنا" إلى قوله "واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين".

والحمد لله رب العالمين.

فخار حمو بن عمر

غرداية، الجمعة 10 جمادى الثانية 1424هـ

8 أوت 2003م.



الشيخ بوعروة في أطوار حياته

أحداث ومواقف . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله

مسيرة الشيخ بوعروة في أطوار حياته (1).

أسئلة الشيخ حمو فخار في الجلسة الأولى مع الأستاذ المرحوم

بوعروة بابه بن إبراهيم بدار آل باخة (2).

أستاذنا المحترم الشيخ بوعروة بابا بن إبراهيم، هؤلاء ثلّة من أبنائكم الروحيين من غرداية والقرارة، وإن تعذّر حضور البعض بسبب عائق السيول الجارية، وقد اجتمعوا اليوم، يوم الجمعة 6 جمادى الثانية 1406هـ / 7 مارس 1986م، للتعرف على جانب من جوانب تاريخ الأمة الميزابية في شخصكم النبيل، بوصفكم أحد مؤسسي الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب عموماً، وببلدة غرداية خصوصاً، منذ العشرينات، وبوصفكم نجل رجل من أعيان غرداية في عصره، عليه شآبيب الرحمات، له ضلع في توجيه الأحداث وخدمة الصالح العام. وحيث كنتُ أنا المتكلم -ابنكم البار- فخار حمو بن عمر- أكبر الحاضرين في هذا اللقاء سنّاً، وأكثرهم بكم اتصالاً ومعرفةً، أستأذنكم في تقديم عرض فيما نروم تلقّيه منكم في هذه الفرصة المواتية من أحداث التاريخ التي عشتموها في خدمة الأمة في مجالات العلم والسياسة

(1) - كتب الشيخ بوعروة ترجمة حياته بقلمه، ثم عقد ثلّة من المفكرين والمثقفين معه لقاءين للتعرف على جهاده العلمي والاجتماعي، في حلقتين متباعدتين. وبعد المقابلة بين ما كتبه وما سجل في شريط الفيديو كان التطابق غالباً في سرد الأحداث، فاكتمت بما كتبه مع إضافة عناوين فرعية عند الاقتضاء تكميلاً للفائدة. وتركت الأسئلة التي افتتح بها الشيخ حمو فخار اللقاء الأول معه، توضيحاً لجو اللقاء ومسار الحديث. (باجو).

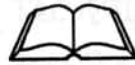
(2) - هذا تعليق ناسخ الموضوع من الشريط المسجل، الأستاذ بوشن سليمان.



المرحوم الشيخ بابا بن إبراهيم بوعروة 1409 / 1326 هـ - 1988 / 1908 م
مع مؤلف الكتاب الأستاذ فخار حمو بن عمر - حفظه الله - في رحلة إلى الحج 1967 م

1. لمحة عن كيفية تأسيس جمعية الإصلاح ومدرستها.
2. لمحة عن سير القضاء في فترة انتصابكم قاضيا بالنيابة في عمالة قسنطينة.
3. لمحة عن مجلس الضمّان في فترة تعيينكم وكيلا للعرش قبل إلغاء الحكم العسكري وبعده.
4. لمحة عن رحلاتكم، خاصة عن رحلتكم التي اتصلتم فيها بفقيه العروبة شكيب أرسلان.
5. لمحة عن الجماعات الميزابية بالتل وجمعياتها، وخاصة عن فترة رئاستكم لمدرسة الهدى بقسنطينة.
6. لمحة عن شركات الأمة العامة، خاصة في فترة نيابتكم في باريس عن شركة الجبس (ابلاتنا PLATNAT) مع زميلكم من آل يسجن، ثم فترة رئاستكم لشركة الحافلات المحلية بغرداية.
7. لمحة عن تجارة الميزابين بالتل، خاصة في فترة إدارتكم لمشروعكم التجاري الخاص بقسنطينة وسكيكدة.
8. لمحة عن حالة العامل الميزابي بالتل، خاصة في فترة عملكم تحت إشراف أخيكم الحاج عمر بوادي الزناتي.
9. لمحة عن أيام تلمذتكم بتونس وبعدها بمسقط رأسكم على المرحوم الشيخ همو بن باحمد، مع زملائكم الشيخ قريط أحمد وبغاغة الحاج عبد الله وبغاغة باحمد بن همو.
10. لمحة عن المناشير التي كنت تذيعها وتنظمها بالشعر الملحون من تأليفك، أيام احتدام الوطيس بين الإصلاح ومعارضيه.
11. لمحة عن تفوقك الذهني، وكيف استوليت على ناصية اللغتين؟

12. لمحة عن اتصالكم بأعيان الأمة وأقطاب الجزائر كالشيخ ابن باديس وفرحات عباس، وابن جلّول، والأخضري، والشيخ بيوض، والشيخ أبي اليقظان. ومن شاكلهم...
 13. لمحة عن فترة رئاستكم لجمعية الإصلاح في العهد الأخير بعد انتقال الشيخ بابكر صالح رحمه الله إلى جوار ربّه.
 14. لمحة عن آمالك المستقبلية مُشفعة بتوصياتك الغالية للأجيال من بعدك.
- واسلم لأبنائك الداعين لك بطول البقاء، وحسن القبول من المولى، وخاتمة الصلحاء، والحمد لله رب العالمين



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

هذا عرض موجز لنشاط الفقير إلى

ربه بابا بن إبراهيم بن عمر بن الحاج بوعروة

مراحل النشأة الأولى:

المولد كان في خريف سنة 1908 ميلادية، بجنان حمو اندادي في
الشعبة.

اختار لي أبي من الأسماء بابا ثامر، وهو اسم جد عشيرة أولاد
باخة، وأول شيخ العلم بمسجد غرداية على ما يُروى، وهذا مما يجزنا
إلى الرجوع إلى الوراء لإلقاء نظرة وجيزة على تاريخ أوائل مشائخ
غرداية.

فأول شيخ أسس تاغردايت هو الشيخ بابا السعد ويرجع تاريخه
إلى عام 438 هجرية، وهو الجد الأعلى لأولاد باحمد، وحكم بحكم
الظهور (1).

وقد تتلمذ على البحر العلامة الورع الشيخ أبي عبد الله محمد بن
بكر بن أبي بكر الفرستائي النفوسي، مؤسس نظام العزابة، كما تتلمذ

(1) - من صور إقامة الدولة الإسلامية عند الإباضية ما اصطُح على تسميته بإمامة الظهور،
وهي الصورة الكاملة للإمامة العادلة، كما كان الأمر في عهد الخلفاء الراشدين. انظر: علي
يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، فصل الإمامة
عند الإباضية. وأيضاً: جهلان عدون، الفكر السياسي عند الإباضية، نشر جمعية التراث.
وأيضاً: بكر واعي، الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق. نشر جمعية التراث.

عليه رفيقه الشيخ إبراهيم بن مناد مؤسس مدينة "تاقنيت" تاجنيت (1).

أما من تسمية تاغردايت بالبربرية، فإن هذا الاسم يطلق على أية
قرية واقعة على حافة وادٍ من الوديان، ولها نظيرها بهذا الاسم البربري
في تافلات بالمغرب الأقصى، وأخرى قرية من قرى جبل نفوسة على
ما يُروى، والله أعلم.

وانتقل إلى رحمة الله الشيخ بابا السعد في غرة شوال عام 542
هجرية، واستخلفه في تلك المشيخة الشيخ إبراهيم بن يوسف بابا
ولجماً، وذلك بتاريخ السابع محرم عام 543 هجرية، وهو أول من غرس
البساتين وحفر الآبار بالمنطقة، ولذلك لُقّب بـ "بابا ولجماً" بالبربرية،
وتعريبها "أبو الأجنة" وكانت وفاته رحمه الله في عام 568 هجرية. وهو
ثاني شيخ بها.

والثالث هو الشيخ باعيسى العلواني، وذلك ابتداء من عام 569
هجرية، إلى عام 591 هجرية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ بابا ولجماً، والشيخ باعيسى
العلواني قد تزوج كل واحد منهما بإحدى بنات أبي القاسم آل خفيان.
أما عن الأسطورة المنسوبة إلى الشيخ بابا ولجماً وزواجه
بالمسماة "لالة ساهلة" فمن الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

والشيخ الرابع هو الشيخ بابا ثامر، الذي أنسب إليه، والذي تقلد
مشيخة المسجد ابتداء من سنة 596 هـ، وانتقل إلى رحمة الله في اليوم
الرابع ربيع الثاني عام 608 هـ. وهو بيت القصيد.

عندما بلغت من العمر ست سنين، في سنة 1914م ألحقني أبي
لحفظ القرآن الكريم عند الفقيه الشيخ الحاج عيسى بن إبراهيم الزاوي.

(1) - "تاجنيت" هو الاسم الميزابي لمدينة العطف، وهي أقدم مدن ميزاب.

وفي فصل الربيع من تلك السنة كانت وفاة الشيخ الحاج محمد بن يوسف اطفيش، واستصحبني أبي معه في تشييع جنازته رحمه الله ورضي عنه وأسكنه فسيح جناته.

وفي تلك السنة أجبرت الحكومة موظفيها ممثلي العشائر، وهم الضُّمَّان بإدخال أبنائهم في سلك التعليم الفرنسي إجبارياً، ولما كان أبي من جملة الضُّمَّان ألحقني بالمكتب الفرنسي.

مرحلة التعليم بتونس:

وعندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها سنة 1918م، وقد بلغت من العمر عشر سنين، انقطعت عن التعليم بغرداية، وسافرت إلى قرية وادي الزناتي في عمالة قسنطينة، مما يلي طريق قالة شرقاً، والتحقّت بمركز تجارة أخي رحمه الله، عمر بن إبراهيم، وأدخلني في سلك التعليم بالفرنسية.

وأخي رحمه الله توسّم في ملامح النجابة فعزم على توجيهي إلى العلم. والسبب في ذلك هو اجتماع أعضاء العشيرة في دارها لقراءة نسبها، وإلحاق من لم يسجل به من جديد، فلم يوجد بينهم من يُحسن القراءة، فأحضر أبي صديقه الحميم السيد سليمان بن الحاج إبراهيم بانوح، والذي كان معه وكيلاً مفوضاً على مدينة غرداية للسفر إلى الجزائر ومقابلة رؤساء الحكومة هناك للدفاع على حقوق الميزابيين، فقرأ على الحاضرين نسب العشيرة وعاهد أخي منذ ذلك الحين بتعليم كل من يجد فيه استعداداً لذلك من أفراد العشيرة.

وبعد سنتين من التعليم الفرنسي بوادي الزناتي، أعني في سنة 1920 وفي عمري اثنتا عشرة سنة، حضر السيد الشيخ عيسى بالحاج، التاجر بسوق الصوف بعاصمة تونس إلى وادي الزناتي متجولاً لعرض بضاعته، وعرض عليه أخي عمر رحمه الله عوضاً عن ذلك إرسالي معه

إلى تونس لزيادة تثقيفي بالعربية عوضاً عن الفرنسية، فلبّي طلبه واستصحبني معه مسافراً إلى مدينة قالة، حيث نزلنا بـدكان المرحوم عمنا الحاج عيسى الثميني أب المرحوم الشيخ الحاج محمد الثميني، ومن هناك توجه وفدنا إلى تونس، وهو يتركب من العبد الضعيف والثميني محمد، وأخيه عبد العزيز، ثم التحق بنا زكري بن سليمان، (مفدي زكرياء) قادماً من عنابة إلى بوشقرف فتونس.

وفي يوم 16 جويلية من سنة 1920 انتهى بنا القطار بتونس الخضراء، وذلك على الساعة الثانية عشرة ليلاً، وتوجهنا إلى دار المغفور له باعلي الحاج صالح بن الحاج علي بن محمد بن صالح، حيث فتح دار البعثة للميزابيين بنهج المدرسة السلیمانية، وهي مجاورة لدار المنعم المبرور الشيخ أبي اليقظان الحاج إبراهيم بن عيسى.

وعندما استيقظت صباحاً سمعت صوتاً يردد حفظاً منظومة ويقول: وقد يقال: سَعِدَا وسَعِدُوا، وذلك هو الشيخ الجليل الحاج محمد بن الحاج يوسف بابانوَ، أمد الله في عمره.

وقد نُقش في ذهني ذلك القول، وعلمت بعد ذلك أنه كان يحفظ متن ألفية ابن مالك.

وبعد وصولي إلى تونس الخضراء بيومين التحقت بمدرسة السلام، تحت إدارة الشيخ الشاذلي المرّالي، فوقع اختباري من طرف المنعم المبرور الصديق الحميم للشيخ بابكر صالح بن قاسم، حيث انتدبه المدير لاختبار الجُدد من تلاميذ البعثة الميزابية، فألحقني بالقسم الثاني من تلك المدرسة. وبعد سنتين تحولنا إلى المدرسة القرآنية الأهلية تحت إدارة السيد محمد مناشرو، وكان التعليم بها منظماً مع وفرة الأساتذة الأكفاء، وتلقين الأناشيد الوطنية، وإجراء الامتحانات السنوية بالعربية والفرنسية. كما دخلت في سلك الخلدونية.

وفي سنة 1921 وصلت سن البلوغ كما بلغه كذلك رفاقي في التعليم العلواني عيسى بن بكير، فتوجهنا رفقة الشيخ بابانو الحاج محمد والمغفور له بابكر بابا بن بكير، والمنعم المبرور قزريض باحمد بن عيسى إلى حمام الأنف الذي يبعد عن تونس بستة عشر كيلو مترا فصلينا هناك صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وصلاة الفجر تامة بلا تقصير. وأمرنا باتخاذ النية من جديد بالسفر إلى تونس، وعندها سنصلي صلاة المسافر.

وكان سبب انقطاعي عن التعلم بتونس في آخر جوان من سنة 1925 هو رسوبي في الشهادة الابتدائية بالفرنسية.

العودة إلى أرض الوطن:

وعند انتقالني إلى وادي الزناتي أتممت دراستي بالمطالعة العربية والفرنسية، وكان ذلك هو السبب الرئيس لتكويني. واشتغلت كذلك بمسك الدفاتر والأعمال الكتابية في المتجر مع البيع والشراء في المحل.

وبعد غياب دام تسع سنين عن مسقط الرأس سافرت إلى غرداية من وادي الزناتي، في خريف سنة 1927، وقد بلغت من العمر تسع عشرة سنة. والتحقّت بالتعليم بأمر من أبي عند الشيخ حمو بن باحمد بن صالح بابا وموسى، شيخ الجامع لإتمام معلوماتي من الناحية الدينية في التوحيد والفقه وعلم الميراث وتفسير القرآن، وذلك بمقر سكناه بزقاق الحاسي قصرًا، وفي جنان بابا وموسى في التوزوز (1). غابة (2).

ووجدت من جملة الرفاق في ذلك التعليم السادة الحاج سعد

(1) - التوزوز: ناحية من أجنّة غرداية.

(2) - يرحل سكان غرداية إلى الأجنّة في الصيف حيث الجو المنعش والطبيعة الجميلة، ويقومون بها إلى بداية فصل الخريف.

الله العلواني، قزريط باحمد بن عيسى، بابكر مسعود بن الحاج محمد، مشماش عيسى، ودادي وعمر الحاج إبراهيم بن الحاج بكير، وبغباغة باحمد بن حمو، والدجال باحمد كنديم له.

والبرنامج هو مطالعة الدروس صباحا، وشرح القرآن عشية، والنظام المتبع في شهر رمضان هو تعليم علم الميراث صباحا، وشرح القرآن الكريم عشية.

وكان إمام المسجد الكبير في ذلك العهد هو المرحوم الحاج صالح بن عمر كربوش. ففي كل عشية يقوم بعرض الحزين من القرآن الكريم للذين يصلي بهما صلاة التراويح بالمسجد كل مساء أمام الشيخ حمو.

وبعده يقوم السيد الحاج سعد الله العلواني بعرض لمحّة مما وقع أثناء المطالعة والنقاش بين الطلبة صباحا.

وأخيرا يصعد بقية التلاميذ للعلوم مصحوبين بأخ الشيخ بابا وموسى الحاج محمد لتفسير القرآن الكريم.

ميلاد جمعية الإصلاح:

وفي أثناء ذلك شاركت في تأسيس جمعية الإصلاح بغرداية، حيث تكلمت في جلسة يوم 18 جانفي 1928. قائلا:

"أما اليوم فإننا وجدنا أرضا خصبة، يجب غرسها بالأشجار المثمرة، حتى نحني الثمار اليانعة".

وبعد تدخّل الأخ كوله صالح بن قاسم؛ الخوجة عند القائد أردفت قائلا: "يجب علينا القدوم لهذا المحل بقلب خالص، وأن نتكاتف في تنفيذ ما تملّيه علينا الجمعية، ونأمل في الخير. مستشهدا بقول الشيخ سليمان الباروني الذي يقول: «لو تحصلتم على تأسيس الجمعية وعلى الاتفاق عليها لنلتئم مرادكم».

وقد تمخضت تلك الاجتماعات عن إنشاء القانون الأساسي لجمعية الإصلاح باللغة العربية، وقام بترجمته إلى الفرنسية يوسف بن قاسم تزيينت بخطه الجميل.

وحرصاً على تقديمه للسلطة المحلية مكتوباً على الآلة الراقنة، حيث لا يملكها ولا يحسن الضرب عليها سوى عدّون محمد بن صالح، الذي كان معلماً عند الآباء البيض، كما كان من أصدقاء السيد عوشت سعيد بن بكير، فقدم له هذا الأخير ذلك القانون وسجله على الآلة الراقنة، ووقع تقديمه لمن همهم الأمر.

وبعد ذلك تم نشره بالجريدة الرسمية الجزائرية بالفرنسية بتاريخ يومي 24 و25 جوان 1928 رقم 7071. تحت اسم "جمعية علمية أدبية، مدرسة ابتدائية، مع ناد ومكتبة".

وكان أعضاؤها عند التأسيس تسعة عشر عضواً، على حسب عدد عشائر غرداية الميزابيين.

وتقرر فيه تجديد الانتخاب كل سنة، ومقرها في دار بايزي.

وفي تاريخ 20 جانفي 1930 وقع تخفيض أعضائها إلى اثني عشر عضواً، مثل أعضاء حلقة العزابة، وهذا ترتيبهم:

الرئيس: بابكر صالح بن قاسم.

النائب: بوصوفة الحاج سليمان بن سليمان.

الكاتب بالعربية: نوح سليمان بن إبراهيم.

الكاتب بالفرنسية: بضليس عيسى بن حمّو.

نائب الكاتب: كوله صالح بن قاسم.

أمين المال: حدبون صالح بن إبراهيم.

نائبه بغباغة أحمد بن حمّو.

ثم الأعضاء العاملون:

فخار باحمد بن موسى.

دادي وعمر محمد بن عمر.

رمضان سليمان بن قاسم.

عوف يوسف بن أحمد.

عوشت سعيد بن بكير.

وقد وقع تجديد الانتخاب يوم 5 مارس 1931. فانتقل منصب نائب الرئيس إلى السيد دادي وعمر محمد بن عمر. والأعضاء العمال هم السادة: نوح سليمان بن إبراهيم، بوصوفة الحاج سليمان بن عيسى، عمي سعيد سعيد بن الحاج محمد، عوف يوسف بن أحمد، اشقب قب بكير بن إبراهيم، فخار أحمد بن موسى.

وأعيد الانتخاب في اليوم الثالث من فيفري سنة 1932م. وصار أمين المال رمضان صالح بن إبراهيم. والأعضاء الجدد هم: بغباغة بكير بن داود. وتزيينت يوسف بن قاسم.

وعندما تحصلت الجمعية على رخصتها بذلت مساعيها لجلب رخصة التعليم باسم بغباغة باحمد بن حمّو. حيث أن رئيس الجمعية السيد بابكر صالح كان إذ ذاك تاجراً بمدينة عين البيضاء، مورد رزقه، وكان يدير تجارته بعزم وحزم رفقة أخويه الصغيرين بابكر عيسى وداود لا يطيقان على تسييرها.

فطال انتظار تلك الرخصة ولم تُدر ما هو السبب؟

وعند قدوم بابا بن حمودة إلى مركز غرداية الإداري، بصفته مترجماً عسكرياً، وكان صديقاً حميماً لقارة عمر علي بن بكير، فوقع

الاتصال به، وطلب منه الاستفسار عن تجميد ملف التعليم. وبعد أيام أُخبرَ بأن ذلك الملف مكتوب عليه بالقلم الأحمر، لأنه عندما ذُكر مستواه العلمي، ذكر فيه بأنه تتلمذ بجامعة الزيتونة وتخرج من العطارين والخلدونية بتونس، فأوجسوا منه خيفة، وحُجز ملفه.

وأرشدنا إلى التفكير في تقديم طلب ثانٍ باسم شخص لم نُشتم منه رائحة التعليم بتونس.

وبعد المداولة في الشأن رأت الجماعة من الأنسب تقديم شخص على أنه تلقى معلوماته عند الشيخ حمو بن باحمد بابا وموسى، فتبنى تلك المسألة السيد بابكر الحاج إبراهيم بن بكير، الذي قدّم الدار التي كان يملكها في زقاق بايزي كمقر للجمعية، وقال: يجب دخول البيوت من أبوابها.

وبما أنه شريك القائد باللومي في تجارة المواشي توجه إليه وطلب منه رأيه في الشأن، واقترح عليه تقديم طلب باسم بابكر صالح بن قاسم، فطلب منه مهلة لإمعان النظر في الشأن لإنجاح القضية، وفي أثناء ذلك قدم السيد بابكر الحاج إبراهيم بشاهدين إلى دار القائد، ونعجة إلى دار بنت النخلة خليلته، وبعد أيام استدعاه القائد وقال له: لقد وصلت هديتك بارك الله فيك، ويجب إرسال مثلها إلى صهري الشيخ حمو بن باحمد بابا وموسى، لأنني قد طلبت منه تقديم شهادة على أن بابكر صالح قد تتلمذ عليه وتخرج على يده، فكان الأمر كذلك، فقدمت تلك الشهادة ضمن الملف الذي قدمه بابكر صالح للتدريس.

وفي أوائل سنة 1932 تحصل المرحوم بابكر صالح على رخصة التعليم وتقرر بعد ذلك فتح باب التعليم بدار بايزي، وشرعت الجمعية في التدريس في أول يوم من شهر رمضان في تلك السنة، وذلك بمحضر السادة من العزابة:

- كيو كيو باحمد بن صالح وكيل المسجد.
- كربوش الحاج صالح بن عمر إمام المسجد.
- قزريط أحمد بن عيسى عضو في حلقة العزابة، وباش عدل في المحكمة.

■ طباح بابا بن الحاج داود، قاضي المحكمة الشرعية الإباضية بغرداية.

ومن أعضاء الجمعية: حدبون الحاج صالح بن إبراهيم، وبانوح سليمان بن الحاج إبراهيم.

ومن المعلمين: بابكر صالح بن قاسم، وبوعروة بابا بن إبراهيم، مع أولياء التلاميذ.

فكان عدد التلاميذ 32 تلميذاً، منهم 22 مبتدئون، و10 متعلمون. فقام بوعروة بابا بتعليم الصغار، وبابكر صالح بتعليم الكبار.

العمل في محكمة قسنطينة:

وفي نفس تلك السنة 1932 شاركت في تأسيس جمعية الهدى بقسنطينة.

عزمت على الالتحاق بالشيخ أبي اليقظان والعمل معه في الجريدة والمطبعة، فسافرت إلى قسنطينة، والتقيت فيها مع الأخ بابكر مسعود بن الحاج محمد، وكنا تتلمذنا معاً على الشيخ حمو بن باحمد بابا وموسى.

وكان آنذاك باش عدل بالمحكمة الشرعية الإباضية بقسنطينة، وأفصحت له عن رغبتني في السفر إلى الجزائر، فأخبرني أن محكمتنا محتاجة إلى أمثالك من ذوي الثقافة العربية والفرنسية.

فصرحت له بأنني أكره الوظيفة أشد الكره، وأرغب في عمل

حرّ، فألح عليّ في الطلب، فأجبتة قائلاً: أنا تحت أوامر أبي، فكاتبوه وإن وافقكم على ذلك قبلت به.

فبعثت برسالة إلى والدي الذي كان خصماً لدوداً للاستعمار، حيث سُجن مراراً وتكراراً على مواقفه الوطنية. أشرت فيها إليه بأني أمقت الوظيفة ولا سيما العدالة، وأنا رهن أوامرك.

وحيث أن الشيخ الحاج أحمد بن بنوح مصباح، قاضي قسنطينة كان في إجازة بغرداية، أخبره السيد بابكر مسعود بفراغ منصب العدل بالمحكمة، حيث كان يشغله السيد اشقبق داود واعتزله. ولذلك طلب منه إقناع والدي بقبول توليتي لهذا المنصب لما فيه من النفع للمحكمة وسمعتها.

ولإنجاح مهمته عقد اجتماعاً مع السيد بابا بن الحاج داود الطباخ، الذي كان قاضياً بمحكمة غرداية، والسيد قزريط باحمد بن عيسى الذي كان باش عدل بها، وطلبوا حضور أبي، وألحوا عليه لقبول توليتي منصب العدل بقسنطينة.

فتسلّمت خطاباً من والدي في الشأن، داعياً لي بكل خير، في قبول هذا المنصب لمنفعة البلاد والعباد، فأطعت أوامره.

وبعد الإجراءات القانونية صدرت تسميتي عدلاً بتلك المحكمة بتاريخ 1931/06/24.

بدأت العمل بالمحكمة وكنت أصغر الموظفين بها، وعمري ثلاث وعشرون سنة، وكنت أصغر عدل في محاكم القطر الجزائري.

واستعنت بالله، وأفرغت وقتي لمطالعة العقود وتحريرها وتنظيم السجلات، فكنت أكتب الفهارس بالفرنسية، والتعرف على الناس وحلّ مشاكلهم.

وفي سنة 1932 شاركت في تأسيس جمعية الهدى بقسنطينة لتعليم أبنائنا تعليماً عصرياً، مثلما هو جارٍ به العمل في جمعية الإصلاح بغرداية. وأسند إليّ منصب المدير والمراقب، وقمت بواجبي حسب طاقتي.

قضية مقبرة قسنطينة:

كما قمت بنصبي في التصديّ إلى الدفاع عن المقبرة القديمة بقسنطينة أمام محاكم الاستعمار. حيث طلب غلاًتها شقّ طريق في وسط تلك المقبرة، ووافقت بلدية قسنطينة على ذلك المشروع تحت إشراف شيخ البلدية الفرنسي السيد مورينو، الذي كان في آن واحد رئيس البلدية، وعضواً في مجلس النواب بباريس.

فرفعت جماعتنا قضيةً ضدّ تلك البلدية أمام محكمة قسنطينة، فأيدت المحكمة قرار المجلس البلدي بمعاوضة المسمّى كيطولي رئيس بلدية سكيكدة، وعضو مجلس الشيوخ بباريس.

فوقع رفع القضية إلى مجلس الاستئناف بالجزائر العاصمة، فوافقت على حكم محكمة قسنطينة، فلم تفتّر عزيمة جماعة قسنطينة، فرفعت القضية أمام محكمة النقض والإبرام بباريس، وما ضاع حق وراءه طالب، فأصدرت حكمها بإلغاء قرار بلدية قسنطينة، وبنقض الحكم الصادر من محكمة الجزائر، حيث أن أرض المقبرة حازتها الجماعة بطريق الشراء في زمن البايات لا بطريق الهبة من البلدية.

ودام هذا الخصام مدة عشر سنين، إلى ربيع سنة 1935.

وبعد هذا النصر المبين طلبت مني جماعة قسنطينة السفر إلى باريس لاستلام ملف القضية والحكم من طرف وكيلنا بها، فاغتنمتها فرصة سانحة لزيارة ما وراء البحار، ولأول مرة للاطلاع على الحضارة الأوروبية، فسافرت بحراً من الجزائر إلى مرسيليا، ومنها إلى مدينة نيس،

وبعض مدن جنوب فرنسا، ومنها توجهت شمالا إلى مدينة GRENOBLE الموجودة قرب حدود سويسرا، فقرأت في إحدى جرائدها إعلانا بانعقاد مؤتمر مسلمي أوروبا في مدينة جنيف السويسرية تحت رئاسة الأمير شكيب أرسلان، وذلك من يوم 12 إلى يوم 15 سبتمبر 1935، فتوجهت إلى تلك المدينة، وشاركت في ذلك المؤتمر بصفتي جزائريا من سلك القضاء الإسلامي، وألقيت فيه خطابا ارتجاليا بالعربية، تحت عنوان "المحاكم الإسلامية بالجزائر" فبلغ حد الإعجاب من جميع الحاضرين، ولا سيما شكيب أرسلان، الذي كان يظن أن الجزائريين لا يحسنون الخطب إلا بالفرنسية.

[زيادة من الفيديو: فصق لي الجميع، واستدعاني إلى وليمة غداء بداره، وأهدى لي خاتما ثمينا.

وقبل أن ألقى الخطاب سمعت خطابا لمصالي الحاج⁽¹⁾ بالفرنسية، لم يرق رئيس المؤتمر، فقال له: أنتم الجزائريون أسود بالفرنسية، ولكن في العربية أنتم عدم، فكان هذا الحديث تحفيزا لي على النشاط والمشاركة].

وبعد انتهاء ذلك المؤتمر توجهت إلى مدينة LYON ومنها إلى باريس، فتقابلت مع وكيلنا، فأظهر إعجابه بتقاريرنا، ولا سيما تقرير الشيخ أبي اليقظان رحمه الله، الذي شرح فيه نظام الميزابين الإباضيين القاطنين بالتراب الجزائري.

وقد ترجمناه إلى الفرنسية، فطلب مني الشيخ الاحتفاظ بتلك النسخة التي كان يعدّها وثيقة مهمة، فتسلمت الملف وتوجهت من باريس إلى BRUXCELLE عاصمة بلجيكا لمشاهدة المعرض العالمي للصناعات، على طريق الجو، لأول مرة في حياتي.

(1) - زعيم وطني جزائري، كان رئيس حزب الشعب.

وبعد رجوعي إلى باريس قفّلت راجعا إلى مدينة قسنطينة حامدا شاكرا للمولى على ما أنعم به عليّ من أطافه الربانية، وقدمت الملف إلى جماعة قسنطينة.

فوجدت في انتظاري ترقيتي إلى منصب باش عادل خلفا للسيد بابكر مسعود بن الحاج محمد الذي كان باش عدل بقسنطينة وارتقى إلى منصب قاضي بغرداية. فأديت اليمين يوم 19/9/1935.

وبعد ذلك عقدت اجتماعا مع جماعة قسنطينة، وأخبرتهم عن رحلتي إلى جنوب فرنسا، وMONTICARLO وإيطاليا، وسويسرا وبلجيكا، وموقفي مع وكيلنا بباريس، وإعجابه بنظام جماعتنا، وحرّضت تجارنا على شراء بضائعهم رأسا من المصانع الفرنسية، وعدم الالتجاء إلى اليهود المحتكرين.

وقصصت عليهم ما جرى لي عند وصولي إلى مدينة LYON، وإقامتي بها بنزل الملوك: HOTEL ROYAL حيث قدّمني صديق الطريق الفرنسي PICON بكوي من أعضاء سلك القضاء بالجزائر.

أما أنا فقد سجلت نفسي في بطاقة النزل بمهنة "تاجر"، فلما أصبح الصباح وجدت في انتظاري مديريّ معملين يعملان في الحلي الصناعي قرب ليون، ويسمّى VILLEURBAIN، الأول له معمل يصنع حرج الطرز، والثاني يصنع DENTELLE.

وبعد تحوالي في معملهما سألتهما هل كان لكما زبائن في قسنطينة من الميزابين؟ فأجابا بأننا لم نسمع بهذا الاسم أصلا، وكل ما يقال لنا من طرف زبائننا في قسنطينة بأن فيها طائفة نشيطة من تجار الأهالي لا تتمتع بالوفاء SOLVABILITE، لأنهم أولا: لا يتعاملون مع البنوك، ويتحولون في الدواوير والمداشر، ولا يحترمون تعهداتهم. ولذلك يجب الابتعاد عن معاملتهم.

فأخبرتهم عن حقيقة أمر تجارنا ونشاطهم ووفائهم.

فأخبرت عن هذا اللقاء الهام مع التجار، وأن يسرعوا إلى ربط العلاقات معهم، ويسافروا بأنفسهم لقضاء مصالحهم.

وبعد ذلك توجهت إلى مسقط الرأس غرداية للاستراحة والاستحمام، على طريق بسكرة، وكان منزلي بها عند الصديق الحميم الغيور خبزي عيسى بن عمارة، فأخبرته برحليتي، وبلغت له السلام من أحد أفراد عائلته الساكن بباريس، وهو أخوه إبراهيم بن عمارة، وأفصحت له عن نيتي على السفر مرة ثانية إلى باريس إن شاء الله في عام 1937 لمشاهدة المعرض الدولي المقام في باريس.

وفي تلك السنة سافرت ثانية إلى باريس، فالتقيت هناك بالشيخ بيوض، ورفيقه السيد عيسى بن عمارة، وقد نزلا في نزل قرب جامع باريس، وقريب لمحل سكني إبراهيم بن عمارة، الآنف الذكر فصرت دليلاً للشيخ بيوض في المكاتب العامة والمتاحف والآثار التاريخية بباريس، والمعرض الدولي، فوجدنا فيه يهوداً من غرداية من صانعي النحاس وهم بلباسهم التقليدي.

أمّا إبراهيم بن عمارة فقد رافق عيسى بن عمارة إلى مصانع المحركات والسيارات.

محنة الشيخ في محكمة قسنطينة:

ونظراً لهذا النشاط والمشاركة في الحركات العلمية في قسنطينة وغرداية، والاشتراك في المجلات والجرائد الوطنية، مثل جرائد الشيخ أبي اليقظان، ومجلة الشهاب، والمجلات المصرية، مثل الرواية والرسالة ومصر الفتاة، والكتب الواردة من المشرق مثل دائرة المعارف الإسلامية، ولا سيما مناصرة ومؤازرة الشيخ بيوض في الحركة الإصلاحية، والسمعة الطيبة التي كنت أتمتع بها -والحمد لله- في أواسطنا. كل تلك العوامل

أغار عليّ الصدور، فكل ذي نعمة محسود، فوقعت ضديّ شكايات ووشايات من طرف رئيس محكمتنا عفا الله عنه، ومن بعض أذنا به، حيث رموني بالتزوير في الكتابة الشرعية، فمُثلتُ أمام قاضي التحقيق بقسنطينة، واتهمني بتلك التهم، وقادني إلى السجن مباشرة يوم 2 جوان 1943.

وبعد المساعي من الإخوة المخلصين، أمثال السيد عيسى بن عمارة، وعيسى بن باحمد بوكراع، أفرج عني مؤقتاً يوم 21 جويلية 1943، حيث مكثت بالسجن مدة خمسين يوماً.

وفي يوم 22 مارس 1945 نُشرت قضيتي أمام محكمة الجنايات بقسنطينة، فامتألت رحابها بالوافدين إليها من الميزابيين، من عمالة قسنطينة، ومن غيرها.

وكان يوماً مشهوداً، لم تر تلك المحكمة مثل تلك الحشود، منهم الصديق ومنهم الحسود.

وبعد سماع كلامي وكلام الخصم الشيخ القاضي، وقام قاضي الدفاع بتمثيل دوره، وبعد ذلك تكلم وكيلي MIRACTIOL مدة ساعة ونصف، وبعد ذلك دخلت جماعة المخلفين إلى قاعة المداولات، وبعد خروجهم حكموا ببراءتي، وعند ذلك حكمت المحكمة بأني غير مذنب، وبرأت ساحتي من تلك التهم، فتنفست الصعداء، وحمدت الله وشكرته على عنايته الربانية.

وبقرار مؤرخ يوم 23 جويلية 1945 أُخبرت بإسقاطي من رتبة باش عدل إلى رتبة عدل بصفة تأديبية، ووقع تحويلي في ذلك المنصب إلى محكمة بني يسجن، لكنني رفضت ذلك، واخترت الإعفاء من الوظيفة غير مأسوف عليه، وتحصلت على حريتي والحمد لله.

وبعد تلك الأحداث المؤلمة توجهت إلى مسقط الرأس للاستراحة

والاستحمام والتخطيط للمستقبل، والمستقبل بيد الله.

فتوجهت إلى التجارة وفتحت محلا في نهج الوفاق، أمام بازار قلوب، بقسنطينة. وذلك أواخر الحرب العالمية الثانية، حيث كانت المواد والسلع كلها تعطى بالتقسيط، فلم تنجح تلك الحركة، وذهبت إلى سكيكدة وفتحت محلا هناك بالشركة مع المرحوم باسعيد والحاج سعيد بن بكير، وساهمت في تنظيم الجماعة، وفكرنا في إنشاء مسجد بها. وصلينا بها أول مرة صلاة التراويح بالجماعة، في سدة فوق دكان الفقيد مصباح إبراهيم بن حمو، وكنت إذ ذاك إماما.

الاستقرار في البلد الأم:

وفي سنة 1950 قدمت إلى غرداية لزيارة الأهل والأحباب، وكان الصراع إذ ذاك على أشده بين المصلحين والمتزمتين في المسجد من جهة، وبين الباشاغا وجماعته من المحافظين من جهة أخرى، وبعد الاجتماعات المتوالية بين المصلحين ودراسة موقفنا في المدينة، رأينا من الأفيد لنا وللأمة تنظيم صفوفنا وتوحيد جهودنا كأغلبية لها كلمتها في المدينة، وألح عليّ إخواني بآبكر صالح وناصر علي ومصباح الحاج مسعود وغيرهم بالانقطاع عن التل، والتمركز في غرداية، لتتصدى جميعا لنيل حقوقنا، فوافقت على ذلك نزولاً عند المصلحة العامة للإصلاح.

وعما أني كنت من المشتركين في تأسيس جريدة "الجزائر الجمهورية" ALGER REPUBLIQUE اليومية الفرنسية الصادرة بالجزائر العاصمة، صرت مكاتبا لها بغرداية، ونشرت فيها عدة مقالات عن الحالة السياسية والاقتصادية والصحية بمدينة غرداية، وكان لها صداها هنا وفي التل.

نشاط الشيخ في بلدية غرداية:

وفي عام 1951 وقع انتخاب الضمّان (رؤساء العشائر)، وكان مجموعها بالمدينة 19 عشيرة ميزابية، وثلاثة عشائر من المذاييح، والجميع اثنان وعشرون. ففاز المصلحون بـ 12 عضوا، وفاز الجامدون بـ 7 أعضاء، مع 3 من المذاييح. وبذلك تحصلنا على الأغلبية، فكان الانتصار للمصلحين حيث تحكّم الناس في أعصابهم بعد صبر مرير عند الانتخاب، مع جلب محامين من قسنطينة والجزائر لمراقبة سير الانتخابات، لأن الباشاغا والسلطة المحلية كانت تعتمد على التدليس والإرهاب، فتنفسنا الصعداء، وكانت تلك الفترة فترة دراسة لنا وترويض على سير الجماعة، وكان الباشاغا قابضا عليها بيد من حديد، بمساندة السلطة العسكرية.

وفي سنة 1953 وقع الانتخاب على خليفة القائد، ففاز بها السيد ناصري علي بن عمر، أما وكيل العرش فقد فاز به كاتب السطور، وبذلك صار لنا صوت مسموع لدى السلط المحلية والعليا والعامة معاً.

وقمنا بتنظيم شؤون المدينة ونظافتها والاتصال بميثة العزابة والحراسة، وكان لضمّان الإصلاح ومفكريهم اجتماعات أسبوعية منظمة سرية بدار الأخ كركاشة عمر بن سليمان، للتداول في إصلاح شؤون المدينة وتقرير ما يجب تنفيذه، فتحسنت بذلك أوضاع المدينة تحسّناً ملموساً.

المساهمة في الثورة الجزائرية:

وفي فاتح نوفمبر 1954 حيث انطلقت الثورة المباركة، كانت منطقة ميزاب مهية لذلك ماديا وأديبا، بفضل التوعية والدروس الوطنية القيمة التي كان يلقيها رؤساء الإصلاح في مجالسهم، وعلى رأسهم

المنعم المبرور الشيخ بيوض الحاج إبراهيم بن عمر رحمه الله ورضي عنه.

أضف إلى ذلك أناشيد الوطنية التي صاغها الشاعر مفدي زكرياء، وكذلك أناشيد إخوانه أضراب الشيخ أبي اليقظان وبكلي أحمد بن الحاج يحيى، وعلي يحيى معمر، رحمهم الله، وباجو صالح، وأحمد بن عمر أوبكة، وتربح يوسف. أبقاهم الله ذخرا للبلاد.

وفي يومي 23 و24 أكتوبر 1956 عقد الأخوان خبزي بكير ومحمد اجتماعا سرياً بمحضر الأخ اجغابة محمد بمنزل الأخ أولاد بمون الأخضر بن الناصر بغرداية، فجرى رسم الخطة بصفة منظمة، وقد حضر الاجتماع المرحوم نصري علي نيابة عن أعيان غرداية، وطلب منه تأسيس خلايا تضم أعضاء من مدن وادي ميزاب، ويكون مقرها متجر "مستودع الجنوب" الذي يديره الأخ ناصر علي (1).

فعقد الأخ ناصر علي اجتماعاً سرياً مع الإخوان بابكر صالح، وبوعروة بابا ومصباح الحاج مسعود، وتدارسوا توزيع الأعمال بصفة منظمة مع كتمان السر، واهتدوا إلى رسم الخطة الآتية:

1. أخذ المواد الغذائية من متجر "مستودع الجنوب" تحت مسؤولية نصري علي.

2. القشاشيب الصوفية تحت مسؤولية قارة عمر الحاج علي بن بكير، بمشاركة الدالين.

3. جمع السلاح والخرطوش والبارود، بابكر صالح بن قاسم، دادي وعمر الحاج إبراهيم بن الحاج بكير.

4. المفرقات والديناميت، كركاشة عمر مع أبي إسماعيل محمد.

5. الأدوية من صيدلية باسة. على يد كركاشة صالح بن أحمد، ومن معه.

(1) - يقع هذا المتجر في مخرج سوق غرداية باتجاه مقبرة الشيخ أبي سحابة بالمحمد.

وكان في كل بلدة خلية.

1. الإشراف على خلية غرداية، نصري علي.

2. الإشراف على خلية بنورة، داودي عمر، وداودي محمد "المضبر".

3. الإشراف على خلية بني يسجن، دواق الحاج إبراهيم بن صالح.

4. الإشراف على خلية مليكة، اسكوقي عمر بن سليمان.

5. الإشراف على خلية العطف قرادي الحاج إبراهيم، وابن يوسف سليمان.

6. الإشراف على خلية بريان، القائد أوراغ، وبودي عمر بن سليمان.

7. الإشراف على خلية القرارة، الشيخ بيوض.

وكل هذه الخلايا كانت تحت إشراف وتوجيهات الشيخ بيوض رحمه الله.

وفي يوم 29 جانفي 1959 ألقى القبض على الأخ غزال الحاج سليمان، وتبعاً لذلك ألقى القبض على خلية القرارة وغرداية، بعد اكتشاف أمرهم ممن لا يطيقون تحمل الأسرار.

وفي غرداية ألقى القبض أولاً على بابكر صالح والحاج إبراهيم دادي وعمر، ثم نصري علي، وأخيراً على رمضان إبراهيم، مع 65 شخصا من المواطنين. وكان من جملتهم بوعروة بابا.

في أوائل 1957 أمرت الجبهة بإضراب عام لمدة ثمانية أيام، وقع تنفيذه من طرفنا ونجح نجاحاً باهراً، مما جعل السلطات الاستعمارية تردّ عليه بحق وعنف شديد.

في السابع أوت 1957 ظهر لفرنسا أن تلعب ورقتها الأخيرة، فأصدرت قرارا بضم الصحراء إلى أم الوطن فرنسا رأساً، وفصلها نهائياً عن بقية التراب الجزائري، وقسمتها إلى عمالتين، عمالة الساورة وعمالة الواحات التي كان من جملتها وادي ميزاب.

وجعلت من السيد آل الشيخ بوبكر بن حمزة نائبا عماليا لدائرة متليلى، ورئيس المجلس العمالي للواحات بورقلة، وعضوا في مجلس الشيوخ بباريس. والشيخ بيوض يكون وزيرا للداخلية.

فباءت هذه المحاولة بالفشل رغم تقديمها في أطباق من ذهب، وذلك بفضل بُعد نظر الشيخ بيوض رحمه الله. الذي اعتبر التراب الجزائري كلاً لا يتجزأ⁽¹⁾.

في إدارة البلدية من جديد:

ونتيجة لذلك ارتقت غرداية إلى بلدية تامة، وأسفر الانتخاب عن نجاح ناصر علي رئيسا للبلدية، وبوعروة بابا النائب الأول، ومصباح مسعود النائب الثاني.

وبعد تنصيب المجالس البلدية الجديدة لقرى ميزاب السبع، كانت فرصة سانحة لضم جهود رؤساء البلديات للتشاور وتنظيم الخطة بينهم لحماية المواطنين من التعسفات اللاأخلاقية التي يقوم بها جيش الاستعمار وأعوانه.

فاقترح المرحوم ناصر علي رئيس بلدية غرداية مع أعضائه بتأسيس اتحاد رؤساء تلك البلديات، فوافقوا بالإجماع على ذلك، وعلى

(1) - انظر كتاب "أعمالي في الثورة" للشيخ إبراهيم بيوض، نشر جمعية التراث، القرارة. الجزائر. وكتاب "الشيخ بيوض وقضية فصل الصحراء" للدكتور محمد ناصر بوحجام، نشر جمعية التراث أيضا.

أن يكون مركزها بلدية غرداية.

فكانت البلديات تجتمع على العاشرة صباحا من كل يوم جمعة للتنسيق مع الجبهة.

فقام هذا الاتحاد بأداء واجبه وترسيم الخطط لحفظ مصالح المواطنين تبعاً لتعليمات الجبهة.

وأثناء ذلك قامت السلطات الاستعمارية بجمع جميع أسلحة المواطنين، فسعى رئيس بلدية غرداية ناصر علي ونائبه الأول بوعروة طالبين من السلطات المدنية تدخلها لدى السلطات العسكرية، لإبقاء خمسة عشر بندقية للحراسة البلدية، ويكون مقرها المسجد الكبير وتحت ضماننا ومسؤوليتنا، وبعد المداولة في الشأن قبلت السلطة العسكرية ذلك، وكانت تتفقدتها بين الحين والآخر، وصارت كلما أرادت تفقد تلك الأسلحة في المسجد تخبرنا بذلك وتتوجه معاً لذلك.

ومن جملة الإصلاحات التي قامت بها البلدية ترفيت بعض الطرقات، وترصيف بعض منها بالحجارة مثل سوق الدلالة وسوق المدينة، وإنشاء شركة محلية لنقل المواطنين بين القصر والأجنحة.

وبعد دراسة جيدة أصدر رئيس البلدية قرارا مؤرخاً يوم 6 أفريل 1961م، بإنشاء "شركة الحافلات الحضرية" تحت قيادة المرحوم بهدي باحمد بن ناصر.

في أوائل سنة 1961 قمت بزيارة البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج للمرة الأولى، وكان معي ضمن الرفقة الأستاذ بابكر صالح وابنه قاسم، والسيد عوشت سعيد بن بكير وابنه إدريس والزرقة محمد وابنه بكير، والأستاذ الحاج موسى صالح بن بايoub، وجماعة كبيرة.

وقد خلّفنا وراءنا التطاحن على الانتخاب في المجلس العمومي بورقلة، ففاز بالمقعد السيد بالو عيسى بن يحيى، وكنت مرشحا

للإصلاح إلا أني فزت بأداء فريضة الحج، والحمد لله أولاً وأخيراً.

وفي أوائل شهر أكتوبر من سنة 1961 وقع استدعائي من طرف الضابط الثاني الشهيد الطالب أحمد بدار حمودة إبراهيم داخل باب حواشة، ودام هذا الاجتماع ست ساعات متوالية، منتقداً مواقف الإصلاح وعدم الانضباط، وفتور الانسجام مع الثورة، فشرحت له مواقف الإصلاح منذ تأسيس جمعية الإصلاح سنة 1928، ومواقفنا الثابتة مع الحركات الوطنية منذ نشأتها مع مصالي الحاج ومفدي زكرياء عند تأسيس "نجم شمال إفريقيا". كما لفتُ أنباهه إلى المراقبة الشديدة التي ضربها الاستعمار حولنا، لذلك كنّا نعمل بحذر. وغرضنا هو حفظ الأسرار أولاً، ثم الحفاظ على سلامة أعضاء جيش التحرير، علماً بأن عيون الاستعمار تترصد لهم كما هي بالمرصاد لجميع من يتصل بهم. فاقتنع بما سمع.

بعد وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962 وقع ترشيح المجلس البلدي الجديد لمدينة غرداية، تحت قيادة رشيد الصائم، وكنت من جملة الأعضاء الذين شكلتهم الثورة في المجلس، وقمت بواجبي قدر الاستطاعة. كما أسهمت بواجبي الوطني بنقل رجال الثورة في حافلة الشركة إلى المنبعة وورقلة وتوقرت والزعفران والشارف من غرداية. ومن ذلك تعطلت الحافلتان وأصبحتا غير صالحتين للاستعمال.

في سنة 1964 أمرت السلطات العليا بتقديم تزيكات من طرف الجمعيات، فقدّمت جمعية الإصلاح ملفاً عُيّن فيه الأستاذ بابكر صالح رئيساً، والنائب الأول بوعروة بابا والنائب الثاني هو المرحوم ناصر علي ابن عمر.

الرحلة إلى البقاع المقدسة:

في فيفري سنة 1967 تشكلت جماعة من فخار حمو بن عمر، وحواش عبد الرحمن بن عيسى وبوعروة بابا بن إبراهيم، لأداء فريضة الحج عن طريق أوروبا، فكانت رحلة ممتعة في مجموعها. وقد شملتهم لطائف الله، فقبلوا للدخول إلى باريس بعد أن خوفوا بالرجوع إلى الجزائر.

ووقع لنا نادرة عند وصولنا إلى باريس...

حجزنا تذاكر السفر في الدرجة الأولى في القطار المسافر من باريس إلى بيروت.

أول سفر من باريس كان على متن القطار المتوجه إلى بيروت، حيث نزلنا في مدينة نيس الفرنسية، على الشاطئ الجنوبي الشرقي لفرنسا، ومنها توجهنا إلى مدينة VENIS البندقية الإيطالية، وهي مدينة تسير في شوارعها بالزوارق، وقد كان ذلك اليوم يوم الكارنافال، فأمطرنا الناس بالروائح الطيبة، و "الكافيت" "CONFETO" (ورق مصنوع بشكل مزين كالكرات)

وحدثت لنا حادثة في ساحة سان مارك، وفيها أربع كنائس متقابلة...

إذ أن عجوزاً جثت على ركبتيهما أمامنا فقبلت يد الشيخ حمو فخار، ويد بوعروة بابا، أما حواش عبد الرحمن فلم تلتفت إليه للبسه اللباس الإفريقي المعتاد عندهم.

ومنها توجهنا إلى بلغراد عاصمة يوغوسلافيا، فأقمنا فيها ثلاثة أيام، زرنا بعض معالمها، ومنها إلى صوفيا عاصمة بلغاريا أقمنا فيه ثلاثة أيام، ومنها إلى مدينة اسطنبول العاصمة القديمة للأتراك. وأقمنا فيها

أربعة أيام، وطفنا في متاحفها، وما خلفه سلاطين الأتراك من أمة وبذخ. وزرنا مسجد أيا صوفيا الذي كان كنيسة، وصلينا صلاة الجمعة في مسجد باي أحمد، وهو يسع ثلاثة آلاف مصل، وبعدها قدمنا إلى أنقرة عاصمة تركيا الجديدة وليست لها روعة العواصم. والحق يقال.

ومنها امتطينا القطار إلى سوريا فبتنا في مدينة حلب، ومنها توجهنا إلى بيروت فنزلنا في نزل الحمراء، وكان فحما، ورأينا في تلك المدينة العجائب والغرائب من مدنية الغرب، فأقمنا بها ثلاثة أيام، ومنها توجهنا إلى مدينة دمشق عاصمة سوريا، وطفنا في معالمها، وصلينا في مسجد الأمويين.

وكان مستواها يقل كثيرا عن مستوى بيروت.

ومنها توجهنا بالسيارة إلى عمان، فنزلنا في فندق نظيف، فأكرمنا صاحبه غاية الإكرام. وزرنا القدس الشريف والمسجد الأقصى، ثم بيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام. والخليل مسقط رأس سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وذلك قبل احتلاله من طرف اليهود

ومنها توجهنا بالطائرة إلى الحج لإتمام مناسك الحج.

وبعد أداء مناسك الحج توجهنا بالطائرة إلى القاهرة، فنزلنا على الرحب والسعة عند إخواننا البعثة الميزابية، فأكرمونا غاية الإكرام، وطافوا به على معالمها ومعاهدها وآثارها، وبعد مدة ثلاثة أيام بها، تغلب علينا الحنين إلى مسقط الرأس فسافرنا منها جوا إلى الجزائر ثم إلى غرداية.

وبذلك تمت رحلتنا بعد أن لقنت لنا دروسا وعبرا لا تنسى.

وفي يوم 19 مارس 1976 انتقل إلى رحمة الله المغفور له الشيخ

الأستاذ بابكر صالح بن الحاج قاسم، ومنذ ذلك التاريخ انتقلت رئاسة تلك الجمعية إلى كاتب السطور، غفر الله له.

وقام بواجبه المتواضع حسب المستطاع، إلى يومنا هذا، والحمد لله رب العالمين.

انتهيت من تحرير هذا التقرير يوم الثلاثاء التاسع جمادى الثانية عام 1406 هجرية، الموافق لـ 18 فيفري 1986 م.



وأخيه موسى وغيرهم.

وهنا نفسح المجال للشيخ باديس أن يصف لنا ما جرى في ذلك الحفل البهيج، حسبما نشره في جريدة "النجاح" القسنطينية بتاريخ 19 سبتمبر 1921م، إذ يقول، تحت عنوان "نخضة جزائرية بالحاضرة التونسية": «حللت بتونس فاستدعتني جماعتهم -يعني إخوانه الميزابيين- إلى الحضور عندهم في دارهم ليلاً، فلما فرغنا من العشاء خرجت إلى صحن الدار شبيبته المتعلمة بالمدارس التونسية على الأسلوب الحديث الذي يجمع بين العلوم الدينية والدنيوية، واللغة العربية والفرنسية، مع حفظ القرآن الكريم، فاصطفوا بنظام، وشنفوا أسماع الحاضرين بالأنشيد الوطنية والمدرسية، وتجاوزوا بالمناظرة السيفية القلمية، كل ذلك باللهجة الفصحى والألسن الذلقة، والجأش الثابت، فرأينا منهم أهلة توشك أن تكون أقماراً، وغروسا طيبة توشك أن تجني ثماراً.

وكنت أنا أزاء ذلك بين عاملين متناقضين؛ عامل سرور وأمل بمن أرى من بني ملتنا ووطننا، من تلك الشبيبة المتنورة بأنوار العلوم، وعامل حزن وأسف من حالة أبنائنا الآخرين الذين منهم من أهملهم آباؤهم فقتلهم الجهل، والتهمتهم الشوارع وأهلكتهم المفاصد والمنكرات، ومنهم من تعلموا وأهملوا حتى المبادئ الدينية، وحرموا اللغة العربية لغة الجنس والدين، لغة الآباء والأجداد".

وافتح ذلك المقال بقوله:

"إن الشعور الوطني، إذا أفعم لا بد أن تظهر ثمراته في الأعمال حتى تبلغ الأمم غاية الكمال، فهو كالماء تحت الجبال لا بد أن ينبعث فتشقق له الحجارة وتتفجر منه الأنهار.

وها هم أولاء إخواننا الميزابيون سرى فيهم شعور صحيح، فولعوا بالتقدم فأخذوا يتمسكون بأسبابه بجد واجتهاد، وأخذوا في طريق

ملحق للعرض على بعض جوانب حياتي

مواقف مشهودة في تاريخ البعثة الميزابية بتونس:

عندما كنت تلميذا في البعثة الميزابية بتونس الخضراء، بعد التحاقني بدار المغفور له باعلي الحاج صالح بن باعلي بن الحاج محمد بنهج المدرسة السليمانية، كنا إذا قدم إلينا أحد من أولياء التلاميذ أو ضيف نقيم له بعد العشاء حفلاً نتلو فيه القصائد النبوية والأنشيد الحماسية والأحاديث النبوية، ونختتمها بمناظرة بين السيف والقلم، ليأخذوا صورة جدية عن مستوانا التعليمي مما يشجعهم على إرسال المزيد من أبنائهم لمزاولة التعليم ضمن بعثاتنا بتونس.

وفي ذلك الإطار عندنا حل بتونس علم من أعلام الجزائر يقع استدعاؤه من طرف رؤساء البعثة إلى إحدى دارهما، ولما كانت دار بعثة الشيخ باعلي الحاج صالح فسيحة ويتوسطها صحن هي ملاصقة لدار الشيخ أبي اليقظان رحمه الله، وقع فيها استضافة الشيخ باديس بمناسبة زيارته لتونس ليطلع على أبناء وطنه في غربتهم مهاجرين إلى تونس لتلقي العلوم العصرية باللغتين العربية والفرنسية، حتى يرجعوا إلى أرض الوطن حاملين معهم مشعل العلم والمعرفة ليضيئوا الطريق أمام إخوانهم في الوطن الجزائر العزيز، مثل ما فعل أسلافهم من قبل.

وكان ذلك في صيف 1921م، وكنت ممن شارك في إعداد تلك الحفلة، وكان عمري إذ ذاك ثلاثة عشر عاماً.

وذلك بمحضر السادة باعلي الحاج صالح، الشيخ يوسف بن بكير، الشيخ الثميني محمد، الشيخ أبي اليقظان، الشيخ أبي إسحاق، الشيخ الحاج محمد بابانو، الشيخ أحمد بن عيسى قزريط، الشقمة محمد،

التجارة حتى ملكوا أزمته و صاروا العضو القوي الإسلامي بالجزائر فيها، وها هم اليوم يسعون في طلب العلم، ويرحلون من أجله، وأخلق بهم أن ينالوا ما يريدون» (1).

الخصيلة العلمية من دراسته بتونس:

أما ما تحصلت به في تلك البعثة، فهو حفظ القرآن الكريم سلكة واحدة فقط على يد الفقيه الشيخ علي بن يعقوب النفوسي، والأربعين النووية للنووي، ومثن التوحيد، الذي عربه الشيخ أبو حفص عمرو بن جميع. مع شرحه من طرف رئيس البعثة (2). ومثن الأجرومية، وما يزيد عن ستمائة بيت من ألفية بن مالك، وأرجوزة الرحبية في فن الميراث. كل ذلك في دار البعثة.

أما في المدرسة القرآنية الأهلية فقد قرأت كتاب "قطر الندى وبل الصدى" مع شرحه على الأستاذ الشيخ عبد العزيز الباوندي، المدرس الرسمي للزيتونة.

وأما عن الفرنسية فعلى الأستاذين علي الرياحي، وصالح رضا الأحمر.

وكانت منافسة شديدة بيني وبين بكلي أحمد بن الحاج يحيى، في قسمنا، فإذا كان هو الأول فأنا الثاني، وإذا كان هو الثاني فأنا الأول، وهكذا دواليك.

أما في بعثتنا فكان من أبرز نجباء التلاميذ:

(1) - من كتاب "مفدي زكرياء، شاعر النضال والثورة، د. محمد ناصر، المطبعة العربية، غرداية، ص 8.

(2) - يقصد به الشيخ أبا إسحاق اطفيش.

■ مفدي زكرياء الذي كان يتطلع أن يكون الشاعر التونسي خزنदार أمير شعراء تونس،

■ ورمضان حمود الذي كان يتبارى مع الشاعر أبي القاسم الشابي؛ شاعر الشباب، حيث كانا يلتقيان معا في حلقات الدروس بجامع الزيتونة، ويتناظران في الشعر، وبعد الفراغ من الدروس.

■ وباسعيد عدون الذي التحق بالمدرسة الصادقية، وكانت أرقى مدرسة نظامية بتونس.

■ وتزينت يوسف بن قاسم، ونجار سليمان بن صالح اللذان التحقا بمعهد "ليسي كارنو" LYCEE CARNOT.

الأزمة تلد الهمة:

وبعد انقطاعي عن التعليم رجعت إلى قرية وادي الزناتي والتحقت بتجارة أخي عمر، حيث كانت المدينة محاطة بالمستنقعات، بسبب المياه الراكدة من ذلك الوادي، مما جعله عرضة لمرض حمى المستنقعات، فإذا أطل علينا فصل الصيف تفشت الحمى بين المتساكنين، فذب الفشل في أحضان السكان، حتى صار غالبهم لا يقوى على التحرك حيث تنابه قشعريرة الحمى، تارة ساخنة وأخرى باردة، وكانت تصطك بذلك الأسنان.

وكنت ممن أصابه ذلك المرض. وسافرت إلى قسنطينة للمعالجة، وأقمت في دار النعاليف، ولم يفدني علاج الأطباء، وأشرفت على الهلاك لولا لطف الله، إذ زارني التقي الورع الشيخ عيسى بن قاسم الراعي، وعالجني بقراءة ما يسر الله من القرآن الكريم، وبعض التباخير وحجاب علقته، فشفاني الله على يده، ورجعت قافلا إلى وادي الزناتي.

وللتقاء من ذلك المرض أصبحت أتناول يوميا ما يزيد عن عشر

فناجين من القهوة بدون سكر، مما سبب انقباضا في معدتي وسوء هضم، ومرض البواسير، وطول مكث عند قضاء الحاجة.

وكان أخي رحمه الله يعاتبني على ذلك ويحثني على التقليل من تناولها، وذات يوم دخل علي في المطبخ فوجد أمامي فنجانا من القهوة كعادتي فغيرني بقوله، وكان يسميني "سيدي جلول" حيث يقول: أين سيدي جلول؟ هو في المرحاض. من أين خرج سيدي جلول؟ خرج من المرحاض؟ ماذا يصنع سيدي جلول؟ إنه يشرب القهوة.

فتميزت غيظا من ذلك الكلام الجارح، فضربت الفنجان بما فيه عرض الحائط فتكسر بما فيه، ولحقتني ليؤدبني، وفررت إلى المخزن المجاور للحنوت، وقلت لمن فيه: إذا عدت إلى شرب القهوة فلست برجل.

وحصل ذلك في فيفري 1928، والثلوج تتساقط على الأرض، والبرد القارس يشل الحركة، ولم يبق بيننا وبين رمضان سوى بضعة أيام، فأخبر أخي بما قلته، فأجابهم قائلا: "يطول ليلها وتعلف" (1).

وشهر رمضان على الأبواب، فتوكلت على الله، وعزمت على مقاطعة شرب القهوة نهائيا، وكان من جملة جلسائنا المرحوم عمنا موسى بن إبراهيم فخار، متزوج بعائشة بنت سعيد بوكرموش، وكانت أختها للأب زوجة أخي عمر، وكانت كلما قرب شهر رمضان تهدي لنا مغلفة من مار الزهر مقطرة عائليا، فتمزج مع القهوة لتفوح منها رائحة طيبة، فتناولت تلك المغلفة ووضعتها في رفوف المطبخ، وقد كنت أقوم بطبخ الطعام للجميع قائما مقام دقدوق حمادي بعد سفره إلى مسقط رأسه.

ومنذ ذلك الحين إلى يومنا هذا لم أذق ولو فنجانا واحدا من القهوة، اللهم إلا قطرات ممزوجة مع الحليب، وكان ذلك درسا مفيدا

لي في ضبط النفس وقوة الإرادة. مصداقا لقوله ﷺ: «إن لله عبادا إذا أرادوا أراد» (1).

وجرى لي مثل ذلك عندما كنت كاتباً في محل تجارة السيد عوشت عمر بن بكير، في مدينة قسنطينة، شارع رحبة الصوف، أوائل 1931م، حينما استجلب آلة راقنة ووضعها في مكتبه، فتفقدتها وصرت أتعلم الضرب عليها وهو غائب، ولما حضر فخرني وأمرني بترك تلك الآلة التي أجهل استعمالها، والاشتغال بعلمي، فقررت في نفسي أن أتعلم استعمالها، وطلبت من الأخ عمر بن الحاج موسى، الذي يعمل معي أن يدلني على موضع أتعلمها فيه، فدلني على يهودي يسمى بوشكيلة، له مدرسة يعلم فيها أبناء وبنات جلدته، فتوجهت إليه وطلبت منه الانخراط في سلك تلامذته ليلاً لتعليم الترقين.

وبعد امتحان بسيط في اللغة الفرنسية قبل مني المشاركة في التعليم من الساعة الثامنة إلى التاسعة ليلاً. وكان محلنا التجاري يغلق أبوابه على الساعة ليلاً.

وبعد تناول العشاء أذهب إلى تلك المدرسة، فقضيت فيها ثلاثة أشهر، وبرعت في استعمال الراقنة، وعندما انخرطت في سلك القضاء بالمحكمة الشرعية الإباضية بقسنطينة اقتنيت آلة كاتبة بالفرنسية، وصرت أكتب عليها كل ما يتعلق بذلك.

وكانت أول محكمة في دائرتنا تملك ذلك، وتحسن سير أمور المحكمة تحسنا ملموسا، ماديا وأديا، وكان من قبلي يلتجئ إلى الغير عند كتابة تقرير أو جواب بالفرنسية.

وكان الشيخ الحاج أحمد بن موسى بابا عمي يلقبني في العموم شيخ العدالة، وكان ذلك يخجلني.

(1) - مثل عامي له معنى الاستسلام للأمر الواقع.

(1) - الحديث لم يورده أصحاب الكتب التسعة.

من مشاهد رحلته إلى أوروبا:

وعند سفري إلى أوروبا سنة 1935م، شاهدت أمورا كثيرة، وتعلمت كثيرا منها، وذلك مصداقا لقول الشاعر:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر، ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم، وآداب، وصحبة ماجد
وعندما وصلت إلى مرسيليا وجدت على رصيف البحر حمالين
ينتظرون حمل الأدباش وهم من الفرنسيين، فتعجبت من ذلك، ولم يكن
في ذهني أن يكون الحمال فرنسيا. وبذلك سقطت قيمة فرنسا في عيني،
وأمرت أحدهم بحمل كل أدباشي إلى سيارة تاكسي، ففك حزامه
وربط الشنط مع حقيبة اليد فيها، ورفع الجميع.

وفي الغد خرجت متجولا في أنحاء المدينة مع السواح، وصعدنا
إلى قمة جبل مظل على المدينة، فيه كنيسة تسمى: NOTRE DAME
DE FRANCE سيدتنا الحارسة.

وهي على نمط مساجد القاهرة، وأخبرت بأن نابليون الثالث هو
الذي شيدها على ذلك النمط.

وفي خارجها سوق رائحة لشراء الشموع. فسألت عن ذلك فقيل
لي: إن المغتربين من التجار والمسافرين والبحارة إذا غادروا المدينة يأتي
أقرباؤهم ليشتروا شموعا بعدد الأيام التي سيقضونها في الخارج، وهناك
راهبات توقد تلك الشموع يوميا، وجعلن منها تجارة رائحة، حيث يأخذن
كمية كبيرة منها، ويستعملن منها نصيبا والباقي يرجع إلى البيع، ويأخذن
ثمنه، واستفدت أن مثل هذا القوم لهم خرافات مثل ما عندنا.

وجعلت مدينة نيس مقرا لإقامتي في الناحية، حيث في كل يوم
أجول في ناحية من نواحيها وأرجع عشية إليها.

وفي أول يوم زرت إحدى معالمها، ومما استرعى انتباهي وجود
كنيسة منسوبة إلى الروس EGLISE RUSSE، في صومعتها هلال
يعلوه صليب، والهلل يرمز إلى الإسلام، والصليب يرمز إلى المسيحية،
ومعناه أن الصليبية تعلو على الإسلام. وهذا هو التعصب الديني فاعتبروا
يا أولي الأبصار.

وفي اليوم الثاني عزمت على زيارة مدينة MONTICARLO
مدينة القمار المشهورة عالميا، وقبل ركوبي حافلة السواح اشتريت
جريدة NICE MATIN "نيس الصباح"، وجلست إلى مقعدي، وبعد
الفراغ من قراءتها تركتها في مقعد حولي، وطلب مني أحد السواح
قراءتها فدفعتها له، وبعد إتمام قراءتها تعرفنا على بعضنا البعض، فإذا هو
وقرينته من سكان باريس قدموا إلى نيس للنزهة فيها وفي نواحيها.
وأثناء الطريق وقفت الحافلة لمشاهدة آثار الفينيقيين، فنزلنا وطلب مني
أخذ صورة تذكارية صحبة زوجته، فكان له ما أراد، كما طلبت
زوجته أخذ صورة لي مع زوجها، وعند وصولنا إلى
MONTICARLO توجهنا إلى قاعة القمار لزيارتها مع بقية السواح،
فطلبت مني سيدة من رواد تلك القاعة مصاحبتي للقمار، لأنها محظوظة
حسب زعمها، فاعتذرت قائلا: جئت زائرا مستطلعا ولا علاقة لي
بالقمار. فذهبت لحال سبيلها، وبعد الخروج منها توجهت أنا ومعارفي
الجدد إلى تناول الغداء في إحدى المطاعم، وعرضا علي تناول الغداء معا
فقبلت ذلك، وقبل الانتهاء منه اعتذرت لهما بقضاء حاجتي وفي أثناء
ذلك سددت مبلغ غداء الجميع، ورجعت إليهما، وبعد الفراغ توجهنا
إلى معرض تعرض فيه السفن بجميع أشكالها منذ القدم، وكان من
جملتها سفن شراعية مصنوعة في جزيرة جربة بتونس.

وبعد رجوعنا قافلين إلى مدينة نيس، توطدت العلاقة بيننا،
وطلب مني برنامج يوم غد، فقلت لهما إنني أنوي زيارة قرية

AINTIBE "عين الطيب" من شواطئ فرنسا، للاستحمام في البحر، فقالا لي: ذلك هو عين برناجنا، فسألتهما عن مضمون اسم تلك المدينة، فقالا: هكذا تسمى من قدم، فقلت لهما: إن هذا الاسم هو عربي، وترجمته بالفرنسية:

LA SOURCE PARFUMEE

وتعجبا من ذلك وقالا لي: إنك أعرف منا بوطننا.

وفي ذلك الحين سألت الزوج زوجته عن مبلغ ثمن الغداء، فقالت له: لم أَدفع شيئاً؟ فأجبتهما لا عليكما فقد سددت ذلك، وها هي النوبة. فوبخها زوجها على هذا التقصير. فقلت: لا عليكما، ففي غد عند ذهابنا إلى عين الطيب، فإننا سنتناول الغداء معا وسيسددان المبلغ الإجمالي، وانتهى المشكل. وهكذا سويت القضية ورسخت الصداقة بيننا، وكان الأمر كذلك.

وبعد ذلك زرت مدينة GRASSE "قراص" وهي على أعلى جبل، تزرع فيه جميع الزهور، ولا سيما الخزامى، ويسمى هذا الجبل جبل المغاربة. LE MONT DE MORT.

وهي مدينة مشهورة عالمياً بتقطير الزهور وصنع الروائح.

وفي طريقنا إلى ذلك الجبل توقفت الحافلة لمشاهدة العمال وهم يحصدون نبات الخزامى، وسألت أحدهم عن اسم هذا الجبل، فقال لي: هذا جبل أجدادكم، ومنه انحدرتم، وشاهدي على ذلك عندي بنت عيونها سود مثلكم. فقلت في نفسي: وتلك الأيام نداولها بين الناس.

وعند زيارتي لإحدى مصانعها، سألت: هل عندكم صلة بتجار في الجزائر؟ فقال المدير: صلتنا وطيدة مع السيد الزواي الحاج، صاحب مصنع الروائح بالجزائر لا غير، فاستبشرت بذلك خيراً.

وبعد إيابي إلى مدينة نيس تقابلت مع أصدقائي الباريسيين

فأخبرتهم بما شاهدته في مدينة قراص فتعجبا من واسع اطلاعي على تاريخ تلك الناحية، والفضل في ذلك يرجع إلى الأمير شكيب أرسلان الذي كتب عن تلك الناحية في إحدى مقالاته، وقد أوضح معالمها في كتابه "حاضر العالم الإسلامي".

فاستفسراني عن رحلتي، وقلت لهما: إني عازم على السفر إلى مدينة GRENOBLE شمالاً، ومنها إلى LYON، ومنها إلى باريس.

فألحاً علي بالنزول عندهم ضيفاً في باريس. وكذلك كان، وبذلك انتهت تلك الرحلة.

مواقف في مواجهة الاستبداد:

ولسعد إلى مسقط الرأس لتسجيل بعض حوادثها، وذلك في إحدى جلسات جمعية الضمان بغرداية تحت رئاسة الباشاغا بللو عام 1954م، عندما قدم دفتر حسابات البزرة لإمضائه، فبدأ بالإمضاء، ثم قدم الدفتر إلى الكاتب باعلي وعمر محمد بن بكير. وبعده أنا بصفتي وكيل العرش، فقمتم بمطالعة الحسابات فنهرني قائلاً: أليست لك ثقة بنا؟ قلت: بلى، ولكن ليس أكثر من سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ قال لربه: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ (1). صدق الله العظيم. وأنا أريد أن يطمئن قلبي، حتى إذا خرجت من عندك سئلت فأجبت عن معرفة. فقال الباشاغا: تعرفوا تهضروا (2).

(1) - سورة البقرة، آية 260.

(2) - عبارة شائعة في الدارجة الجزائرية، ومعناها: "أنكم تحسنون الكلام" على سبيل التهكم أو التهديد. (باجو)

الشيخ بيوض والمجلس الجزائري:

ففي أوائل سنة 1951 تقرر انتخاب أعضاء المجلس الوطني الجزائري، وناب لمنطقة ميزاب عضو واحد يمثل هذا المجلس، أما من الإصلاح فقد رشح عن حزبه العلامة الشيخ بيوض الحاج إبراهيم، أما عن الجمود السيد بللو يحي بن باحمد، باشاغا غرداية.

فصار كل فريق يث الدعاية لصالح مرشحه، ولذلك قدم الشيخ بيوض من القرارة، وعقدنا اجتماعا لطائفة المذاييح في دار الكوثر، وكان يمثله محمد بن عمر بوحميدة تحت رئاسة الشيخ بيوض، وشرح غرضه من الترشيح لهذا المنصب، وهو الخروج من قبضة الحكم العسكري والانتقال إلى الحكم المدني الذي يسهل لنا نيل حقوقنا المدنية، مع إجراء الإصلاحات الجهوية لمنطقتنا، وعدد مزايا هذا التحويل.

وعندما انتهى من كلامه طلب من السيد بوحميدة رأيه في الموضوع، فأجابه بقوله: قلوبنا معكم، وسيوفنا مع بني أمية.

فرجع بنا إلى عهد علي مع معاوية إلى منبع الفتن في الإسلام.

وبعبارة أوضح تكون أصواتهم في الانتخابات مع الباشاغا، وقلوبهم معنا.

﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ (1).

فشكره الشيخ على هذا التصريح واتضح بذلك موقفهم.

وفي يوم الانتخاب توليت رئاسة صندوق الانتخاب بالضاية

(1) - سورة البقرة، آية 10.

مرفوقا بالأخ قارة عمر علي بن بكير، الذي كان محل تجارته مقرا لسكان الضاية، ومأوا لهم لوضع أمتعتهم وأماناتهم وقضاء مآربهم، وجرى ذلك في جنان الحاج الشبيب، وعند افتتاح الانتخاب سألتني هذا الشخص: كم تتمنون أن تحصلوا من الأصوات هنا؟ قلت: تسعة. فتعجب من ذلك، وبعد مضي نصيب من الوقت وجد الأخ قارة عمر نفسه عطشان فطلب من أحد عمال الشبيب كوبا من الماء فاستشار في ذلك معلمه (1) فقال: قل له يشرب من الحوض. وكان مأؤه ملوثا بالماء والصابون. فلم أتعجب مما سمعت، وجرى في خاطري قول الشاعر:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا (2)

وبعد ذلك انتصر الشيخ بيوض في الانتخاب، وبعد أيام من ذلك قابلني الحاج الشبيب في زقاق الخضرة، وسألني في معنى تسعة أصوات فقط، وأنتم حزتم على ثمانية عشر صوتا، فقلت له: إنكم تعتقدون أن رقم تسعة فاسدة، وإذا كانت مكررة -ثمانية عشر- فهي فاسدة مرتين. فطأ رأسه وذهب إلى حال سبيله.

هذا ما كان من أمر الانتخاب، أما محمد بن عمر المذبوحي فقد صعد في سلم الترقيات بعد الاستقلال حتى صار من أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى، وعزم على القدوم إلى ميزاب لتلقي درس لأبنائها، والسيطرة عليهم حسب زعمه. وقبل بلوغ هدفه وقعت له حادثة سيارة فحمل إلى غرداية جثة هامدة، وإلى الله عاقبة الأمور.

(1) - "المعلم" معناها في الداريجة الجزائرية، السيد، أو رب العمل، أو المسؤول.

(2) - البيت لأبي الطيب المتنبي.

والفضل ما شهدت به الأعداء:

ووقعت لنا جلسة مع الكومندان سميث SCHMITH برفقة الأخ ناصر علي عند توديعه حيث انتقل إلى مدينة الجلفة، فقال: قد قدمت من الألزاس LALSASSE إلى الجزائر، وأعرف ما يسمى LES NORD AFRICAINS أناس شمال إفريقيا، ولما وصلت الجزائر العاصمة طفت بأحيائها للتعرف على أوضاعها فاسترعى انتباهي أناس لهم طريقة خاصة في سلوكهم وفي تجارقتهم ومعاملتهم، وسألت عنهم فقل لي: إن هؤلاء هم الميزابيون يقطنون في بوابة الصحراء، ويخذقون فن التجارة، ويعيشون خارج كتلة غيرهم من السكان، ويتضامنون مع بعضهم بعضا، وذلك ما أدى بي إلى دراسة أوضاعهم الاجتماعية وفي أحوالهم، فوجدت أن الثقة المتبادلة فيما بينهم، بين المعلم والصانع (1). فكلهم صناع وكلهم سادة، ولذلك نجحوا في تجارقتهم وسلوكوا مسلك الديمقراطية الحق.

ومما أعجبت به، النظافة في محلاتهم والتنسيق في عرض بضاعتهم، فحاولت دراسة مذهبهم مما وجدته مؤلفا في الشأن، وبعد ذلك ساقني الحظ إلى وطنكم، فاطلعت على جماعتكم وعشائركم، ونظام المدينة، ونظام توزيع المياه، وهندسة بناء مساكنكم، ورسوخ الديانة في أوساطكم، ونظام مساجدكم، فأكبرت عملكم، وزال إعجابي عن سيل الشكايات المتتالية ضدكم، وعلمت أن ذلك وقع ضدكم بدافع الحسد. ولهذا فإني استدعيتكم لما لكم من النفوذ طالبا منكم توحيد الصف بين المصلحين والجامدين، وبذل الجهد في ذلك.

(1) - المعلم والصانع، أي رب العمل والأجير العامل.

فأجبنه قائلين: بأن المحاولات جارية بين ممثل المصلحين الشيخ بيوض، وممثل الجمود السيد عبد الله بوكامل، فقال: في الحقيقة، فإن بوكامل جامد على المنصب، أما عن أفعاله فهي أفعال الإصلاح في مشروعه وفي حياته اليومية، وفي تعليمه لبناته الفرنسية عند الأخوات البيض.

فشكرناه على هذا الاهتمام، ووعدناه ببذل المساعي الحثيثة في الشأن، واختتم الجلسة قائلا: إني أرتحل إلى الجلفة، فإن كان لكم عندي حاجة فإني مستعد لتلبية مطالبكم.

وهذا ما يذكر بما حكاه لنا السيد دواق إبراهيم بن صالح عندما كان السيد لاكبير المحامي رئيسا لبلدية الجزائر العاصمة، وذلك عندما أسس عمال سكة الحديد تعاونية لهم قرب محطة حسين داي، وبمناسبة تدشينها قدموا دعوة له للإشراف على ذلك الحفل، وبعد طوافه في أرجاء تلك التعاونية سأل: كم عدد عمالها؟ فقال: اثنا عشر عاملا.

وبعد ذلك انتصبوا على مائدة المشروبات، وطلب منه الاستشارة برأيه في المشروع، فقال لهم: أتريدون مني الصراحة؟ قالوا: نعم. فقال: يكفي لتسيير هذا المشروع ميزابيان اثنان فقط.

La, sufi avec deux Mozabites

من إنجازات البلدية في عهد الشيخ:

ومن جملة مواقف البلدية الجديدة عندما وقع انهيار في إحدى سواقي السيل المنصبة في بوشمجان، وهي ساقية موش، وإصلاحها استقدم السيد بونعاش بكير بن حمو لتقييم إصلاحها وتنفيذ العمل، فقال: يستلزم لإصلاحها مدة خمسة شهور على الأقل، ومبلغ خمسة عشر مليون فرنك، فشرح المسألة للحاكم الفرنسي كلانكلاش CLAN CLACH فقال: عندنا لإصلاح المياه ميزانية تقدر بستة ملايين

فرنك في هذه السنة، فاشرعوا في العمل، ولعلنا في ميزانية السنة المقبلة نرصد لها عشرة مليون فرنك.

فوقع الاجتماع المصغر لدراسة ذلك المشروع، بمحضر السادة الناصري علي رئيسا، بوعروة بابا نائب أول، مصباح مسعود نائب ثان، نجار سليمان كاتب.

فاقترحت عليهم أن نعرض هذا المشروع على بابكر حمو المدعو "الازرق"، حيث إن له دراية بهذا العمل، فاستدعيناه فأجاب قائلا: إني مستعد للقيام بهذا العمل بشرط أن تقدموا لي جميع مواد البناء، وتسددوا لي أجره العمال، وأجرتي أسبوعيا، وطلب ما يجب تقديمه من المواد.

فوافقنا على طلبه، فقدم لنا جريدة مفصلة في ذلك، وشرعنا في تنفيذها، فأخبرنا الحاكم، فقال لكم في تصرفكم مبلغ ستة ملايين فرنك، فشرع الأخ بابكر حمو في تنفيذ عمله في جد وإتقان، وصرنا نتفقد عمله يوميا، تارة صباحا وتارة بعد العصر، لنقدم له مطالبه ونشجعه على عمله، وبعد ثلاثة أشهر تم ذلك البناء بإذن الله، والحمد لله. وما كاد ينتهي من فك الألواح الخشبية من البناء، حتى استجاب الله لعملنا وشمّلنا برحمة وبغيث نافع أروى المدينة شرقا وغربا، كما أروى به مائة وثمانية جنان كانت محرومة من ماء السيل لولا ذلك العمل.

وبعد يوم واحد من تلك الرحمة الشاملة الكاملة أخبرنا الحاكم بتمام ذلك البناء، وطلبنا منه مصاحبتنا لمشاهدته، واستصحب معه مخطط المشاريع "قاريق" GARIGUE، وعند بلوغنا عين المكان ووجدنا بطلنا بابكر حمو يجمع ألواحه وأمتعته مع عماله وماء السيل ما زال يجري، والتفت ونظر الحاكم إلى مخطط المشاريع قائلا: إنك كنت تقول

يستحيل البناء تحت ملايين الأطنان من الرمال المتداعية، وخطره محقق، ويجب منعه، والآن فماذا تقول؟ فأجاب قائلا: هذه معجزة.

ونظر الحاكم إلى بابكر حمو وسأله: ممن تلقيت هذا الفن؟ فقال: عندما كنت مغتربا في جنوب فرنسا، كنت عاملا بسيطا في إحدى ورشات البناء، فحذقت هذا العمل بمحض المشاهدة والملاحظة لا غير. وقال له: هكذا يكون الإخلاص.

وبعد جمع مصاريف البناء وجدنا أنه قد تكلف بمبلغ أربعة ملايين وثمانمائة ألف فرنك، وقدمنا كشفا للحاكم فقال: ما بقي من المال: أي مليون ومائتا ألف فرنك فأنفقوها في مشاريع الري الأخرى، ولي الثقة السامة في أعمالكم وخدماتكم. فأصلحنا بذلك المبلغ المتبقي ساقية بومزيدة وساقية تاكضيت، وبوشجمان.

هذا ما كان في إصلاح المياه، أما ما كان من تشجيع التعليم، فقد أمرت بلديتنا بشراء أرض صالحة لبناء مدرسة ابتدائية، وانعقد المجلس البلدي لاتخاذ قرار في الشأن، وبعد المداولة استقر رأي الجميع أن تكون تلك الأرض في الناحية الشمالية للمدينة حيث بدأ يمتد العمران نحوها، وأسند أمر التنفيذ إلى رئيس البلدية ونائبه.

وبعد البحث وقع الاختيار على قطعتين أولاهما في بابا سعد الغربي، عبر طريق السيارات ملك لروي الحاج أحمد، وثانيهما في بابا سعد الشرقي ملك موسى وسعيد أيوب وإخوانه.

وطلبنا منهما تقديم عروض أسعارهما كتابة، فكان سعر الأول ستة آلاف فرنك للمتر المربع، والثاني كذلك، وقدمنا تلك العروض إلى رئيس الدائرة CLAN KLACH فطلب رأينا في الشأن، واستحسننا القطعة الثانية على الأولى بسبب أن الأولى فيها تعرض الأطفال لحوادث المرور، ولا سيما مع التلاميذ الصغار، ولاحظ أن السعر مرتفع فأجيب

بأن ذلك هو السعر الجاري في تلك المنطقة، فقال: لكم الحرية التامة في النزول فيما هو أصلح لبناء مكتب للدراسة، فاستدعينا الحاج أحمد لروي طالبين منه خفض الثمن، فقال: إن الحكومة هي التي تدفع الثمن لا من جيوبكم، قدموا لها عرضي وعند موافقتنا فلكم خاصة ألف للمتر. ثم استدعينا الأخ أيوب بن صالح وطلبنا منه نفس الطلب، وأشرنا إليه بأن هذا المشروع هو لتعليم أبنائنا، ولذلك يجب التوضيحية، وبعد الأخذ والرد استقر الرأي على مبلغ خمسة آلاف وأربعمائة فرنك، فتمت له الصفقة.

وأخبرنا رئيس الدائرة فاستخدم الخبير GARIGUE فقام بمسح الأرض وتصميم البناء، وبعد ذلك عقدنا جلسة للمجلس البلدي وأخبرناهم بالنتيجة فاحتج صف المعارضة بأن أرض لروي أفضل وثنها أرخص، فأقنعوا بأن فيها سلامة أبنائنا من حوادث السيارات، وهو بيت القصيد، وقدموا احتجاجا في الشأن إلى رئيس الدائرة، وركزوا حجتهم على السعر المنخفض، وزعموا أن هناك تلاعبا في الأسعار بين الطرفين، وعند ذلك استقدم لديه الحاج أحمد لروي وطلب منه توضيحا في الشأن فقال: لقد تركتها لهم بسعر خمسة آلاف فرنك للمتر، فأجابه الرئيس إن عرضك فيه ستة آلاف فرنك، حسب الشهادة التي بيدي، وزاد قائلا: إني أعرفك جيدا، كما أعرفهم جيدا، فهم يعملون لبلدهم لا لجيوبهم، وأنت تسعى لإرشائهم بألف فرنك للمتر. فسقط في يده ورجع حسب المعارضة بخفي حنين.

وبعد ذلك تم تشييد تلك المدرسة، وهي الآن تسبح بحمد ربها، ويؤمها أولادنا للتعليم، ونرجو من الله ثوابها.

تلاميذ الشهادة الابتدائية:

كما تحصل على الشهادة الابتدائية خمسة تلاميذ من غرداية،

فاستدعيناهم وأقمنا لهم حفلا مع أوليائهم، بمحضر أعضاء البلدية، وبعد تناول المرطبات والشاي، وزعنا لكل واحد قاموسا كبيرا LA ROUSSE وعندما سمع الحاكم قدم إلى البلدية وشكرنا على هذا الصنيع، فقال: نحن أولى منكم بالقيام بهذا العمل.

شركة الجبس:

أما عن تاريخ شركة الجبس، فقد تأسست سنة 1957 بعد مخطط فصل الصحراء عن الجزائر وإلحاقها بفرنسا، وكان الغرض منها إشراك الميزابيين في شركات فرنسية لاستغلال مواد الصحراء، وكان موردنا هنا هو الجبس، ويعد ذلك أول خطوة في إبعادنا عن الجزائر وإلصاقنا والتحاقنا بفرنسا عمليا، وكان ممثلنا في تلك الشركة الفقيد بودي محمد بن سليمان العضو في مجلس العموم بباريس على وادي ميزاب، وكان رأس مالها مائة وخمسون مليون فرنك قديم، وساهم كافة الميزابيين بمبلغ خمسين مليون فرنك، يعني ثلث رأس مال الشركة، وذلك لتكون الأغلبية في صفوف الشركات الفرنسية، وعين رؤساؤها ومديرا عاما السيد: M.YAKE OURDIN. أما عن الشركات الفرنسية فهي: الشركة الفرنسية للصحراء، وشركة LA FARGE، وشركة موسي وبينو بباريس، والشركة الجزائرية للكاغذ والتغليف، ومقرها الرئيسي بعمليكة غرداية.

وبعد وفاة الأخ بودي محمد انتقل تمثيلها عن طريق الانتخاب إلى ثلاثة أعضاء، وهم حمودة بابا بن حمودة، وداود صالح بن حمو، وبوعروة بابا بن إبراهيم، وذلك لمدة ست سنوات، ابتداء من فاتح جانفي 1963م، ووقع لنا أول اجتماع بباريس يوم الجمعة 13 مارس 1964. بمحضر داود وصالح وبوعروة بابا عن نفسه ونياية عن الأخ حمودة بابا بن حمودة، ووقعت اقتراحات في تحسين سير الشركة.

كما وقع الاجتماع الثاني يوم 20 جوان 1965م حضرناه، وفيه وقعت حادثة من أغرب الصدف التاريخية، حيث كنت على موعد مع الأخ بابا بن حمودة لمقابلته صباحا في شركة باب عزون بالجزائر لنذهب معا إلى الدار البيضاء للسفر إلى باريس على متن الطائرة، وكان ذلك اليوم هو اليوم الذي وقع فيه الانقلاب للإطاحة بالرئيس ابن بلة، فلم يعلم بذلك، غير أنا شاهدنا نقصا في ازدحام المارة وغلقا لبعض المحلات التجارية، وفي سير السيارات، فهتفنا إلى نزل موريطانيا مقر شركة الطيران فأخبرنا بأن السفر يكون في الوقت المحدد، فامتطينا سيارة تاكسي وتوجهنا إلى المطار، ووصلنا مطار أورلي بباريس على الساعة الحادية عشرة صباحا، ووجدنا في انتظارنا هيئة التلفزة الفرنسية بكاميراتهم، وطلبوا الإجابة عن بعض أسئلتهم، وتقدم أحد الصحفيين قائلا: ماذا حدث في الجزائر العاصمة اليوم؟ حيث يشاع أن المطار مغلق وأن المحلات التجارية والإدارية مغلقة، فأجبت أن كل شيء عادي هناك، والمحال التجارية مفتوحة، والحافلات تجوب الشوارع، ولو كان المطار مغلقا لما وجدتمونا معكم هنا. فسألني أحدهم: هل تعلم بالانقلاب الواقع بالجزائر؟ فأجبته: هذا هو الخبر الأول. فقال: إذا، سقطنا من السماء؟ فأجبته: من الممكن أن يكون ذلك.

إن بومدين قد استولى على الحكم وأطاح بالرئيس ابن بلة، فما رأيكم في سلوك بومدين؟ وفي سمعته عند الشعب؟ هل هي طيبة أم لا؟ فأجبته: أنتم في موضع أحسن اطلاعا مني لمعرفة ذلك. فأجاب قائلا: أنا فرنسي وأنت جزائري، فأجبته: أنت صحفي وأنا تاجر. وبذلك تم الحوار بيننا، وذهب يسأل غيرنا.

فذهبنا إلى النزل الذي حجزنا فيه بيوت إقامتنا، فوجدناه ممتلئا لوجود السواح القادمين من ألمانيا لمشاهدة المعرض الدولي للطائرات المقام في مطار BOURGET، فتوجهنا إلى محل بومعقل عمر، وصلينا

صلاة الظهر والعصر، وقال استريحوا هنا وعند حضور العشاء سنستقدمكم. وعلى الثامنة ليلا فتحنا التلفزة فما راعنا إلا صورنا تصدر الأحداث مصحوبة بالأسئلة والأجوبة المذكورة أعلاه، وفي اليوم التالي توجهنا إلى زيارة معرض الطائرات، كنا في موضع إشارة الناس، فصار كل من رآنا يقول: ها هم. وقد رأونا بالأخبار ونحن قادمون من الجزائر.

أما عن أعضاء شركة الجبس فقد وقع اجتماعهم في الوقت المحدد وكانت هي آخر جلسة لها حيث أتمت الحكومة الجزائرية كل الشركة واستولت على جميع المصنع بما فيه، ووعدت بالتعويض لكل المشتركين، فلم يكن شيء من ذلك إلى يومنا هذا.

التلفزيون البلجيكي في استطلاع غرداية:

وبمناسبة حادثة التلفزة يجربنا الحديث إلى قدوم هيئة الإذاعة والتلفزة البلجيكية إلى غرداية لأخذ صور عن وضعيتها من قديم الزمان، وذلك في السبعينات

كان الوفد مصحوبا بتوصية من الحاج الناصر محمد الصغير، من الجزائر، وبأمر من الأستاذ فخار حمو بن عمر بالسير معهم وإمدادهم بالمعلومات الحقيقية واللائقة بسمعتنا، فكنت رفيقهم في هذه الرحلة.

ابتدأنا بزيارة سوق غرداية العامر، وتوقفنا حول الحويطة التي تتكون من خمسة وعشرين نصبا، يجتمع حولها رؤساء المدينة، منهم اثنا عشر عضوا من حلقة العزابة، ومثل ذلك من أعيان المدينة، والكل تحت رئاسة شيخ المسجد. وقراراتهم تنفذ من كلا الطرفين معا، بعد الإعلان عنها في المسجد الأعظم.

ومنها توجهنا إلى سوق الدلالة (1). فشرحت لهم وظيفة الأمناء، حيث كان لكل حرفة أمينها، ومنها أمين الدالين، وأمين المسالخ، وأمناء المدينة، تسكره. وأمناء السيل، كما يفتتح البيع والشراء في السوق أحد العزابة. وإذا وقع إشكال بين الدلال وغيره فالمرجع يكون لذلك العزاب الذي يفض المشكل بينهما.

وصعدنا المدرج الصاعد إلى أعالي المدينة، وفي الرحلة شرحت لهم بأن السوق الأصلي بغرداية هو الرحبة، وهو السوق القديم، حيث ينتهي العمران، ثم توسعت المدينة بعد ذلك تدريجيا حتى صار إلى ما هو عليه الآن.

ودخلنا المسجد ثم أمرتهم بترك نعالهم في صحن المسجد، ودخلناه فصليت ركعتين تحية المسجد، وصاروا يتعجبون من ذلك، ثم أمددتهم بالمعلومات المتعلقة ببناؤه تدريجيا حسب المحاريب الموجودة فيه، فراعهم ذلك البناء الذي يرجع إلى عشرات القرون.

وبعدها انتقلنا إلى مقبرة الشيخ أمي سعيد، حيث طافوا حول مصلاه، وأرشدتهم فيها إلى مكان محكمة استئناف الأحكام الابتدائية الصادرة من طرف المحاكم الإباضية الخمس، وإلى غرفة جلوس المتخاصمين، والشهود وكيفية تنفيذ أحكامها.

وبعدها توجهت إلى مقبرة الشيخ بابا والجمة، وقدمت لهم لمحة عن تاريخه، إذ قام بغراسة البساتين، وهو ثاني شيخ من مشايخ غرداية، ووقع الاستقرار في عهده، بعد ما كان أهل ميزاب، بدوا رحلا يرحلون مع المواشي طلبا للماء والكلا، فرجعوا إلى الفلاحة بعد الرعي.

وفي اليوم الثاني انتقلنا إلى الأجنة، وعند خروجنا في الطريق في

(1) - سوق خاصة ببيع المنتجات المحلية من الزراي والثياب الصوفية وغيرها بالمزاد العلني، وتقع هذه السوق في وسط مدينة غرداية.

المنعطف قابلتنا مقبرة الشيخ بابا ثامر، وهو الجدد الرابع لمدينتنا، وأنا من ذريته ومنسوب إليه.

ولما وصلنا جبل بابا السعد وشرحت لهم بأن أصل غرداية كان على قمة هذا الجبل، وقد بناها مؤسس غرداية الشيخ بابا السعد، الذي هو أول شيخ بها. وقد تتلمذ على الشيخ أبي بكر محمد بن أبي بكر النفوسي الفرسطائي، الذي هو صاحب نظام العزابة، الذي لا يزال مطبقا عندنا إلى اليوم.

وعند وصولنا إلى ناحية إموضان أخبرتهم بأن لمدينة غرداية رتتين، إحداهما غربية والأخرى شرقية، سد التوزوز، وسد بوشن، إذا امتلأ بالسيل زال الجفاف عندنا مدة أربع سنين متوالية.

وعند وصولنا إلى ساقية بوشمجان شرحت لهم كيفية تقسيم المياه، فتعجبوا من هذا النظام المحكم الذي أقامه أجدادنا رحمهم الله.

وهم في كل ذلك ينقلون صورا ويسجلون كلاما بالفرنسية.

ومنها صعدنا إلى برج بولنوار، فأخبرتهم بأن هذا البرج شيد لمراقبة ما يأتي من الشمال من ماء السيل، أو عدو يهجم غازيا، فإذا كان من ماء السيل أشعلوا المشاعل، ولوحوا بها من الشمال إلى القبلة، وإذا كان من العدو أشعلوا المشاعل ولوحوا بها من الغرب إلى الشرق، ولذا سمي بولنوار.

ومنها توجهنا إلى مسجد الشعبة، وفيها ثلاث طبقات بعضها فوق بعض، فتعجبوا من ذلك الهيكل في البناء كل إعجاب.

ومنها نزلنا المدرج إلى بوشمجان لمشاهدة مخارج مياه السيل والتقسيم الجزئي لكل جنان.

ثم توجهنا إلى مسجد بوشمجان، ومدرسة الإصلاح، وكانت

نهایة هذا اليوم هو مسجد رأس الغابة.

وفي اليوم الثالث اقتصرنا على زيارة مدرسة الإصلاح بحواشة،
ومسجد بابا السعد.

وبعدما طلبت منهم إعطاء رأيهم فقالوا: ما كنا نتوقع أن نشاهد
ما شاهدناه، ولا أن نسمع ما سمعناه، وهذا دليل على الحكومة مهتمة
بكم. فقلت لهم: في ما ذا؟ فقالوا: في الأموال التي تنفقها في تشييد
مساجدكم ومدارسكم. فقلت: إن كل ما شاهدتموه من بناء وتشييد
فهو من إعانات الشعب، لأن مبدأنا هو الاعتماد على النفس، فإذا أردنا
بناء شيء اعتمدنا على أنفسنا ولا نكلف حكومتنا في ذلك شيئا.

وطلبوا مثالا لذلك فشرحت لهم كيفية العمل لبناء مسجد بابا
السعد، حيث كانت أرضها ملكا لإحدى عائلاتنا، ومساحتها ثلاثة
آلاف متر مربع، ولما اجتمع وتشاوروا فيما يصلح لها، أو في تقسيمها،
فقال ممثل العائلة السيد ناصري علي أرى أن في تقسيمها مشاكل كثيرة
يصعب حلها، لذلك الرأي عندي أن يقام على الأرض مسجد يصلي
فيه المسلمون ليحصل على الذي تركوها من أجدادنا أجر عظيم،
فوافقوا بالإجماع على ذلك، فأخبر نائب وكيل المسجد السيد رأس
النعامة الحاج أحمد ليليلغ الخبر إلى حلقة العزابة، فانتدبوا لإقامة هذا
المشروع السيدين بابكر صالح بن قاسم، وعمي سعيد حمو بن موسى،
فطلبنا من السيد بونعاش الحاج بكير أن يضع تخطيطا لهذا المسجد، وعند
الانتهاء من هذا العمل صرح بأني أتبرع أنا وعمالي لهذا المشروع
بأسبوعين من العمل.

وشاع الخبر في المدينة، وتبرع محسن بمائة قنطار إسمنت، وآخر
بمائة شاحنة من حجر البناء، وآخر بحمولة خمسين شاحنة حصبة

(أزرار) (1)، وسار البناء على ذلك المنوال، كما صار المحسنون يتبارون
في التسرع لذلك المشروع، أحدهم بما يكفي من لوازم البياض، وآخر
بجهاز الكهرباء، وبعد مضي عام ونصف تم ذلك البناء بإذن الله والحمد
لله. GRACE A DIEU

والطريقة المتبعة في هذا المسجد هي نفس الطريقة المتبعة ففي
مسجد رأس الغابة، ومدارسنا كلها.

وتعجبوا مما سمعوا، وصار كل واحد ينظر إلى الآخرين كأنه في
أحلام، فقال أحدهم: إذن أنتم أغنياء، فأجبتهم بقولي: نحن نطبق مبدأ
الاقتصاد.

Nous appliquons le principe de l'economie

وقالوا: نرجو منك شرح هذه النظم. فقلت لهم: كم يكون عدد
سكان وادي ميزاب تقريبا؟ قال: ممكن مائة ألف نسمة. فقلت: كم
تناول من علبة سجائر في اليوم؟ فقال: علبة ونصف. فقلت: كم ثمنها؟
فقال: 110 فرنك للواحدة. فقلت له: لنفرض تناول علبة واحدة،
يكون المجموع 1.400.000 فرنك عن جميع الناس يوميا، وفي السنة
يكون مصروف 415.000.000 فرنك.

وبمبلغ الدخان المتطاير نبي ونشيد المؤسسات.

وقالوا: بهذا الدخان الذي نتناوله يصنعون كل هذه المؤسسات.
نشكركم على هذا الصنيع الذي لا مثيل له في العالم.

فقالوا: إذن، لا يوجد عندكم مدخن؟ فقلت: يوجد، ولكنهم
قلة، ولا يفعلون ذلك جهارا.

وعادوا يكررون قولهم، ويرددون فيما بينهم، وعلى ذلك افترقنا.

(1) - تسمية محلية للرمل المعد للبناء يخلطه مع حجر الجير.

قصة شركة الحافلات البلدية:

أما مشاكل الحافلات البلدية فقد استحسن البعد عنها وتركها للأخ بابكر قاسم بن عيسى، لكوني عديم الخبرة في إصلاحها وصيانتها، وكانت نيّتي فتح مكتب كاتب عمومي، وهو العمل الذي تخصصت فيه، وأرجو النجاح فيه ماديا وأديبا، غير أن الإخوان بابكر صالح وناصر علي ومصباح الحاج مسعود، ألخوا علي بصفة مؤقتة على مبدأ توزيع الأعمال، حتى يقوم الأخ بابكر صالح بإدارة جمعية الإصلاح، وناصر علي بتسيير المستودع، وأنا بإدارة الحافلات، وتوكلت على الله، وقدمت المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وقمت بالمشروع على قدر المستطاع، رغم ما فيه من صعوبات ومشاق، وتقاعس المشتركين عن مد الأموال اللازمة لتسيير المشروع، فانصب كل ما أملك من فكر وجهد ومال في ذلك، وشاءت الألفاظ الربانية أن تخرجني من هذا المأزق على يد الأستاذ فخار حمو بن عمر جزاه الله بأحسن الجزاء، وتنفس الصعداء.

وهذا ما جرى لي أيضا عندما أسندت إلى وكالة حبوس أملاك باسة للجمعيات الثمانية بإلحاح من الفاضلين الشيخ بيوض والأستاذ بابكر صالح، رحمهم الله، وأرجو من الله أن يفكني من ورطتها أيضا على يده.

جمعية الإصلاح:

أما عن رئاسة جمعية الإصلاح فقد تحصلت الجمعية على تركية من طرف الحكومة يوم 18 ديسمبر 1972م، صرت فيه النائب الأول للرئيس، وعند انتقال المغفور له بابكر صالح إلى النعيم المقيم إن شاء الله، وذلك في 19 مارس 1976م، تقلدت رئاسة الجمعية وذلك بصفة شرفية تقريبا، وكامل العبء تحمله الأستاذ فخار حمو حيث كان مديرا عاما لجميع المدارس جزاه الله بأحسن الجزاء، وأسبغ عليه وعلينا نعمه ظاهرة وباطنة. آمين.

نظرتي إلى المستقبل:

أما نظرتي إلى المستقبل فبالتفاؤل والاستبشار ومزيد من النشاط والاستبصار للإصلاح والمصلحين، حيث إذا نظرنا إلى الخطوات الهادفة التي خطتها جمعية الإصلاح في ميادين التعليم الابتدائي والثانوي والنشاط الرياضي والكشفي، وإذا استعرضنا التخطيط الديني وذلك بازدهار نطاق تشييد البنايات الجديدة للتعليم، وبناء المساجد والوعظ والإرشاد، والقيام بحفلات الأعراس والتدخل لتحسين الحالة الاجتماعية للشعب بصفة تدريجية، وبتقليص الزوايا من العادات القديمة، ومحاربة التبذير في الأوقات والأموال، وكان حجر الزاوية في كل هذا هو الانسجام التام الكامل العام -والحمد لله- مع جميع هيئاتنا، وكذا التشاور مع أعيان الأمة، ولا سيما أعضاء الحراسة، وذلك ما يشر بتقدم الإصلاح في جميع الميادين، والعاقبة للمتقين.

وبناء على ما تقدم فإن توصياتي عموما، هي الإخلاص في العمل، والاستقامة في السلوك، والتضحية من أجل الصالح العام، والإحسان مع كل أحد، والمجادلة بالتي هي أحسن، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب. والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وقع هذا الملحق صبيحة يوم الخميس 22 شعبان 1406هـ الموافق

لـ 1 ماي 1986م.



كلمة الشيخ حموفخار في جنازة الشيخ بابا ثامر

يوم الجمعة 21 جمادى الأولى 1408هـ / موافق لـ 30 ديسمبر 1988م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على قدوتنا محمد سيد الصابرين، القائل يوم اختار الله ولده إليه، وهو وحيد وقرّة عينه: «إن العين لتدمع، وإن القلب ليخشع، وإنا لمحزونون عليك يا إبراهيم» (1).

كذلك يجدر بنا أن نقول؛ ونحن نودع جثمان أستاذنا الفاضل الكريم الشيخ بوعروة إبراهيم.

أجل؛ إن العين لتدمع، وإن القلب ليخشع لاختطافك، وإن النفس لتذوب حسرة ولوعة لفقدك واختفائك، وإنا لمحزونون عليك يا إبراهيم.

فحسبنا أن نقول، كما علمنا ربنا عند كل مصيبة: «إنا لله وإنا إليه راجعون» (2).

وبعد.

فإذا كان الموت أحد الواعظين اللذين تركهما سيد المرسلين، فمن حقكم علينا أيها الوافدون من كل صوب وحذب، أن ننشر عليكم

(1) - الحديث أخرجه الشيخان وأحمد وابن ماجه، ولفظه عند البخاري عن طريق أنس بن مالك: «قال صلى الله عليه وسلم إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»، البخاري، كتاب الجنائز، حديث رقم 1220. (ترقيم العالمية).

(2) - سورة البقرة، آية 156.

عينات من صالح أعمال الفقيد، في هذه اللحظات الأخيرة من انتقاله إلى ربه، عساها تكون شهادة منا له بصلاحه واستقامته، يزفها البررة الكاتبون، ويفرشونها له حللا سندسية في قبره، ويؤانسونه بها في برزخه.

ثم لعلها تكون للباقيين منا على قيد الحياة موعظة وذكرى، تحملنا على الأسوة الحسنة بالطيبين، وزادا يوصلنا إلى دار الكرامة يوم نلحق بالسابقين.

ولد شيخنا المنعم إن شاء الله سنة 1908م، بغابة حمو دادي في الشعبة، وتوفي كما رأيت سنة 1988م، فهو قد قضى في الحياة الدنيا ثمانين سنة على الحساب الشمسي. وهي المدة التي قال فيها الشاعر قديما:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم (1)

فنظرا لهذا، ونظرا للمرض الذي يعاوده كل عام ينهك قواه بالسعال، ويلزمه الفراش أياما، ويقتضيه العلاج دواما، حتى ضعف قلبه فصار لا يحتمل التعب الجسماني، ولا الفكري، الأمر الذي تغلب عليه في هذه الفترة الأخيرة، وأشار الأطباء بنقله إلى حيث الأجهزة والكفاءة بالشمال لإنقاذه، لكن ضعف القلب كان يسرع به إلى أجله، سرعة الملك إلى سل روحه ليودعه حيث تودع أرواح المقربين، حيث الروح والريحان وجنة النعيم من ذويه ومحبيه، على الساعة العاشرة من يوم الاثنين ليلا 26 ديسمبر 1988م، لكنهم لم يستطيعوا أن يدرأوا عنه الموت كما لم يستطع أي عزيز أن يؤجلها أو يدفعها على عزيز..

«فلولا إذا بلغت الحلقوم، وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون، فلولا إن كنتم غير مدينين، ترجعونها

(1) - البيت من قصيدة مشهورة للشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى.

إن كنتم صادقين» (1).

والآن تعالوا نستعرض على وجه السرعة وعلى سبيل المثال لا على سبيل الحصر كيف وأين قضى الثمانين سنة من عمره،

حصيلته العلمية:

ختم القرآن العظيم على يد الشيخ بن يعقوب

وحفظ الأربعين النووية، وأرجوزة في الميراث.

واحتوى كثيرا من "ألفية ابن مالك" في النحو و"قطر الندى وبل الصدى" فيه.

وبرع في اللغة الفرنسية إلى حد الترجمة، تلقاها في ليسبي كارنو.

وأتقن الخط فكان خطه من أجمل الخطوط وأوضحها.

طالع تفسير القرآن للشيخ محمد عبده ولغيره من أوله إلى آخره.

أعماله في المجال الاجتماعي والسياسي والعلمي والاقتصادي:

تلقى معلوماته بتونس بكل من مدرسة السلام تحت إدارة الشيخ الشاذلي المرالي، وبالمدرسة القرآنية مع الرعيل الأول، كمفدي زكرياء ورمضان حمود، وخزندار والشابي من تونس، وسعيد عدون وأحمد بن الحاج يحيى، وبابكر صالح، وبغباغة أحمد، وتزبينت يوسف، وبابانو محمد بن يوسف، وأضرابهم.

وكان مأوى الجميع دار البعثة التي يشرف عليها المرحوم السيد الحاج صالح بن باعلي المجاورة لدار البعثة الأخرى للشيخ أبي اليقظان.

وفي هذه الدار أقاموا حفل تكريم الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومن تلك الحفلة عزم الشيخ ابن باديس على إيقاظ أهل الشمال لما سبق

(1) - سورة الواقعة، الآيات: 83-87.

إليه أهل الجنوب، وخطب في الحفلة خطبة مشهورة في التنويه بالميزابين، وتحسر على حالة بقية الجزائريين.

كان ممن حضر الحفل الشيخ يوسف بن بكير، الشيخ أحمد قزريض، الشقمة الحاج محمد، الشيخ أبو إسحاق، رحم الله الجميع.

رجع من تونس بعد إتمام معلوماته سنة 1928م، وشارك في تأسيس جمعية الإصلاح بغرداية، وفي وضع قانونها الأساسي، وفي التعليم بها فترة من الزمن.

وفي فترة زمنية لما أقام بغرداية انتخب عضوا في المجلس الإداري، وعين كاتباً للجمعية في سنة 1951 ودام كاتباً حتى سنة 1959م، أي ثماني سنوات كاملة.

وفي 18 ديسمبر 1972 انتخب نائبا للرئيس في حياة الشيخ صالح بابكر رحمه الله، ودام كذلك ثلاث سنوات، ثم ترأس الجمعية بعد وفاة الشيخ صالح بابكر من مارس 1976، إلى آخر هذا العام 1988.

فمدة كفاحه في إطار الجمعية ما بين الكتابة والنيابة والرئاسة ثلاثة وعشرون عاما، أي قرابة ربع قرن.

هذا عدا اضطلاعهم بالجمعية على هامش الإدارة تدبيرا وتعلما ومساعدة وتأيدا. أثقل الله بها ميزان حسناته، بقدر ما تعلم في مدارسنا ومعاهدنا من تلاميذ وتلميذات، وتخرج من معلمين ومعلمات، ونجح في الحياة من آباء وأمهات، وحاز على الحسنيين من الجنسين، من أول تأسيس المشروع التربوي إلى يوم الدين.

زاول التجارة في وادي الزناقي، حيث الحمى، وقاسى من بلائها ما قاساه أهل زمنه...

وشرب القهوة بالعشرات في اليوم حتى أضرت به، وقاطعها...

وفتح متجرا مستقلا بقسنطينة جوار "بزار دي قلوب"، دام به سنوات، كنت أزوره به وأستأنس بحديثه وأستفيد من توجيهاته السديدة.

ولا أنسى تنازله لي -وأنا تلميذ قليل البضاعة- كامل رمضان، أتعلم تحت إشرافه إلقاء الدروس بمصلى بن دالي (1)، ودرس العيد بالمقبرة.

كما لا أنسى تفضله علي بفتح مكتبته الغنية، وجعلها في متناول يدي أقضي بين مظالمها عطلي الصيفية، ثم جاد بأكثر ما فيها من مجلات رفيعة كالرسالة والرواية لأحمد الزيات لمكتبة الإصلاح، فهي الآن بما لمن يروم إرواء ذوقه في الأدب الرفيع.

عمل باش عدل في محكمة قسنطينة، ابتداء من سنة 1928 مدة زمنية، تعرض خلالها للحسد والاقهام من مغرضين، ففضى في السجن خمسين يوما، فلما خرج بريئا مما ألصق به عاف الوظيفة واعتزل القضاء.

لكن لما حل بغرداية نازحا عن الغربية، لم تعفه الأمة، فانتخبته نائبا عن عشيرته في مجلس الضمان حوالي 1950، ثم عين وكيلا للعرش في دورة انتخابية أخرى، ثم نائبا أول لرئيس البلدية المرحوم ناصر علي.. وقام مع جماعته بإصلاحات كبيرة وكثيرة في ذلك العهد، لا مجال لإحصائها.

ومن أبرزها إعفاء المواطنين من حمل أوساخهم بتكوين رجال خاصين للنظافة داخل البلد.

أما في عهد الثورة فكانت له مواقف مشرفة سوف نتعرض لها في حفلة تأيينه متى توفرت لنا المصادر مما تركه في مكتبته.

(1) - مصلى يقع في قلب مدينة قسنطينة، قريب من حي رجة الجمال.

كما سنبسط القول في إبراز هذه الشخصية الفذة التي يحسبها الكثير لتواضعها وبعدها عن الادعاء إنسانا عاديا، وهو -وربكم- شخصية رفيعة، من النوع السهل الممتنع، مخلص دؤوب، ودود عفو كريم.

وقد تعرض للسجن ثمانية أيام من أجل القضية الوطنية، وثبت ثبوت الجبال الرواسي مع رفاقه آنذاك.

شارك في تأسيس جمعية الهدى ومدرستها بقسنطينة، وترأسها فترة وجوده بها، وتركها تسبح له، ولكن لا يفقه الناس تسبيحها..

مارس الصحافة بمقالات عدة لما تأسست جريدة "الجزائر الجمهورية" فكان مراسلا لها.

فليعلم المراسلون والمعلمون والإداريون والتجار والقضاة، أن بوعدة إبراهيم كان سلفهم الصالح الذي خاض كل ما يخوضون من ميادين قبلهم، وفتح لهم الطريق بأمانة وعزم وشجاعة وإقدام.

كان له -رحمه الله- بجانب اللغتين العربية والفرنسية، حذق جيد باللغة الدارجة، يشهد له قصائد عدة بالملحون التي يؤلفها في المناسبات السياسية، ويكون لها الوقع المرجو في النفوس.

رحل إلى الحج مرتين، وكنت في الأخيرة رفيقه مع الأخ عبد الرحمن حواش في رحلة دامت شهرين، زرنا خلالها طائفة من مدن الغرب، وأخرى من مدن الشرق العربي، وتمت بذلك معرفتي به وإجلالي له لسجاياه الحميدة، التي يعز وجودها عند الكثيرين.

شارك في سنة 1932 في رفع الظلم عن مقبرة قسنطينة الإباضية، التي أرادها غلاة الاستعمار طريقا، في شرح طويل لا تستوعبه محاضرة، خلاصتها أن الخصام دام سنوات، وانتصرنا على فرنسا بفضل الله.

ومن جراء بلائه في القضية أسندت إليه جماعة قسنطينة السفر إلى باريس لاستجلاب ملف القضية بعد الانتصار من الوكيل، فكانت فرصة له زار خلالها ما وراء البحار، ثم أعاد الكرة لزيارة جنوب فرنسا لمشاهدة المعالم التي كان أجدادنا الجزائريون يحكمونها.

ثم توجه إلى شمال فرنسا، إلى قرونوبل، وفي هذه المدينة قرأ في إحدى الجرائد إعلانا عن انعقاد مؤتمر لمسلمي أوروبا في جنيف بسويسرا، تحت إشراف الأمير شكيب أرسلان، أمير البيان، من يوم 12 إلى 15 سبتمبر 1935، فتوجه شيخنا المرحوم بوعروة إلى جنيف وشارك في المؤتمر بصفته جزائريا من سلك القضاء الإسلامي بها.

والذي يستحق الذكر في هذا المؤتمر أن الزعيم مصالي كان من الحاضرين فألقى خطابا بالفرنسية، فقبل له تعليقا: أنتم الجزائريون أسود في الفرنسية، ولكنكم صم بكم في العربية.

وهنا قام الشيخ بوعروة فطلب الإذن له بإلقاء خطاب غدا، فلما كان الغد ألقى خطابا مرتجلا بالعربية الفصحى، طرب له الحاضرون وعلى رأسهم شكيب أرسلان، فدعا الشيخ بوعروة لمأدبة الغداء، وأهدى له خاتما ثميناً، لا يزال يحتفظ به. فالرجاء أن يحتفظ به ورثته من بعده، لأنه يذكرنا بمواقف رجالنا الأفذاذ، وبأصالتنا في لغة الضاد.

ترأس عشيرته آل باخة، حتى آخر رمق من حياته، وجباها ما عنده من جهد وإمكانات.

وأخيرا، وليس آخرا، تحمل عبء شركة الحافلات الحضرية، مدة لا تقل عن عشرين عاما، خسر خلالها عشرين مليوناً من ماله الخاص، لما قعد به من وعده بالإمداد والعون، فلما اشترى الحافلة من المتفق على شرائها قلب له ظهر المحن، فلم يجد بدا من بيع بعض ممتلكاته لتسديد ثمن الحافلة..

ولعل أعظم ما هدد أعصابه هموم هذه الشركة التي بقي وحده يباشر أعباءها في السنوات الأخيرة.

فليعلم ذلك من ينادون بإحياء هذا المشروع، وليتأكدوا أنه لا يعود إلى الوجود ما لم يوجد في الأمة مثل فقيدنا، من يتحمل مسؤوليته في تضحيته ودأبه وصمته.

وإلى هنا أقطع جبل الحديث، وإلى فرصة أخرى، نسأل الله أن يجود بما لنوفي للراحل بضع حقه، فاسألوا الله معي أن يغدق عليه شأيب رحمته، ويتلقاه بكرمه وعفوه، ويجزل ثوابه، ويضاعف حسناته، ويشبته -وهو الآن يسأل- على القول الثابت، ويجمعنا وإياه في دار الخلد، وفي جنات النعيم، مع أوليائه «الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا» (1).

ملحق:

قد تبين بعد كتابة الخطاب أن موته لم يحضره أحد من ذويه ولا من المرضين، لأنهم تركوه بعد تناول عشائه في حالة لا تنذر بالموت، ففاجأته سكتة قلبية.

فخار هو بن عمر

رسالة نموذجية حررها الشيخ حموفخار عن أسرة الإصلاح جوابا لرسائل

التعزية في وفاة الشيخ بابا ثامر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

مجلس العزابة. الهيئة الدينية لمساجد الإصلاح

سعادة الأخ الكريم.... ومن معه من الإخوة الفضلاء بمدينة....

أبعد الله عنا وعنكم مهالك الدنيا والآخرة، وألحقنا وإياكم
برحمته وأوليائه الصالحين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من إخوانكم إدارة جمعية
الإصلاح بغرداية وحلقة العزابة، ومن تحويه عنايتها من أساتذة وطلبة
ونشاطات مختلفة...

بلغتنا رسالتكم معزية في فقيد العروبة والإسلام والجزائر، فكانت
نعم المخفف لمصابنا الأليم، ورزقنا العظيم.

فشكرا لكم على مواساتكم ومشاركتكم، أثابكم الله على ذلك،
وعوضنا وإياكم من يخلف الفقيد العزيز الشيخ بوغروة بابا بن إبراهيم
في تضحيته وتفانيه في مجالات الخير، وما أكثرها عنده.

وإذا رمت مزيدا من التعرف بالرجل المنعم فعليكم بمطالعة الفصل
الذي نشرته جريدة الشعب في عددها 7827 الصادر يوم الثلاثاء 24
جمادى الأولى 1409 هـ الموافق لـ 3 جانفي 1989م، والذي يحمل
ملخصا مما أذيع في جنازته من طرف كاتب الجمعية.

وفي النية إقامة حفل تأبين في فرصة موالية إذا توافرت لدينا
المعلومات التي لا تزال تعوزنا.

وإلى أن يأذن الله بذلك تقبلوا خالص التحية وبالغ الشكر من
ذويه، زوجة وأولادا، ومن رفقاءه إدارة وعزابة وأحبابا.

ودمت في رعاية الله وحفظه لإخوانكم وللكتاب عن إذفهم،
الكاتب العام لجمعية الإصلاح وخادمه.

فخار هو بن عمر

الجمعة 28 جمادى الأولى 1409 هـ / 6 جانفي 1989م.

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن حياة المرحوم الشيخ بابا بن إبراهيم بوعروة

1326-1409هـ / 1908-1988م

- هو الشيخ بابا ثامر بن إبراهيم بوعروة.
- ولد سنة 1326هـ / 1908م بغابة حمو دادي ببساتين النخيل بغرداية، من عائلة متواضعة متمسكة بالأصول الدينية والأخلاق الإسلامية الصحيحة.
- ختم القرآن الكريم في سن مبكرة على يد الشيخ ابن يعقوب.
- حفظ الأربعين النووية وأرجوزة في الميراث، (حيث كان يتقن الفصل في التركات وشديد الحفظ للأمانات)
- احتوى الكثير من ألفية ابن مالك في النحو وقطر الندى.
- برع في اللغة الفرنسية إلى حد الترجمة.
- كان يتقن الخط إذ كان خطه من أجود الخطوط وأوضحها.
- طالع تفسير القرآن للشيخ محمد عبده من أوله إلى آخره.
- وقد تلقى معارفه في تونس في كل من مدرسة السلام تحت إدارة الشيخ الشاذلي وبالمدرسة القرآنية.
- وكان ذلك مع الرعيل الأول للبعثة الميزابية إلى تونس، منهم: الشاعران مفدي زكرياء ورمضان حمود، سعيد عدون، أحمد بن الحاج يحيى، وبابكر صالح، وبغابة الحاج يحيى، وأحمد بن يوسف تزيينت، وبابانو الحاج محمد بن يوسف، وغيرهم، المجاورة لدار البعثة الأخرى للشيخ أبي اليقظان إبراهيم، وفي هذه الدار أقيم حفل تكريم مشهود للشيخ عبد الحميد بن باديس.

■ رجع من تونس بعد إتمام دراسته بما سنة 1928م، وفي تلك السنة كانت مشاركته في تأسيس جمعية الإصلاح بغرداية.

■ اشتغل في السنوات الأولى من بعد رجوعه من تونس في سلك القضاء الإسلامي بالمحكمة الشرعية الإباضية بقسنطينة.

■ كان من مؤسسي جمعية الهدى بقسنطينة لتعليم الأبناء تعليما إسلاميا عربيا.

■ شارك في سنة 1938م في رفع الظلم عن مقبرة الإباضية بقسنطينة.

■ عين كاتباً للجمعية سنة 1972 نائبا للرئيس في حياة المرحوم الشيخ الحاج صالح بابكر.

■ في مارس 1976م تقلد مهام رئيس الجمعية إلى غاية وفاته.

■ تحمل عبء شركة النقل الحضري لمدة عشرين عاما خسر خلالها عشرين مليون سنتيم من ماله الخاص، لما قعد عنه من وعده بالإمداد والعون.

■ توفي رحمه الله يوم الثلاثاء 18 ربيع الثاني 1409هـ، الموافق لـ 27 ديسمبر 1988م. وذلك بمستشفى القليعة بعد مرض ألمك قواه، وقد دفن بمقبرة الشيخ بابا ثامر بغرداية.

تغمده الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

أخذت هذه النبذة عن جريدة الشعب ليوم 24 جمادى الأولى 1409هـ الموافق لـ 3 جانفي 1989م. من إمضاء داود نجار (بتصرف).

نقاط ملحقة (1):

- ✓ كراس الجلسات: من 15 جانفي 1928.
- ✓ أجوبة وردت من الأصدقاء كتهنئة بعد الرجوع من الحج 1961م.
- ✓ وثائق تاريخية 1700، تقسيم المياه.
- ✓ منظمة تعليم، جمعية الإصلاح منذ 46 عاما.
- ✓ هو رئيس فيها، أي بوعروة بابا.
- ✓ أوقات الدراسة الأسبوعية.
- ✓ أوقات الدراسة اليومية.
- ✓ نظام تعليم جمعة الإصلاح تحت رئاسة بوعروة بابا، كتبه بخط يده، الأحد 15 رمضان 1361هـ.

1. مواد التعليم.

2. برنامج تعليم لكل قسم.

3. الامتحانات والجوائز.

4. أيام عطلة الراحة.

5. المعلم وواجباته.

6. المراقب وواجباته.

7. التلميذ وواجباته.

8. الولي وواجباته.

(1) - تركنا هذه النقاط كما وجدناها، ولعل الأيام تكشف عن تفاصيلها. (باجو)

✓ وثيقة وكالة لباشاغا.

✓ عقد 1902 لغابة أو أرض منذ 313 عام.

✓ اتفاق جلب سيل بوشمجان 1186هـ. مصباح أحمد بن بنوح،

من الوادي الكبير من راس لعديرة إلى الواد ليبيض منذ 215 عاما.

✓ وثيقة الحلف إلا بالله، فوق المصحف الشريف.

✓ وثيقة حول الانتخابات.

✓ وثيقة عند خروج الشيخ بيوض من الحبس.

✓ جواب الأوضاع السائدة بغرداية وبن عطية حول الجبهة.

✓ احتفالات Soustele

✓ 18 مارس 1959 انتخابات النائب الأول.

انتهى.

تفكير مذكرات بوعدة بابا بن إبراهيم

- ليلة يوم 14 جوليت 1931 عند قدوم أبي من ميزاب لمراقبتي.
- سنة 1932: قوام تجارة قرقر عمر Rue Chevalier
- سنة 1934: الدفاع عن كفوس محمد في حانوت الدبوز الحاج بكير.
- أوت سنة 1935: زوجه Hubert de ... في باريس.
- أكتوبر سنة 1935: ناصر تاقوطة السويسرية.
- سنة 1936: الدفاع عن مقاطعة الميزابيين مع الشيوعيين.
- سنة 1937: زيارة مقاطعة Troyes. موقفني مع ملكة جمال.
- سنة 1942: قبل خروجي من السجن اجتماعي مع مشائخ الوادي في مقبرة الشيخ بابا ثامر.
- سجن بغاغة إبراهيم بن داود بعد واقعة يوم 5 ماي 1944.
- أكتوبر سنة 1953، ترحيل عائلة الفقيد أخي بكير من البلدية إلى غرداية.
- سنة 1972 رؤيا مقبرة ناصر الحاج سعيد قاضي قسنطينة بالمستودع رفقة المرحوم ناصر علي.

محطات في كفاح رجال الإصلاح

- 10 أوت 1946: وصول فخار حمو بن عمر إلى قسنطينة.
- زيارة الأخ فخار حمو بن عمر لمدرسة الهدى برفقة قاسم بن الحاج سعيد، مدير مدرسة الحياة.
- 28 أوت 1946: يوم عيد الفطر ألقى الأخ فخار حمو في المقبرة درسا قيما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ (١).
- 4 سبتمبر 1946: سفر فخار حمو إلى سكيكدة.
- 6 سبتمبر 1946: سافرت (بوعدة بابا) إلى سكيكدة وتقابلت مع الأستاذ فخار حمو.
- 22 سبتمبر 1946: وصول السيد بابكر صالح بن قاسم مصحوبا بالابن علوط بكير ولد حمو.
- 23 سبتمبر 1946: جولة صحبة الأخ بابكر صالح لجمع اشتراكات جمعية الإصلاح.
- 24 سبتمبر 1946: صحبة الأخ بابكر صالح العشاء عند الأخ الكريم بوكراع عيسى، وتجادلنا أطراف الحديث حول جمعية الكشافة.
- 25 سبتمبر 1946: زرنا محتشد الكاشة، أنا وموسى وسعيد محمد، فخار محمد، محمد بن بهون، عبد الرحمن بن إسماعيل، وتبرعت الجماعة بمبلغ 6000.
- 2 أكتوبر 1946: طفت صحبة الأخ بابكر صالح على المشتركين.

(1) - سورة الحجرات، آية 13.

- 19 أكتوبر 1946: زرت دباش يحي بسكيكدة، وتسملت منه كراسة فخار حمو.
- 12 أكتوبر 1946: بعد قدومي من سكيكدة تقابلت مع تريح، صحبة فخار حمو ومحمد بن بكون.
- 1 نوفمبر: وصل الشيخ الأستاذ عدون.
- 5 نوفمبر: هو يوم عيد الأضحى وسافر الشيخ عدون إلى شاطودان (1).
- 8 نوفمبر: سافر الشيخ عدون مع فخار حمو إلى تونس بدون سابق إعلان.
- 21 نوفمبر: وصل الشيخ عدون رفقة الأخ فخار حمو قادمين من تونس.
- 24 نوفمبر: اليوم وصل الشيخ بيوض ليلا قادما من بسكرة.
- 25 نوفمبر: مقابلة الشيخ بيوض بمخزن نعلوفي صالح مع فخار حمو وعلوض بكير.
- 29 نوفمبر: سافر الشيخ بيوض من عنابة إلى تونس.
- 13 جانفي 1947: سافر فخار حمو إلى القرارة.
- 3 فيفري 1947: بمناسبة إحياء ليلة المولد ألقى بعض كلمات في مدرسة البلدية.
- 2 مارس 1947: اليوم أخبرت سيوسيو عمر بأن فخار محمد بن عمر تخلى عن زواج أخته.
- 6 مارس 1947: ابتدأت في دروس المسجد في دار بن دالي، على صلاة الصبح.
- 11 أفريل: وصل وزير داخلية فرنسا لقسنطينة.
- 22 ماي: تذكرة من قسنطينة إلى تونس، ومنها إلى باريس بالطائرة.

(1) هي مدينة شلغوم العيد حاليا، وتقع في الشمال الشرقي الجزائري، ضمن ولاية ميلة.

- 1 جوان: السفر من تونس إلى نيس، ومنها إلى باريس.
- 14 جوان: السفر إلى مدينة تروا TROYES
- 24 جوان: امتطيت قطار باريس مرسليليا.
- 25 جوان: وأبحرنا منها على ظهر الباخرة مدينة وهران إلى الجزائر العاصمة برفقة الأخ موسى وسعيد بايoub بن صالح.
- 27 جوان: تذاكر السفر رفقة الأخ موسى وسعيد أيوب من الجزائر إلى قسنطينة.
- 28 جوان: الوصول إلى قسنطينة.
- 24 أوت: قدوم الشيخ بيوض من القرارة إلى غرداية صباحا، وتوجه عشية إلى بريان، لافتتاح مدرسة الفتح، وحضور زفاف ولد المنور إبراهيم.
- 25 أوت: تلاقيت مع الأخ غرافة إبراهيم في البلدية بعد قدومي من غرداية.
- 24 سبتمبر: وقع اجتماع أعضاء الجماعة، ووقع ترشيحي رئيسا لجمعية الهدى من طرف أعضاء الإدارة.
- 15 نوفمبر: أول اجتماع للهِلال الأحمر الجزائري، وعُينت كاتباً بالقلم العربي بمكتب الحكيم ابن الفقون.



سفر بوعروة بابا إلى البقاع المقدسة

- الاثنين 1 ماي 1961: الإقلاع على متن الطائرة من غرداية.
- الثلاثاء 2 ماي: الوصول في جدة.
- الأربعاء 3 إلى 13 ماي: الوصول في المدينة المنورة والمكوث بها مدة عشرة أيام.
- السبت 14 ماي: الوصول إلى مكة المكرمة.
- الثلاثاء 23 ماي: الوقوف بعرفة، وصول الأستاذ بكوش يحي من العراق... قال: نفكركم في جميع المقامات، وندعو لكم بالخير والنجاح والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.
- 25 ماي: السعي وطواف الإفاضة بمكة.
- الأربعاء 31 ماي: أخذ صورة شمسية رفقة الكريم الزرقعة الحاج محمد.
- الجمعة 2 جوان 1961: السفر إلى الطائف لمدة ثلاثة أيام.
- الأحد 4 جوان: الانتخابات في غرداية.
- الاثنين 5 جوان: الرجوع إلى مكة المكرمة.
- الثلاثاء 6 جوان: السفر إلى جدة.
- الخميس 8 جوان: الخروج من جدة.
- الجمعة 9 جوان: الوصول إلى غرداية على الخامسة صباحا وأربعين دقيقة.
- السماوي إسماعيل، أول ملاقة في المدينة المنورة في المسجد النبوي، يصبرنا بأن جواسيس فرنسا قدموا إلى الحج، وإذا سألكم سائل عن سياسة الجزائر فقولوا: له نحن قدمنا للعبادة لا لغيرها.

أعلام ومعالم

موجز تاريخ غرداية

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

تم تأسيس قصر بابا السعد في أعلى جبل بابا السعد، وهو الجبل الغربي لطريق الغابة، في سنة 438 هجرية، الموافق لسنة 1046 ميلادية، وذلك في نفس السنة التي تأسس فيه قصر بنونورة القدم، وذلك على يد أول مشايخ وادي ميزاب، الشيخ بابا السعد الذي تُسب إليه هذا القصر.

وظل ذلك القصر أهلا بالسكان مدة 82 سنة، إلى نهاية سنة 530 هجرية، الموافق لعام 1135 ميلادية.

وبعد سبع سنين من تأسيس قصر بابا السعد، أعني في سنة 1053 ميلادية، تأسس قصر تاغردايت، وهي لفظة بربرية معناها "القصر المحادي للوادي".

وعند ذلك صار السكان ينتقلون إلى تاغردايت، لوعورة مسالك قصر بابا السعد، وبُعدِه عن مصادر المياه.

وبعد 75 سنة من تأسيس تاغردايت، انتقل جميع سكان بابا السعد إليها.

وكانت وفاة الشيخ بابا السعد رحمه الله يوم فاتح شوال سنة 542 هجرية، الموافق ليوم 23 مارس سنة 1148 ميلادية.

وبعده انتقلت مشيخة غرداية إلى الشيخ بابا والجمة، بالبربرية، ومعناه بالعربية أب الأجنة، وهو الذي شرع في غرس الأجنة بمدينة تاغردايت.

وذلك بتاريخ السابع محرم الحرام، عام 543 هجرية، المطابق ليوم 28 جوان سنة 1148 ميلادية.

وبعد مدة دامت 23 سنة انتقل إلى رحمة ربه، وذلك في عام 567 هجرية، المطابق لسنة 1171 ميلادية.

وفي الدرجة الثالثة انتقلت مشيخة غرداية إلى الشيخ باعيسى العلواني، قادما إليها يوم 21 صفر الخير عام 548 هجرية، المطابق ليوم 28 ماي سنة 1153 ميلادية، وتولى المشيخة بعد الشيخ بابا والجمة، إبراهيم بن يوسف، يوم 3 أبريل سنة 1173 هجرية.

وكانت وفاته رحمه الله يوم 15 ديسمبر سنة 1194 ميلادية، الموافق لعام 591 هجرية.

وللمرة الرابعة انتقلت تلك المشيخة إلى الشيخ بابا ثامر، وكان مقدمه لتاغردايت يوم 17 ذي القعدة الحرام عام 560 هجرية، الموافق ليوم 25 أكتوبر سنة 1165 ميلادية.

وانتصب للمشيخة يوم 22 أكتوبر سنة 1199 الموافق لعام 596 هجرية.

وكانت وفاته رحمه الله في اليوم الرابع ربيع الثاني عام 608 هجرية، الموافق ليوم 14 أكتوبر سنة 1211 ميلادية.

وبعد وفاته استخلفه في تلك المشيخة الشيخ بامحمد خديم أمه، مصحوبا بأمه قادما من القصر البخاري، يوم السابع شوال عام 564 هجرية، الموافق ليوم 12 أوت سنة 1169 ميلادية.

وتولى مشيخة العزابة في اليوم الرابع جمادى الأولى سنة 608 هجرية، الموافق ليوم 9 نوفمبر سنة 1211 ميلادية.

وكانت وفاته رحمه الله في اليوم السابع والعشرين رمضان المعظم

عام 651 هجرية، الموافق ليوم العاشر أبريل سنة 1253 ميلادية.

وبعد ذلك تتابعت الأئمة (جمع إمام) في مسجد غرداية حتى انتهت تلك المشيخة إلى الشيخ عمي موسى، وهو الشيخ الثالث عشر بمسجد غرداية، وكان ذلك في اليوم الفاتح شوال عام 992 هجرية، الموافق ليوم الرابع أكتوبر سنة 1584 ميلادية.

وفي غرة شعبان عام 995 هجرية، الموافق ليوم الثاني جوليت سنة 1587 ميلادية، وافق الشيخ أمي موسى على نزول المذاييح بضاية بن ضحوة مؤقتا. القادمين إلى غرداية من المالكية.

بعد وفاة الشيخ عمي سعيد بن علي يوم 7 محرم عام 898 هجرية الموافق ليوم 3 جانفي سنة 1492 ميلادية. استخلفه في المشيخة الشيخ الحاج بلقاسم بن يحيى، لكون ابن الفقيد (اسمه صالح) قاصرا.

وعند بلوغ هذا الأخير سن الرشد تولى مشيخة المسجد، وذلك يوم غرة محرم الحرام عام 910 هجرية الموافق ليوم 13 أوت سنة 1509 ميلادية.

بعد ذلك شرع في حفر الآبار في سالم وعيسى⁽¹⁾، وذلك في عام 913 هجرية الموافق لعام 1507 ميلادية.

وفي اليوم الثامن من ربيع الثاني عام 933 هجرية الموافق ليوم 12 جانفي سنة 1527 ميلادية قبل الشيخ صالح بن عمي سعيد بن علي إيواء عرش بني مرزوق القادمين من نفطة، وكانوا من النكار.

وفي اليوم الحادي عشر شوال من عام 945 هجرية الموافق ليوم 2 مارس سنة 1537 ميلادية ظهر من بني مرزوق غدر، ووقع نفهم إلى المستجاب.

(1) - مكان في غرداية يمرّ منه ماء الوادي محاذيا للقصر القديم.

وبعد خمس سنين من نفيهم، أعني يوم 19 صفر الخير عام 949 هجرية، الموافق ليوم 27 ماي من سنة 1542 ميلادية. وبعد طلب العفو رجع بنو مرزوق إلى مدينة غرداية.

وفي نفس ذلك اليوم كانت وفاة الشيخ صالح بن عمي سعيد بن علي، ولم استخلفه مؤقتا الشيخ عمي موسى، ووقع تعيينه ثانيا غرة شوال عام 992 هجرية، الموافق ليوم 4 الرابع أكتوبر سنة 1584 ميلادية.

وفي غرة رمضان المعظم من عام 994 هجرية الموافق ليوم 17 أوت سنة 1586 ميلادية وقع قدوم المذابيح من الماية.

وفي غرة شعبان عام 995 هجرية الموافق ليوم الثاني جوليت سنة 1587 ميلادية وقع قبول الشيخ أمي موسى، نزول المذابيح في ضاية بن ضحوة.

بعد مداولات دامت سبع سنين، وقع قبول الشيخ أمي موسى نزول المذابيح بضاية بن ضحوة ولأجل ذلك حكمت عليه الحلقة بالبراءة سريّا، وذلك في عام 1002 هجرية الموافق ليوم 26 سبتمبر سنة 1194 ميلادية.

وفي اليوم الخامس والعشرين رمضان المعظم من عام 1023 هجرية الموافق سنة 1617 ميلادية كانت وفاة الشيخ أمي موسى.

ومن عام 1023 هجرية إلى عام 1124 منه، أعني مدة مائة عام وعام، بقيت غرداية بدون مشيخة لأجل الفتن الداخلية.



مشايخ المسجد العتيق بغرداية (1).

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى
آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد.

فبناء على إلحاح إدارة اللجنة المشرفة على المهرجان الثقافي الخامس لنادي الإصلاح بغرداية، رأيت لزاما عليّ بأن ألقى بدلوي مع الدلاء، وأن أدلي بما جادت به القريحة رغم قلة البضاعة وضيق الوقت، وصعوبة الموضوع وتشعبه وامتداده، وذلك منذ تأسيس مدينة غرداية.

وغرضي من هذه الدراسة المتواضعة هو البحث حول المشايخ الذين تعاقبوا على إدارة مسجد غرداية الجامع، والمسمى حاليا بالمسجد الكبير، وذلك منذ تأسيسه إلى يومنا هذا، لأني أرى أن القلب النابض لأي شعب من الشعوب هو المسجد، فإذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، وإن الإشعاع الرباني ينبثق منه، فيوحد بين القلوب، وتنجلي سبل السلام ويسود بذلك الوثام،

وإذا خبا ذلك الشعاع ساد الجهل والفساد وانحلت عرى الوحدة وتفرقت كلمة الأمة وتاهت في شعاب التناحر والتطاحن وعدم الاستقرار، ويكون ذلك هو أشد وطأة من مضايقة الاستعمار.

ولذلك اخترت تناول هذا الموضوع بالبحث واستعنت بالله،

(1) - بحث للشيخ بوعروة بابا تامر ألقاه في المهرجان الثقافي الخامس لنادي الإصلاح في 26 جويلية 1982.

فأقول:

كان أول شيخ هو

الشيخ بابا السعد

وهو مؤسس القصر المنسوب إليه، والموجود حاليا بطريق الغابة في أعلا جبل، على يسار الذهاب إلى البساتين في الغابة في الطرف الغربي الشمالي لذلك الطريق، وأطلاله موجودة إلى يومنا هذا.

وتعدّ هذه الأطلال من أوائل آثار مدينة غرداية، وبقيت ويا للأسف الشديد مهملة بدون أية رعاية، ولا حفظ، وكان من واجب مصلحة الآثار هنا أن تحافظ عليها بالترميم والإصلاح.

ويرجع تاريخه إلى عام 438 هجرية الموافق لـ 1046 ميلادية.

من هو الشيخ الجليل مؤسس غرداية؟

كان من جملة التلاميذ النجباء الذين تخرجوا على يد مؤسس نظام حلقة العزابة العلامة الورع الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستائي النفوسي، ويُسمّى هذا النظام بالسيرة المسورية البكرية. وكان صاحب هذا النظام رحمه الله ممن سبق لهم زيارة جبال بني مصعب (وادي ميزاب).

وسبب رحيل الإباضية إلى تلك الناحية هو اشتداد القحط حول قرى وارجلان وأريغ، حتى غارت كثير من العيون، واضمحلت بذلك الحدائق والحيوانات، وأشرفت قراها على الفناء، فعقد أولو الأمر من العلماء وأهل الرأي اجتماعا للبحث عن مكان يأويهم مع أجيالهم من بعدهم.

فاتجهت الأنظار نحو الشيخ محمد بن بكر للقيام بتلك المهمة

لمعرفته التامة بكامل تلك المنطقة، حيث كان يتنقل مع تلاميذه من بلده "تاكبوس" (1) إلى وادي ريغ، عند بني مغراوة، ومنها إلى وغلانة (2)، ثم إلى يفرن، بناحية وارجلان، وإلى بليدة عمر قرب مدينة تقرت، وأخيرا جبال بني مصعب "ميزاب" بوادي ميزاب، حيث كان الخصب والجو المعتدل ومرعى مواشيه.

ولذلك وقع اختياره نهائيا على جبال بني مصعب ليستقر بها نظام العزابة.

وعند ذلك نزل بمدينة العطف، وله بها إلى يومنا هذا مقام معروف باسمه، وأدى وظيفة التدريس على أحسن وجه، فتخرج على يده تلاميذ نجباء، وكان منهم الشيخ إبراهيم بن مناد بالعطف، والشيخ بابا السعد.

فهو مؤسس تاغردايت (3) بعد نزول سكانها من جبل بابا السعد لوعورة مسالكه، والبعد عن موارد المياه، وذلك عام 445 هجرية الموافق لـ 1053 ميلادية.

ووافته المنية رحمه الله في غرة شوال عام 542 هجرية. الموافق ليوم الثالث والعشرين مارس من 1148 ميلادية.

فانتقلت المشيخة بعده إلى

(1) - تكتب في المصادر "تقيوس" إحدى بلاد وادي ريغ، حيث كانت مواطن الإباضية في القديم.

(2) - قرية في بلاد ريغ، تعرف اليوم باسم "جامعة"، تبعد عن تقرت مسافة 50 كلم شمالا.

(3) - تاغردايت النطق البربري لمدينة غرداية.

الشيخ إبراهيم بن يوسف . بابا ولجعة

وذلك في اليوم السابع محرم الحرام عام 543 هجرية الموافق لليوم الثامن والعشرين من جوان من سنة 1148 ميلادية.

وعلى يده - رحمه الله - انتقلت الحضارة العمرانية بغرداية من رعي المواشي والتنقل بها من مكان إلى مكان، إلى الاستقرار وحفر الآبار، وغراسة الأجنة والبساتين، ولذلك لُقّب بـ "بابا ولجعة" بلهجتنا البربرية، وتعريبها بـ "أب الأجنة".

فانتشر العمران على يده، وعمّ الرخاء، وتم الاستقرار.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ إبراهيم بن يوسف بابا ولجعة قد تزوج بإحدى بنات أبي القاسم آل الخفيان القادم لغرداية من درنة من ولاية ليبيا، كما تزوج بالأخرى الشيخ بابا عيسى العلواني.

ومما يحكى أن كل واحدة من بنتي أبي القاسم آل خفيان رغبت في السكنى بجوار أبيها، ولما أقام سكناه وبعد كيل المسافة التي تبعد عن كل واحدة منهما وجدها متساوية، والله أعلم وأحكم.

أما عن الأسطورة المنسوبة إلى الشيخ بابا ولجعة وزواجه بالمسماة لالة سهلة، فمن الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وكانت وفاة الشيخ إبراهيم بن يوسف رحمه الله في عام 568 هجرية الموافق لسنة 1175 ميلادية، بعدما دامت مشيخته مدة أربعة وعشرين عاما.

واستخلفه بعد ذلك

الشيخ بابا عيسى العلواني

وكان مقدمه إلى هنا يوم الحادي والعشرين صفر من عام 548

هجريّة الموافق ليوم الثامن والعشرين من ماي سنة 1153 ميلادية.

وتولى مشيخة المسجد عام 569 هجرية الموافق ليوم الثالث أبريل سنة 1173 ميلادية، وذلك بعد عامين بعد وفاة الشيخ بابا ولجعة. وكانت وفاته رحمه الله في عام 591 الموافق ليوم الخامس عشر ديسامبر 1194 ميلادية، ودامت مشيخته مدة اثنين وعشرين عاما.

وانتقلت بعد ذلك مشيخة المسجد إلى

الشيخ بابا ثامر

وذلك عام 596 هجرية الموافق ليوم اثنين وعشرين أكتوبر من سنة 1199 ميلادية، وذلك بعد وفاة الشيخ بابا عيسى العلواني بمدة خمس سنين.

وكان قدومه من الساقية الحمراء في اليوم السابع عشر ذي القعدة الحرام عام 560 هجرية الموافق ليوم الخامس والعشرين أكتوبر من سنة 1165 ميلادية.

وهو الجد الأعلى لأولاد باخة القاطنين بغرداية، مع فرعهم الممتد إلى القرارة حاليا.

وانتقل إلى الرفيق الأعلى في اليوم الرابع ربيع الثاني عام 608 هجرية الموافق ليوم الرابع عشر أكتوبر من سنة 1211 ميلادية.

ودامت مشيخته رحمه الله مدة ثمانية وأربعين سنة، قضاه في الوعظ والإرشاد والتدريس في المسجد.

واستخلفه في رئاسة العزابة

الشيخ با محمد خديم أمه

وذلك بتاريخ الرابع جمادى الأولى عام 608 هجرية الموافق ليوم التاسع نوفمبر سنة 1211 ميلادية. وذلك بعد وفاة سلفه بأربع وعشرين

يوما فقط.

ويقال إنه قدم مصحوبا بأمه من القصر البخاري⁽¹⁾، في اليوم السابع شوال عام 564 هجرية الموافق ليوم الثاني عشر أوت سنة 1169 وكانت وفاته رحمه الله في اليوم السابع والعشرين من رمضان المعظم من عام 651 هجرية الموافق ليوم العاشر نوفمبر سنة 1253 ميلادية، ودامت مشيخته رحمه الله مدة ثلاثة وأربعين عاما، قضاهما في إصلاح ذات البين، والورع والتقوى.

وتولى مكانه

الشيخ باحمد بوسحابه

رئاسة المسجد في اليوم الثامن عشر رجب عام 653 هجرية الموافق ليوم الثالث والعشرين أوت من سنة 1255 ميلادية. بعد مُضي سنتين من وفاة سلفه.

وكان مقدمه من جبل نفوسة، ووصل هنا في اليوم الثالث من شهر رمضان المعظم عام 635 هجرية، الموافق ليوم التاسع عشر أبريل سنة 1236 ميلادية.

وفي ولايته وقع أول توزيع مياه السيل، وذلك في عام 672 هجرية، الموافق ليوم السابع عشر جويلية من سنة 1273 ميلادية. وذلك بعد توليته بتسع عشرة سنة.

وفي اليوم السابع عشر جمادى الثانية من عام 687 هجرية الموافق ليوم 19 نوفمبر سنة 1288 ميلادية ذهب ضحية الاغتيال والعياذ بالله، ويرجع سبب ذلك على الأرجح إلى توزيع المياه في عهده.

(1) - مدينة في الشمال الجزائري، تبعد عن العاصمة الجزائر مسافة 150 كلم جنوبا.

ودامت مشيخته رحمه الله مدة أربعة وثلاثين عاما.

وبعد هذا الحادث المفجع استوحش مسجد غرداية وبقي بدون مشيخة مدة عشر سنوات متوالية، ووقع استقدام

الشيخ بالحاج داود

من جبل نفوسة، وذلك في غرة رمضان المعظم عام 697 هجرية الموافق لليوم الثاني عشر جويلية سنة 1258 ميلادية، ووقع على يده تحديد تقسيم مياه السيل، وذلك في عام 699 هجرية الموافق ليوم الخامس عشر نوفمبر من سنة 1299 ميلادية.

وبعد مضي أربع سنوات من ذلك التقسيم، أعنى في اليوم السابع عشر شعبان عام 703 هجرية الموافق ليوم عشرين ديسامبر سنة 1306 ميلادية، نزل طوفان عظيم بوادي ميزاب فأهلك الحرث والنسل والعياذ بالله.

ونتيجة لذلك أمر بتشكيل هيئة خصوصية تقوم بمراقبة مياه السيل، ووقع تعيين أمناء السيل يتحملون مسؤولية تنظيم سير ماء السيل بصفة لا يتضرر بها أصحاب البساتين مع السكان على السواء.

ووفاه أجله المحتوم رحمه الله في غرة شوال عام 780 هجرية الموافق ليوم الحادي والعشرين جانفي من سنة 1379 ميلادية.

ودامت مشيخته العامرة بجلال الأعمال من الناحية العلمية والناحية العمرانية ثلاثة وعشرين عاما، وهي أطول مدة قضاهما شيخ في هذا المنصب.

تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح الجنان.

وبعد موته مباشرة تولى منصبه:

الشيخ باحمد بن الناصر

وأصله من سدراته، وكان مصحوبا بأبنائه الثلاثة قادمين من وادي ريغ، وذلك بتاريخ الرابع ذي القعدة الحرام عام 778 هجرية الموافق ليوم الخامس عشر مارس 1377م، وعلى يده وقع إصلاح ذات البين بين العشائر المتساكنة بغرداية.

ودامت مشيخته رحمه الله مدة تسعة وخمسين عاما، وانتقل إلى جوار ربه في اليوم السابع عشر شوال عام 839 هجرية، الموافق ليوم الرابع جوان سنة 1436 ميلادية.

وفي اليوم الثالث من شهر ذي الحجة الحرام عام 839 هجرية الموافق ليوم التاسع والعشرين جوان من سنة 1436 ميلادية استخلفه:

الشيخ بابا صالح

ولم تدم مشيخته سوى أربعة عشر سنة، وانتقل إلى الرفيق الأعلى في اليوم الحادي عشر رجب عام 853 هجرية الموافق ليوم السابع جانفي سنة 1450 ميلادية.

وبعد مضي بضعة أشهر من وفاته قدم الشيخ:

عمي سعيد بن علي

ابن بوحيدة بن عبد الرزاق بن سعيد الخيري

من جزيرة جربة، صالها الله.

ورتبته العاشرة من مشائخ غرداية.

ومما يحكى أن للشيخ علي بن بوحيدة بن عبد الرزاق ثلاثة أبناء، ولما طُلب منه إرسال أحدهم إلى مشيخة غرداية أجرى لهم امتحانا

ليرى من هو أليق لهذا المنصب، فسأل كبيرهم قائلا: بما تجازي من صنع فيك الخير؟ فأجاب: الخير بالخير. ومن صنع فيك الشر؟ فقال: بمثله.

ثم سأل أوسطهم نفس السؤال، فأجاب قائلا: أجازي صاحب الخير بالخير وصاحب الشر فلا أرد له شره. وكان جواب أصغرهم سنا وأرجحهم عقلا هو: أجازي صاحب الخير بالخير، وصاحب الشر بالخير، لأن خيري يتغلب على شره، إن شاء الله.

فسر الأب رحمه الله لذلك الجواب الحكيم، وأمر بعد ذلك ابنه الشيخ عمي سعيد بن علي بالرحيل إلى مسجد غرداية لأداء واجبه فيه كما أمره الله.

وعند قدومه إلى غرداية استصحب معه بعض ذوي الصناعات لعمارة المدينة، وانتعاشها علميا واقتصاديا وعمرانيا، كصناعة الفخار والجبس "تمشمت"⁽¹⁾، والجير وصناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد.

فسار بالعدل بين الرعية وقام بتأسيس مجلس لاستئناف الأحكام الصادرة من قرى وادي ميزاب، وجعل رئاسته تحت إشراف شيخ مدينة غرداية، وذلك بتاريخ الثالث شوال من عام 855 هجرية، الموافق ليوم السابع عشر فيفري من سنة 1452 ميلادية.

وهذا المجلس موجود إلى الآن في روضة الشيخ عمي سعيد رحمه الله بغرداية.

وفي أثناء ذلك شكّل جماعة من أهل الرأي يستعين بهم على تسيير الحكم المدني، وبذلك جعل أمور الدين والشرع والعلم والحراسة في المسجد، وأمور السياسة والصناعات والعمران بيد ما يسمّى بالعوام.

(1) - هو اسم الجبس بلسان أهل ميزاب.

فقد لهم مجلسا خارج المدينة بتاريخ يوم الثامن والعشرين محرم الحرام عام 862 هجرية الموافق ليوم السادس جوان سنة 1457 ميلادية. وهذا المكان موجود إلى يومنا هذا معروف باسم "أزغار أو غرم" بالبربرية، وتعريبه هو "خارج البلدة". وهو موجود بسوق المدينة، ويشتمل على خمس وعشرين منصبا ويسمى بالحويطة.

وعند وفاته رحمه الله، وذلك في اليوم السابع محرم الحرام عام 898 هجرية الموافق ليوم الثالث جانفي سنة 1492 ميلادية ترك ابنه القاصر، واسمه صالح.

ودامت مشيخته رحمه الله مدة ثمانية وخمسين عاما، قضاه في تنظيم المدينة دينيا ومدنيا، وازدهر العمران في زمانه وانتشر الرخاء والأمن.

وبعد ذلك مباشرة استخلفه:

الشيخ الحاج بلقاسم بن يحيى

حيث دامت مشيخته اثني عشر عاما، وعند ذلك بلغ الابن

صالح بن عمي سعيد

سن الرشد، فتقلد المشيخة في غرة محرم الحرام عام 910 هجرية الموافق ليوم الثالث عشر أوت سنة 1504 ميلادية، فشمّر على ساعد الجد واتبع سير أبيه في النشاط والعمران، "ومن يشابه أبه فما ظلم" (1).

وبعد مضي ثلاث سنين من مباشرة مهامه شرع في حفر الآبار بناحية سالم بن عيسى، في القصر، وذلك لجلب الماء العذب للمدينة من

(1) - نصف بيت شهير من شواهد النحو العربي وتما البيت:

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

قريب، وجعل آباراً خاصة لليهود يسقون منها.

وفي عهد طلبت منه جماعة من بني مرزوق إيواءهم بغرداية بعد مقدمهم من نفطة في الجنوب التونسي، فقبل منهم ذلك مؤقتا، وذلك بتاريخ الثامن ربيع الثاني عام 933 هجرية، الموافق ليوم الثاني عشر جانفي من سنة 1527 ميلادية، وكان ذلك بعد توليته بثلاث وعشرين عاما.

وكان استقرارهم نهائيا بها يوم الحادي عشر صفر عام 949 هجرية الموافق ليوم السابع والعشرين من ماي سنة 1542، وذلك بعد خمسة عشر سنة من تاريخ قدومهم.

وفي نفس ذلك اليوم انتقل إلى جوار به الشيخ صالح بن عمي سعيد بن علي، بعد ما دامت مشيخته مدة تسع وثلاثين عاما، قضاه في نشر العلم والعمران والرخاء والأمان.

وانتقلت المشيخة بعده بصفة مؤقتة إلى:

الشيخ أمي موسى (1)

وتمت نهائيا في غرة شوال من عام 992 هجرية الموافق ليوم الرابع أكتوبر من سنة 1584 ميلادية.

وبعد مضي عامين من توليته طلب منه عرش المذاييح النزول بغرداية، وقد قدموا من ألماتية ناحية تاجرونة، وذلك بتاريخ غرة رمضان المعظم عام 994 هجرية الموافق ليوم السابع عشر أوت سنة 1586 ميلادية.

وبعد مضي عام تقريبيهم من قدومهم، أعني في غرة شعبان عام

(1) - أمي: هو النطق الميزابي لكلمة عمي.

995 هجرية الموافق لليوم الثاني جويلية سنة 1587 ميلادية أمرهم بالنزول في ضاية بن ضحوة بصفة مؤقتة.

وبعد مداولة دامت مدة سبع سنين، بين حلقة العزابة وأهل الرأي من سكان غرداية من جهة، والشيخ آمي موسى من جهة أخرى، استقر رأي الشيخ آمي موسى شخصيا بنزول المذابح نهائيا بضاية بن ضحوة وذلك عام 1003 هجري الموافق ليوم السادس والعشرين سبتمبر من سنة 1594 ميلادية.

ولأجل ذلك حكموا عليه بالبراءة سرىا.

وفي اليوم الخامس والعشرين رمضان المعظم من عام 1023 هجرية الموافق لسنة 1617 ميلادي، انتقلت روحه إلى بارئها ودامت مشيخته مدة اثنين وثلاثين عاما، مشحونة بالاضطرابات والفتن.

وبسبب ما حدث في ولايته اندثرت مشيخة غرداية مدة مائة عام وعام، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومما سبق يتضح بأن نزول المذابح بضاية بن ضحوة كان بعد تأسيس مدينة العطف التي هي أول قرية بالمنطقة، بمدة اثنين وثمانين وخمسمائة عام.

وبعد تأسيس قرية مليكة بمدة سبعة وسبعين وخمسمائة عام.

وبعد تأسيس بنورة مع بابا السعد المؤسستان في سنة واحدة، بمدة ثمان وأربعين وخمسمائة سنة.

وبعد تأسيس تاغردايت بمدة إحدى وأربعين وخمسمائة سنة يعني ما يقرب من خمسة قرون ونصف من تأسيسها.

وبعد رجوع المياه إلى مجاريها استؤنفت مشيخة المسجد من جديد، وتولاها

الشيخ حريز بن موسى

من أولاد أيوب أقاسم من العطف، وذلك في اليوم السابع عشر شعبان من عام 1124 هجرية الموافق لليوم الثامن عشر سبتمبر من سنة 1712 ميلادية.

ودامت مشيخته رحمه الله مدة خمسة وعشرين عاما، قضائها في ترميم ما وقع فساد، وبناء ما وقع هدمه، وإصلاح ذات البين حتى وافته المنية رحمه الله عام 1149 هجرية الموافق ليوم الثاني عشر ماي من سنة 1736 ميلادية.

واستخلفه في نفس ذلك اليوم ابنه

صالح بن الشيخ حريز بن موسى

وسار رحمه الله سيرة أبيه في الإصلاح والعمران، وكانت وفاته في اليوم الثالث عشر شعبان المعظم عام 1162 هجرية الموافق ليوم الحادي عشر ديسمبر سنة 1750 ميلادية.

ودامت مشيخته رحمه الله مدة أربعة عشر عاما.

وبعد ذلك تولى مقاليد المسجد

الشيخ بابا بن يونس

وبقي في منصبه مدة اثنين وخمسين عاما، قضائها في عمارة المسجد بالوعظ والإرشاد، وفاضت روحه رحمه الله في اليوم الرابع ذي الحجة الحرام عام 1214 هجرية، المطابق ليوم التاسع والعشرين أبريل من سنة 1800 ميلادية.

وبسبب الفتن الداخلية بقي المسجد بدون شيخ مدة خمسة عشر

عاما، وذلك من عام 1214 هجرية إلى عام 1229 منه.

وبعد سكون العاصفة وقعت تولية

الشيخ بابا أحمد

وذلك بتاريخ الثاني ربيع الثاني من عام 1229 هجرية الموافق ليوم الرابع والعشرين مارس من سنة 1814.

ولم تدم توليته سوى عشرة أعوام، قضاها في إصلاح ما أفسده المفسدون.

وفاضت روحه رحمه الله في الرابع عشر صفر من عام 1239 هجرية الموافق ليوم الثالث والعشرين أكتوبر سنة 1823 ميلادية.

وبعد مضي ثلاثة أيام من وفاته فقط، استخلفه

الشيخ صالح بن كاسي

وذلك بتاريخ يوم السابع عشر صفر الخير عام 1239 هجرية الموافق ليوم الثالث والعشرين أكتوبر سنة 1823 ميلادية.

ودامت مشيخته رحمه الله مدة اثنتين وأربعين سنة، قضاها في الوعظ والإرشاد وإصلاح ذات البين.

وبسبب تدخله في إخماد الفتن الداخلية وقع اغتياله رحمه الله في اليوم الثاني عشر صفر الخير عام 1281 هجرية الموافق ليوم الثاني عشر أوت سنة 1864 ميلادية.

وكان هذا الشهيد هو الشيخ الأخير الذي وقعت توليته من طرف الجماعة، كما كان آخر شيخ رسمي للإباضية بغرداية قبل الاحتلال الفرنسي لوادي ميزاب.

وبسبب ذلك الغزو الغاشم والاحتلال الفظيع، بقي مسجد غرداية بدون شيخ مدة إحدى وأربعين سنة، وصار الناس يترقبون الحوادث، ويأنف كل شخص قبول تلك المشيخة تحت ظل الاستعمار البغيض، بعدما كان ميزاب يتمتع باستقلاله الواقعي منذ نشأته.

ولولا تدخل الشيخ الحاج محمد اطفيش رحمه الله ورضي عنه، ملحقاً على تلميذه

الشيخ حمون بن باحمد بن صالح بابا وموسى

بقبول المشيخة لما تحملها أحد، ولما تحقق ذلك.

فستولى ذلك المنصب الخطير في اليوم الثاني عشر محرم الحرام عام 1322 هجرية، فقام بالتدريس والتعليم على النمط المعهود به في ذلك الوقت، حسبما تملي به الظروف، وانتقل إلى جوار ربه، رحمه الله في اليوم الثلاثين جمادى الأولى عام 1372 هجرية الموافق ليوم الثاني جانفي سنة 1957 ميلادية.

بعدما امتدت مشيخته مدة نصف قرن.

فاستخلفه شقيقه

الشيخ الحاج محمد بن باحمد بن صالح بابا وموسى

بعد وفاته مباشرة، ودامت مشيخته رحمه الله مدة ثمانية عشر عاما، حيث انتقل إلى جوار ربه بتاريخ السابع عشر جمادى الثانية عام 1394 هجرية، الموافق ليوم السابع جوان سنة 1974 ميلادية.

وأثناء قيامه بوظيفه وقعت تلك الحرب الضروس بين الاستعمار وجيش التحرير الوطني حفظه الله كما أنه شاهد انتصار الحق على الباطل والطغيان، وبزوغ شمس الحرية والاستقلال للقطر الجزائري،

والحمد لله رب العالمين.

وختاماً أرجو منكم العفو إذا ما أطلت عليكم فهذا هو تاريخ
حقبة دامت مدة 956 سنة، يعني عشرة قرون إلا 44 عاماً.

وشكراً لكم على حسن انتباهكم.

والسلام.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا
إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا
بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَلْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ (1). (2).



مؤسس حلقة العزابة (1).

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم.

نشأة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر

كان مولده بقرية فرسطاي بجبل نفوسة القطر الليبي، في عام
345 هجرية.

قام بتأسيس نظام العزابة بعد دراسة دامت أربعة أشهر عام 408
هجريّة، الموافق لسنتي 1017-1018 ميلادية، وكان إذ ذاك في عمره
69 عاماً.

ترجمة أبي عبد الله:

هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفرسطائي النفوسي، نسبة إلى
فرسطا، مدينة تقع في جبل نفوسة، شرقي مدينة كباؤ التابعة لمتصرفية
لالوت (2).

بعدما أتم تعليمه الابتدائي بجبل نفوسة انتقل إلى جزيرة جربة
ودرس على الشيخ أبي زكرياء فصيل في الجامع الكبير، فتوسم فيه
شيخه خيراً؛ قولاً وعملاً (3).

(1) - وقعت كتابة هذا البحث في عشية يوم الأربعاء 19 جمادى الأولى عام 1401 هجرية،
الموافق ليوم 25 مارس 1981.

ملاحظة: أحال الشيخ بوعروة في هذا البحث على مصادره في صلب البحث، واختارنا وضع
الإحالات في الحاشية سراً على المعتاد في توثيق البحوث. (باجو)

(2) - مدينة في جبل نفوسة غربي ليبيا.

(3) - كتاب نظام العزابة، تأليف فرحات الجعبري، ص 36.

(1) - سورة البقرة، آية 286.

(2) - هذا هو البحث التاريخي الذي حققه الفقير لربه بابا بن إبراهيم ابن عمر، لقبه
بوعروة. رئيس جمعية الإصلاح المصونة. وذلك بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس جمعيتنا
المباركة، وعلى مرور عشرين سنة منذ استقلال جزائرتنا الحبيبة، وذلك عشية الاثنين الخامس
من شوال الموافق ليوم 26 جويلية، سنة 1402 هـ / 1982 م.

ثم أتم دراسته على أشهر شيوخ زمانه، وشهد له أساتذته بالجد والنباهة(1).

وطلب منه شيخه أبو زكرياء فصيل بواسطة رجل أرسله إليه من جزيرة جربة أن يتصدى للتدريس غير أنه تورّع في بداية الأمر لما يعرف من عبء هذا العمل، وبعد الإلحاح الشديد عليه قبل المأمورية وقام بالتدريس(2).

واشترط عليهم أول الأمر أن يتركوه وشأنه مدة أربعة أشهر ليختلي بنفسه، ليدعم أسس نظام لم يسبق له مثيل، يمكنه من القيام بعبء تدريس يتماشى مع مسلك الكتمان(3).

ومما شجعه على ذلك قول أحد رفقاته له: اجعلها لله لا تخب. وبعد انقضاء تلك الأشهر الأربعة وفي أبو عبد الله بوعده، وأسس الحلقة بمسجد المنية، وهي بلدة تقع عند سور مدينة تقيوس، من الجهة المؤدية إلى الحامة غربا، وذلك في عام 408 هجرية، الموافق لعامي 1017/1018 ميلادية.

وعندما برز هذا النظام سُمي بـ "السيرة البكرية المسورية" نسبة إلى أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور، إذ له الفضل في التحريض، وإلى أبي عبد الله وله فضل استفراغ جهده في وضع قوانينها بما يلائم ظروف الزمان والمكان ومستقبل الأجيال، وبما يكفل لهم سعادة الدارين(4).

(1) - نفس المصدر، ص33.

(2) - نفس المصدر، ص33.

(3) - نفس المصدر، ص34.

(4) - نفس المصدر، ص34.

ومنذ تأسيس الحلقة ظل ينتقل من مكان لآخر، ولذلك اشتهر عند العامة بلقب "سيدي محمد السائح".

وكان أول تدريسه بمسجد المنية بمدينة تقيوس، فكثرت الزلازل في تلك الناحية، وامتألت الأرض خوفا، فاضطر إلى مغادرة قسطنطينية فاهتدى إلى الاحتماء ببني مغرواة في ناحية وادي ريغ.

وفي عام 409 هجرية طلب من أبي القاسم بن يونس ويزكن الويليلي أن يُعدّا غارا يجتمع فيه التلاميذ، وتكون فيه دراستهم وانفرادهم(1).

فانتقلوا إلى الغار المعدّ في تينسلي عند بني وليل.

وقرية تينسلي، وتسمى أجلو تقابل قرية بليدة عمر وتقع على بعد 20 كلم جنوب تقرت، وكان نزولهم بها سنة 409 هجرية(2).

ولتعويد تلامذته على الاعتماد على النفس، كانوا يكابدون مؤونة العيش لأنفسهم ويجتهدون غاية الاجتهاد في عزمهم، وذلك ليسهل عليهم تحمل مشاق الحياة عند الانتهاء من الدراسة.

وفي ذلك الغار شرع في ترتيب الحلقة ترتيبا محكما، ولذلك ذاع صيته في الأوساط الإباضية فأقبلت عليه الوفود من كل مكان(3).

تنظيم طبقات التلاميذ والأساتذة المشرفين عليهم:

مدرسته ذات ثلاث مراحل: منها:

الأولى: ابتدائية تولى التدريس فيها أبو يعقوب محمد بن يدر.

(1) - نفس المصدر، ص35.

(2) - نفس المصدر، ص36.

(3) - نفس المصدر، ص37. كتاب دادي عدون عائشة.

حيث يلحق تلامذته القراءة والكتابة والسير والأخلاق.

والثانية وهي متوسطة؛ تولى التدريس فيها الشيخ محمد بن سودرين. ويدرس بها النحو والبلاغة والبيان والأصول الدينية والفقه والإنشاء.

والثالثة، وهي عليا تولى التدريس فيها الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. حيث يلقي على طلبته محاضرات علمية، ويكونهم تكويناً علمياً وثقافياً في جميع فنون المعرفة.

ونظراً لما لقيه تلاميذه من قتل ونهب من طرف بني مغراوة انتقل بهم إلى قرية وغلانة، في وادي ريغ.

وبعد ذلك اتجه نحو وارجلان ونزل في قرية يفرن، ثم غادرها إلى مقره الأول عند بني مغراوة في وادي أريغ⁽¹⁾.

وكانت حملة الحصائر التي يجلس عليها تلامذته اثني عشر بعيراً. وفي أثناء ذلك كان له راع يرسله إلى جبال بني مصعب لرعي غنمه فيها صيفاً، لصفاء مناخها واعتدال جوها.

وكانت إقامته هناك مع تلامذته كل سنة، حيث يدعو إلى الإباضية سكان تلك الجهة، وكان جلهم واصلية، نسبة إلى واصل بن عطاء المعتزلي⁽²⁾.

وبعد اشتداد القحط حول قرى وارجلان وأريغ، حتى غارت كثير من العيون من الجفاف وماتت بذلك الحدايق والحيوانات، فالت البلاد إلى الفناء، عقد أولو الأمر من العلماء وأهل الرأي، وعلى رأسهم

(1) - نفس المصدر، ص 38.

(2) - نفس المصدر، ص 39.

أبو عبد الله اجتماعاً للبحث عن مكان يأويهم وأجياهم من بعدهم، فعينوا أبا عبد الله للقيام بهذه المهمة، فوقع اختياره على جبال بني مصعب، ليستقر بها نظام العزابة بعد أن كُون ورُتّب⁽¹⁾.

ولما وصل جبال بني مصعب نزل في مدينة العطف، وله بها مقام معروف باسمه.

وبعد ذلك جدّ في استدراج الواصلية بالحجة واللين، إلى أن ردّ بعضهم إلى الوهبة ببراعته وحكمته.

ومما هو محقق أن بني ميزاب الذين هم من قبيلة زناتة، لم يكونوا قبل من الإباضية، بل كانوا من المعتزلة قبل نهاية القرن العاشر⁽²⁾.

وأدى وظيفة التدريس على أحسن وجه لتخرج على يديه تلاميذ نجباء، منهم:

الشيخ إبراهيم بن مناد في العطف، والشيخ بابا السعد في غرداية. وهكذا انتشر المذهب الإباضي في وادي ميزاب على أيديهم، وعلى أيدي الوافدين من رجال الإباضة الوهبة من جبال نفوسة وجربة وارجلان.

كما حافظ على كيانه بفضل نظام العزابة إلى عصرنا هذا.

وكانت وفاته رحمه في تَنَسُّلي ناحية بليدة عَمَر قرب بلدة تقرت، في عام 440 هجرية الموافق لسنة 1048 ميلادية. وفي عمره 95 عاماً. وقبره معروف إلى الآن قرب غاره ببليدة عمر، ومشهور بقبر سيدي محمد السائح.

(1) - نفس المصدر، ص 39.

(2) - من كتاب دادي عدون عائشة، ص 162.

من وصايا أبي عبد الله لبعض تلامذته:

«إن وجدت من تُقدم في الأمور فاتبعه، وإن وجدت من تتعاون معه فتعاونوا على البر والتقوى، وإن وجدت من يقتدي بك فكن إماماً، وإلا فالزم الطريق وحدك».

كما جعل المسؤولية من مشمولات شيخ الحلقة عندما رتب نظام الحلقة.



تاريخ الشيخ سليمان بن بنوح

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه أستعين.

نسبذة عن تاريخ السيد بنوح سليمان رحمه الله، الذي يعتبر من مؤسسي جمعية الإصلاح.

هذه بعض أسئلة أريد أن أتعرف عليها من سيادتكم كيف كانت الرحلات التي يرحلها نحو أراضي التل؟

إلى أي منطقة يتجه؟ رحلاته شتوية أم صيفية؟

هل يجتد السرى أم السير في النهار؟ وكم رحلة في السنة يقضي؟

ما هي أعماله أثناء الرحلة كقائد؟ وأعماله عندما توضع الرحال؟

تصرفاته مع الأعداء وقطاع الطرق؟

تحدثوا لنا عن بعض النوادر التي حدثت له أثناء رحلاته؟

أعماله في التدريس؟ هل كان من المحددين أم لا؟

في أي سنة شرع في التدريس؟ هل ترك الرحلات؟

هل دخل مهنة التدريس رغبة منه أم دعوة من أناس؟ أم هي

ظروف قدرها الله؟

هل غادر التدريس بعد ذلك أم لا؟

بعض أعمال قدمها لأئمة؟ ما هي؟ ما هي أخلاقه كإنسان مع

الناس؟

هل توفي في غرداية؟ وفي أي سنة حدث ذلك؟ وفي أي مقبرة هو

الآن؟

كانت عنده بعض أسئلة مختصرة المراد منها خدمة التاريخ

والبحث عن حياة الأبطال، أمثال هذا الرجل الذي اندثرت أعماله وغابت علينا حقيقته، وإذا كان لديكم مزيد من المعلومات عليه فإني أنتظرها بفارغ صبر.

جزاكم الله خيرا، وأمدّ في عمركم، وثبت أجر الصيام والقيام.

ابنكم البار: عمر بن داود بنوح

الجواب

الشيخ سليمان بن الحاج إبراهيم، لقبه بانوح.

كان من جملة تلاميذ الشيخ الحاج محمد بن يوسف اطفيش رحمه الله النجباء.

تزامن تعليمه مع الشيخ سليمان الباروني المجاهد الليي رحمه الله، وكان من جملة أصدقائه المخلصين، وكان تبادل الرسائل بينهما متوالية.

حفظ القرآن الكريم وهو شاب، وتفقه في دينه، وتعلم علم الميراث وأتقنه، وحفظ الفرنسية بذكائه الفطري، وكان يحسن قراءتها والكتابة بها، وهو صحيح البنية، مفتول العضلات مربوع القد، لا بالطويل ولا بالقصير.

وكان شغوفا بنشر العلم الصحيح، وكان عضوا بارزا من أعضاء

حلقة إروان (1) والحراسة الليلية (2).

(1) - إروان: جمع إرو (ميزابية): وهي هيئة تضم حفظة القرآن الكريم، ومعنى "إيرو" بالعربية: المرتوي للعلم والفقه. ولهذه الهيئة آداب خاصة، وتعتبر الرديف الأساسي لهيئة العزابة بوادي ميزاب. (باجو)

(2) - نظام الحراسة الليلية من الأنظمة العرفية بوادي ميزاب حفاظا على سلامة وأمن البلد والأهالي، ولا يزال قائما إلى اليوم، وهو عمل تطوعي ابتغاء وجه الله، وله أعراف وتقاليد مرسومة. (باجو)

وكان مولعا باقتناء السلاح الجيد، مما جعله يتقن تسديد الرماية، وساعده على أمنه في تنقلاته عبر الصحراء من ميزاب إلى مدينة تيهرت، ومنها إلى معسكر على طريق القوافل.

وكان يعتمد في جلب رزقه الحلال على التجارة، وله في ذلك رحلتان ربيعية وخريفية. ففي الربيع يجمع منذ الخريف ما يشتريه من تمر فيأخذه إلى تيهرت ومعسكر (1).

- انظر: جلسات تأسيس جمعية الإصلاح في سنة 1928م.

- انظر: كراسة الأناشيد في آخرها.

- انظر كتاب بخط يده في الوثائق العسكرية.

(1) - انقطع الموضوع هنا، ولا ندري هل أمه الشيخ أم انتهى هنا. (باجو)

سؤال وجواب عن تاريخ آل خفيان

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

سأل الأخ الفاضل الحاج عمر بن الحاج بكير بن قاسم بوكرموش، يوم الخميس السادس جمادى الأولى عام 1401 هجرية، المطابق ليوم 12 مارس 1981 عن تاريخ الشيخ آل خفيان، فهذا ما وجدته مكتوبا عندي والله أعلم.

بعد مقدم الشيخ بابا عيسى العلواني لغرداية يوم الحادي والعشرين صفر من عام 548 هجرية الموافق ليوم الثامن والعشرين من ماي سنة 1153 ميلادية.

وفد الشيخ آل خفيان قادما من مدينة درنة بولاية طرابلس الغرب، بعد ذلك بخمس سنين، أعني في عام 533 هجرية المطابق لسنة 1158 ميلادية.

وبعد ذلك بمدة 12 سنة قدم الشيخ بابا ثامر في اليوم السابع عشر ذي القعدة الحرام عام 560 هجرية الموافق ليوم الخامس والعشرين أكتوبر من سنة 1165 ميلادية.

ثم قدم الشيخ باحمد المكئي "خديم أمه"، مصحوبا بأمه من القصر البخاري، في اليوم السابع شوال عام 564 هجرية الموافق ليوم الثاني عشر أوت سنة 1169.

أعني بعد قدوم الشيخ بابا ثامر بثلاث سنين.

وفي سنة 567 هجرية الموافق لعام 1171 ميلادية كانت وفاة الشيخ بوقدمّة، واسمه إبراهيم بن يوسف، والذي قدم لغرداية يوم

السابع محرم الحرام، عام 543 هجرية، الموافق ليوم 28 جوان سنة 1148 ميلادية.

وبعد وفاته استخلفه في مشيخة المسجد الشيخ بابا عيسى العلواني وذلك في عام 569 هجرية الموافق ليوم الثالث أبريل سنة 1173 ميلادية.

وفي أثناء مشيخة هذا الأخير انتقل إلى رحمة الله الشيخ آل خفيان وذلك في اليوم الرابع عشر رمضان المعظم عام 587 هجرية، الموافق ليوم 25 نوفمبر سنة 1191 ميلادية.

وتزوجت إحدى بناته بالشيخ إبراهيم بن يوسف بابا ولجمة، والأخرى بالشيخ بابا عيسى العلواني.

وبعد وفاته بأربع سنين أعني في عام 591 هجرية الموافق لليوم الخامس عشر ديسامبر سنة 1194 ميلادية انتقل إلى جوار ربه الشيخ بابا عيسى العلواني، وهو حسب الترتيب الثالث لمسجد غرداية، بعد مشيخة سابقه الشيخ بابا السعد تلميذ الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر، مؤسس نظام العزابة. والشيخ بابا ولجمة الذي شرع في غرس البساتين بغرداية، ولذلك سُمي بابا نتجما، وهي لفظة بربرية تعريبها: أب الأجنة.

وبعد ذلك استخلفهم الشيخ الرابع وهو الشيخ بابا ثامر، بعد وفاة الشيخ بابا عيسى العلواني، بخمس سنين، أعني في عام 596 هجرية الموافق ليوم 22 أكتوبر سنة 1192 ميلادية.

وكانت وفاته رحمه الله في اليوم الرابع ربيع الثاني من عام 608 هجرية الموافق ليوم 14 أكتوبر سنة 1211 ميلادية.

هذا ما وجدته مبعثرا في بعض الوثائق جمعته، والعهد على أصحابه والله هو الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب. والسلام.

الميزابيون والكفاح الوطني

مشاركة الميزابيين في الثورة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

على الدارس أو الناقد النزيه أن يعود إلى الوراء في رحلة النضال والجهاد الوطني.

ما لم تعد إلى الجذور وتكشف عنها، وإلى العوامل تصطبجها، وإلى المؤثرات المتخلفة لتفسير الأحداث على ضوئها.

لهذه الأسباب كلها رأيت أن أخصص هذا البحث للكشف عن هذا الإنتاج المجهول، ودراسته من خلال الظروف السياسية والاجتماعية التي عرفتها الجزائر قبل الثورة التحريرية.

مقدمة

إذا أراد كاتب دراسة ثورة من الثورات، ولا سيما الثورة الجزائرية المباركة، فعليه أن يعود إلى الوراء ليربط بين الماضي والحاضر، وإذا كان هذا البحث يختص بمنطقة ولاية غرداية يجب عليه الرجوع إلى جذورها كجذور النخلة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ولذلك يجدر بنا أن ندلي هنا بما كتبه الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله عند زيارة قام بها إلى تونس في سنة 1921، ونشرته جريدة النجاح الجزائرية، عدد 44، تاريخ 19/9/1921. تحت عنوان: "فحضة جزائرية بالحاضرة التونسية" وهذا نصها:

«إن الشعور الوطني، إذا أفعم لا بد أن تظهر ثمراته في الأعمال

حتى تبلغ الأمم غاية الكمال، فهو كالماء تحت الجبال لا بد أن ينبعث فتشقق له الحجارة وتتفجر منه الأنهار.

وها هم أولاء إخواننا الميزابيون سرى فيهم شعور صحيح، فولعوا بالتقدم فأخذوا يتمسكون بأسبابه بجد واجتهاد، وأخذوا في طريق التجارة حتى ملكوا أزمّتها وصاروا العضو القوي الإسلامي بالجزائر فيها، وها هم اليوم يسعون في طلب العلم، ويرحلون من أجله، وأخلق بهم أن ينالوا ما يريدون.

حللت بتونس فاستدعتني جماعتهم -يعني إخوانه الميزابيين- إلى الحضور عندهم في دارهم ليلاً، فلما فرغنا من العشاء خرجت إلى صحن الدار شبيبته المتعلمة بالمدارس التونسية على الأسلوب الحديث الذي يجمع بين العلوم الدينية والدنيوية، واللغة العربية والفرنسوية، مع حفظ القرآن الكريم، فاصطفوا بنظام، وشنّفوا أسماع الحاضرين بالأناشيد الوطنية والمدرسية، وتجاوزوا بالمناظرة السيفية القلمية، كل ذلك باللهجة الفصحى والألسن الذلقة، والجأش الثابت، فأبنا منهم أهلة توشك أن تكون أقماراً، وغروسا طيبة توشك أن تجني ثماراً.

وكنت أنا أزاء ذلك بين عاملين متناقضين؛ عامل سرور وأمل بمن أرى من بني ملتنا ووطننا، من تلك الشببية المتنورة بأنوار العلوم، وعامل حزن وأسف من حالة أبنائنا الآخرين الذين منهم من أهملهم آباؤهم فقتلهم الجهل، والتهمتهم الشوارع وأهلكتهم المفاصد والمنكرات، ومنهم من تعلموا وأهملوا حتى المبادئ الدينية، وحرّموا اللغة العربية لغة الجنس والدين، لغة الآباء والأجداد».

تُرى، من هي الجماعة التي استدعت الإمام عبد الحميد بن باديس إلى منزلها؟

أولاً: الشيخ أبو إسحاق إبراهيم، نزيل القاهرة المشهور بمواقفه

الوطنية وتآلفيه المتعددة(1).

ثانياً: الشيخ صالح بن يحيى بن الشيخ، أحد ركائز الحزب الحر الدستوري بتونس(2).

ثالثاً: الشيخ أبو اليقظان الحاج إبراهيم، عميد الصحافة الوطنية بالجزائر(3).

رابعاً: الشيخ باعلي الحاج صالح بن بن الحاج علي بن محمد،

(1) - الشيخ إبراهيم بن اطفيش. (1886-1965م) علم بارز في تاريخ الحركة الإصلاحية والوطنية بالجزائر، نفاه الاستعمار الفرنسي إلى تونس ثم إلى القاهرة، وكان ضليعا في علوم اللغة والشريعة أسهم في الحركة العلمية والتأليف ونشر كنوز المخطوطات بالقاهرة. مثل تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن"، أنظر ترجمته مفصلة في معجم أعلام الإباضية، ترجمة رقم 37. (باجو)

(2) - صالح بن يحيى بن سليمان بن عيسى، آل الشيخ (ت: 1367هـ / 5 جانفي 1948م) من رجالات بني يسجن بميزاب، كان يتقّد حيوية وثورية ووطنية. تتلمذ على قطب الأئمة الشيخ أحمد بن يوسف اطفيش. ثم رحل إلى تونس، وساهم في الحركة العلمية والوطنية والسياسية بها، مساهمة فعالة.

يعتبر العضد الأيمن للشيخ عبد العزيز الثعالبي في جهاده ضد الاستعمار الفرنسي، ومن المؤسسين للحزب الدستوري التونسي جنبا إلى جنب مع الثعالبي، دعمه بكل ما أوتي من جهد ودعاية ومال. وسجنه الاستعمار الفرنسي لنشاطه الوطني، كما كان مهتماً بالحرب الطرابلسية، ضد الاستعمار الإيطالي، إذ جمع لها أموالاً من الجزائر وتونس لدعمها. من أشهر تلاميذه في الوطنية ابن أخيه الشاعر مفدي زكرياء، شاعر الثورة الجزائرية.

انظر ترجمته مفصلة في معجم أعلام الإباضية، ترجمة رقم 518. (باجو)

(3) - الشيخ أبو اليقظان إبراهيم، (1888-1973م) من أبرز رجال الإصلاح في الجزائر في العصر الحديث، وأب الصحافة الوطنية العربية، ترك ديوان شعر ومؤلفات في الفقه والتاريخ والأدب والفكر. وقد أنجزت دراسات عديدة حول جهاده الصحافي والوطني، وفكره الإصلاحي. انظر ترجمته مفصلة مع مصادر دراسته في معجم أعلام الإباضية، الترجمة رقم 42. (باجو)

أحد رؤساء البعثة الذي وقع ذلك الاحتفال بداره.

خامسا: الشيخ محمد بن صالح الثميني، صاحب مكتبة الاستقامة بتونس، وهو أشهر من نار على علم (1).

سادسا: الشيخ يوسف بن بكير حمو وعلي، خريج جامع الزيتونة، ونائب رئيس مجلس عمي سعيد (2).

(1) محمد بن صالح بن يحيى الثميني، (1897-1970م)

من أعلام مدينة بني يسجن ساهم في الحركات العلمية والاجتماعية والسياسية في الجزائر وتونس، إذ انضم إلى البعثة العلمية الميزابية بها؛ وكان مساعداً للشيخ أبي اليقظان، والشيخ أبي إسحاق اطفيش في تسيير شؤونها، ثم تولى رئاستها بعد نفي فرنسا للشيخ أبي إسحاق إلى مصر سنة 1923م. وكان عضواً بارزاً في اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي، ومن أعماله أيضاً أنه كان مبعوث الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى أمريكا والمغرب، لخدمة القضية الوطنية. كما ساهم في صحافة أبي اليقظان تخطيطاً، وكتابة، وتصحيحاً، وإشرافاً على طبعها في تونس.

شارك في إنشاء جمعية الاستقامة الخيرية بمدينة قالمة شرق الجزائر، وتولى رئاستها وإدارة مدرستها سنة 1930م.

قامت مكتبته "الاستقامة" في تونس بدور هام في الميدان السياسي، والمجال العلمي، كما تولى طبع بعض كنوز التراث، مثل: "الورد البسام في ريباض الأحكام، والتكميل لما أخل به كتاب النيل، وصدره بترجمة وافية عن مؤلفه تعتبر من أهم مصادر حياة الشيخ عبد العزيز الثميني.

حرر فصولاً تاريخية، ومقالات اجتماعية، وله قلم يتقّد وطنية وبغضا للمستعمر، من أهمها سلسلة مقالات في مجلة العرب لزين العابدين السنوسي، بعنوان: «حقائق عن وادي ميزاب».

تخرّج على يديه ثلّة من الأدباء والوطنيين. انظر ترجمته مفصلة في "معجم أعلام الإباضية"، ترجمة رقم: 829. (باحو)

(2) - يوسف بن بكير، حمو علي (و: 1304هـ / 1887م - ت: 1405هـ / 1984م) من مواليد مدينة العطف، نشأ يتيماً ضريراً فقيراً، أخذ مبادئ العلوم في مدرسة مسجد أبي سالم بالعطف، عند الشيخ عمر بن حمو بكلي، ثم انتقل إلى معهد الحاج عمر بن يحيى

سابعاً: الشيخ أحمد بن عيسى قزريض (1)، باش عدل بالمحكمة الشرعية بقسنطينة، وبعدها بغرداية. الصديق الحميم للشيخ باديس

بالقرارة، ثم انضم إلى معهد قطب الأئمة الشيخ اطفيش ببني يسجن.

وفي سنة 1335هـ / 1917م سافر إلى تونس مع أوّل بعثة علمية برئاسة الشيخ أبي اليقظان إبراهيم، فدرس على مشائخها، ومنها: العلامة الطاهر بن عاشور، والشيخ الصادق النيفر، والشيخ حسن حسني عبد الوهاب.

عند عودته إلى مسقط رأسه سنة 1342هـ / 1923م اشتغل بالتدريس والفتوى في دار حفظة القرآن "إيروان"، وبالوعظ والإرشاد في مسجد أبي سالم، بعد أن انضم إلى حلقة العزّابة سنة 1921م، التي تولى رئاستها بعد وفاة شيخه الأوّل.

وفي سنة 1375هـ / 1954م خلف الشيخ إبراهيم بن بكير حفار في التدريس بالمعهد الجابري ببني يسجن.

عين في سنة 1383هـ / 1962م نائبا للشيخ إبراهيم بيوض في رئاسة مجلس عمي سعيد، إلى حين وفاته سنة 1401هـ / 1981م؛ فاختير بعده رئيساً شرفياً للمجلس.

من أبرز أعماله تفسيره للقرآن الكريم، وشرحه لقواعد الإسلام، إلقاء في دروس بالمسجد.

كما ترك مراسلات وفتاوى لا تزال مخطوطة، ومجموعة من الأشرطة السمعية تحمل خطابه ومواعظه.

مات عن عمر يناهز المائة، وخلف ثلّة من التلاميذ البارزين في الجزائر وتونس وليبيا. ويعتبر آخر من مات من تلامذة القطب اطفيش.

انظر ترجمته في "معجم أعلام الإباضية" رقم 1054.

(1) - أحمد بن عيسى، قزريض - ويرد أحياناً بلفظ قزريط - (ولد في 1305هـ / 1887م -

وتوفي في 1352هـ / 1933م) من أعيان مدينة غرداية، درس على الشيخ حمو ابن باحمد

باباموسى، وقطب الأئمة الشيخ اطفيش. التحق بالبعثة الميزابية بتونس، للدراسة في جامع الزيتونة

له باع طويل في علم الفرائض والمواريث، مع سعة اطلاع في الفقه، والعلوم العربية.

بعد عودته من تونس عُيّن شيخاً في مسجد غرداية، وكان داعياً للعلم وإصلاح المجتمع بميزاب، وهو من مؤسسي «جمعية الإصلاح» سنة 1346هـ / 1928م.

كانت له علاقات وطيدة بالشيخ ابن باديس بقسنطينة، ففرض عليه الشيخ أن يساعده في تدريس طلبته بالجامع الأخضر، فتولى تدريس مادّة النحو، وكان الشيخ ابن باديس يلقبه بـ «سيبويه الجزائر». تولى منصب باش عادل في المحكمة الإباضية بقسنطينة، ثم انتقل إلى غرداية لنفس المهمة.

انظر ترجمته في "معجم أعلام الإباضية" ترجمة رقم: 86.

وهؤلاء كلهم قد انتقلوا إلى رحمة الله.

ثامنا: بركة السلف الصالح أستاذنا الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف ببانو، وهو حاليا رئيس مجلس عمي سعيد، أمد الله في عمره، وأبقاه ذخرا للإسلام والمسلمين (1).

وبعد هذا الفوج انتقل إلى تونس الخضراء للتعليم أفواج كثيرة، نخص بالذكر منهم: الأستاذ الجليل عبد الرحمن بن عمر بكلي، وذلك في أواخر سنة 1922، وكذلك أحمد بن الحاج يحي بكلي، وأحمد بن الحاج موسى بابا عمي.

أولا: أما الشيخ عبد الرحمن فإنه بعدما أتم دراسته بتونس انتقل إلى الجزائر، وحضر الجلسة التأسيسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وذلك في سنة 1931، ثم أصبح عضوا في حلقة العزابة بالعطف في سنة 1934، ثم انتقل إلى بريان في سنة 1939 لإدارة جمعية الفتح، ومدرستها.

وفي سنة 1957 أُلقي عليه القبض وسُجن، ثم أطلق سراحه بعد عدة شهور.

وفي سنة 1966 عيّن عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى.

وأخيرا تولى رئاسة مجلس عمي سعيد بعد أن عجز الشيخ بيوض إبراهيم عن حضوره.

(1) - كان هذا إبان كتابة الشيخ للمقال، وقد انتقل الشيخ بابانو إلى رحمة الله سنة 1988 م. وهو من علماء بني يسجن، بما ولد سنة 1896م، وعاش حياته في خدمة العلم وإنشاء المدارس وإصلاح المجتمع، وكان شيخا لحلقة العزابة ببلده، ثم ترأس مجلس عمي سعيد إلى وفاته يوم 27 سبتمبر 1988. انظر ترجمته مفصلة في "معجم أعلام الإباضية" ترجمة رقم 867.

أما الأستاذ الشيخ أحمد بن الحاج موسى باباعمي، فقد رشحه الشيخ أبو اليقظان للإشراف على التعليم الديني للصبيان في مدينة غليزان، في الغرب الجزائري، وذلك أواخر العشرينيات، وكان من جملة تلاميذه شاب ذكي يسمى إبراهيم بن صالح رمضان، فطوى مراحل التعليم هناك، ثم انتقل إلى معهد الحياة في القرارة في أوائل الثلاثينات، ومكث هناك سبع سنوات، وتعهده الشيخ بيوض رحمه الله بالرعاية. وبعد سبع سنوات من التعليم هناك أتم دراسته وانتقل إلى غرداية للتعليم في جمعية الإصلاح تحت رئاسة الشيخ صالح بابكر.

ومن أهلتها التي توشك أن تكون أقمارا:

أولا: الأستاذ الشيخ صالح بن قاسم بابكر، مؤسس جمعية الإصلاح منذ سنة 1928، إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم 19 مارس 1976م (1).

ثانيا: مفدي زكرياء بن سليمان بن يحي، شاعر الثورة الجزائرية.

ثالثا: رمضان حمود بن سليمان، الشاعر الثائر، القائل: من أراد منكم التغزل فليتغزل بوطنه الجميل.

وهؤلاء قد انتقلوا إلى رحمة الله.

رابعا: بابا بن إبراهيم بوعروة، الذي تولى منصب القضاء بقسنطينة، وشارك في تأسيس جمعية الإصلاح بغرداية ورئسها حاليا. غفر الله ذنوبه.

(1) - الشيخ صالح بن قاسم بن عيسى بابكر، رائد حركة الإصلاح، ورئيس جمعية الإصلاح بغرداية، ولد بها سنة 1322هـ / 1904م - وتوفي سنة 1395هـ / 21 مارس 1976م

انظر تاريخه مفصلا في كتاب "على درب الأنبياء، الشيخ صالح بابكر" للشيخ هو فغار، تحقيق مصطفى باجو. وترجمته في "معجم أعلام الإباضية"، ترجمة رقم: 509.

وفي أثناء تلك الحقبة من الزمن، يروي لنا التاريخ عن طائفة كانت حوالينا قدمت نفسها مطية للاستعمار العسكري الفرنسي، وشاركت بنفسها ورجالها وخليها ورجلها، بما له من خبرة في مسالك الصحراء لفتح ما انغلق من أبوابها، كما ساهمت مع المستعمر في غزو بعض الأصقاع في المشارق والمغارب.

وذلك نقلا عن كتاب (1).

وأصبحت الآن كأنها هي التي أهدت إلى الجزائر مفتاح الاستقلال.

ولو كشف الغطاء عما كان يدور أثناء ذلك من المؤامرات والحوادث المضحكة والمبكية في آن واحد لرأينا العجب العجيب، لكن المثل العامي يقول: خَلَّى الزَّيْرُ بَعْطَاةً (2).

وهؤلاء هم مرتزقة الشعابنة.

وعلى سبيل المثال، نسوق هنا نص جواب أرسله واحد من أبنائنا المجهولين إلى الحاكم العسكري في بيرو عرب، غرداية، وجعل منه لافتة في مكتبه وهذا نص تعريبه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،

إلى السيد القائد العسكري الأعلى.

إعلموا بأنه لا يجوز لطبييكم الكشف على أين ميت أو أي

(1) - لم يورد الشيخ بوعروة اسم هذا الكتاب.

(2) - معنى المثل: دع الأمر مستورا، ولا داعي لكشفه ونشر فضائحه.

مريض ميزابي، فعملكم هذا عمل قبيح، ولا يجوز لكم أن تتخذوا من الميزابيين جنودا لكم، كما لا يجوز لكم أن تغيروا من عادات أسلافنا، ولا يجوز لكم أن تجبروا أولادنا على التعلم في مدارسكم، ولا أن تقولوا: نريد منكم ألف [كذا] أو مائة أو عشرين، أو عشرة من أولادنا للدخول في مكاتب تعليمكم إجباريا، إنكم فتحتم مكاتبكم لمن يريد أن يشتكي، فليتوجه لها كل من له شكاية، ومستشفى ليذهب إليه من أراد ذلك.

ودار للبغاء فليذهب إليها كل من شاء أن يدخل نار جهنم. ولا شيء من ذلك يكون إجباريا.

تزعمون أيها الفرنسيون بأن أجدادكم من الموتى لا يخاطبونكم أبداً، أما نحن المسلمين فإننا نعتقد بأن أسلافنا أحياء، ولو كانت لحومهم وعظامهم رميم [كذا] في الأرض، وإنهم يراقبون أولادهم، وهم كالأسود في الغابة يراقبون أنفسهم كما يراقبون منطقتهم، ويفترسون كل من أراد التعدي عليهم، والله شاهد، وحكمه عادل.

وأجدادنا يقولون لكم: كل حكومة تريد أن تأخذ منا ولو عسكريا واحدا فمآلها الفناء.

والميزابي لا يخضع للفلواذ، وإلا فإنه يسمى خائنا، ومن باع لكم منهم دينه أو إخوانه فمآله الخسران.

وهذا الجواب لم يصدر من أحد العلماء أو رئيس ولا من أحد الأغنياء، أو الموظفين، بل هو من عمل أحد الضعفاء والمرضى والأموات الذين هم تحت التراب كالرماد، إنكم تحسبونهم أمواتا وهم عند الله أحياء.

أخيرا، فلا فائدة من فتح بحث في موضوع هذا الجواب، لأن كاتبه لا يخاف استنطاقا ولا سحنا ولا موتا، ولا يخشى إلا الله الذي

خلقه، والذي أمره بكتابته».

انتهى تعريبه عن كتاب "أطهار القفار" "Les puritain de desert"

لمؤلفه André Chevillon.

هذا ما يحكيه التاريخ.

وبعد ذلك فلنرجع إلى الأفواج الأخرى التي انتقلت إلى تونس

للاعتراف من علومها العصرية، بعد تلك الأهلّة المذكورة أعلاه.

ونخص بالذكر منهم المرحوم الأستاذ الحاج أحمد بن الحاج موسى

بباعمي، الذي رشّحه مربيّه الشيخ أبو اليقظان رحمه الله، للإشراف

على تعليم أبناء المسلمين حفظ كتاب الله والتفقه في الدين على الطريقة

العصرية، وذلك بطلب من رئيس الجماعة المرحوم أحمد عبد الرحمن

ونائبه المرحوم عمر بن سليمان كركاشة.

فشرع في التعليم في أواخر العشرينيات، وكان من جملة تلاميذه

الشاب الذكي المجتهد إبراهيم بن صالح رمضان، فطوى مراحل التعليم

هناك، ثم انتقل بعد ذلك بواسطة أعضاء جماعة غيليزان إلى معهد الحياة

بالقرارة، في أوائل الثلاثينات وتعهده الشيخ بيوض رحمه الله برعايته.

وبعد مضي سبع سنوات من التعليم أتم دراسته في المعهد، وانتقل

إلى مسقط رأسه، وتولّى التدريس في جمعية الإصلاح تحت رئاسة

المرحوم الأستاذ الشيخ صالح بن قاسم بابكر، مع الحاج إبراهيم بن

الحاج بكير دادي وعمر، رحمه الله.

فقام بواجبه في التدريس وصار لسان جمعية الإصلاح في إلقاء

المواعظ والخطب لدى المواسم والأعراس في ديار العشائر.

وكلما قدم الشيخ بيوض رحمه الله إلى غرداية استقبله بما يليق

بمقامه من التحلة والاحترام، حتى صار من جملة المتحمسين لنشر آرائه

وأفكاره السديدة.

وعلى سبيل المثال، في انتخابات يوم 4 فيفري 1951 للمجلس

العمومي بالجزائر، كان هو الوكيل الرسمي لقائمة الشيخ بيوض في دار

الكوثر، صندوق رقم 3، وبقية الأعضاء هم: عوف عمر، بوسنان

داود، فخار حمو، أملون علي، وبوعروة داود.

وبعد ظهور نتائج الإصلاح بفوز الشيخ بيوض ارتحل خطابا ناريا

يمجّد فيه بالإصلاح والمصلحين ويندد بأضدادهم.

وهنا يجدر بنا أن نسجل ما دار من حديث في شأن تلك

الانتخابات بين المرحوم عيسى بن عماره خبزي، وبين الحاكم

العسكري في مكتبه بغرداية، بمحضر المرحوم بابا بن حمودة الذي روى

لنا هذا الخبر، حيث طلب منه عدم التدخل فيها والبقاء على الحياد،

لينال بذلك سمعة طيبة بعد مغادرته منصبه، حيث ستنتقل المنطقة من

الحكم العسكري إلى الحكم المدني. وزاد قائلا: ولعلها ستنتقل في يوم

من الأيام من يد فرنسا، واستشهد له بالمثل الشعبي القائل: ما يبقى في

الواد سوى حجارو.

فطلب من الترجمان بابا بن حمودة ترجمته إلى الفرنسية، فقال له:

IL ne reste dans la rivière que des pierres

فاعتبروا يا أولي الأبصار.

مسألة ضم ميزاب إلى عمالة الجزائر

وبعد تلك الانتخابات مباشرة قدمت إلى منطقتنا بعثة برلمانية من

فرنسا تحت رئاسة الميسو Lagrosilière، وقدمنا لها تقريرا في مسألة

ضمّ ميزاب إلى عمالة الجزائر، وذلك باسم أغلبية شيوخ العشائر

وأعضاء العزابة، والسنقات الفلاحية السبع، والجمعيات التهذيبية

الخمس: الإصلاح بغرداية، والحياة بالقرارة، والفتح بريان، والنهضة

بالعطف، والنور بينورة. وباسم جمعية قدماء التلاميذ، وفروعها،

والجمعيات الرياضية، والأعيان الذين يمثلون ثمانين في المائة من الميزابيين. ... لقد تتبعنا بكامل العناية تطور القضية في جميع أطوارها منذ ثلاثين سنة، ولقد كنا نترقب بفارغ صبر تحقيق أمنيّتنا، وهي ضم ميزاب إلى الشمال:

1= بناء على صدور القانون الأساسي للجزائر يوم 20 سبتمبر سنة 1947، الذي يقضي في مادته الخمسين بإزالة الحكم العسكري عن أراضي الجنوب، وضمها للشمال.

2= بعد تقديمنا لنائبنا المحترم الشيخ بيوض للمجلس الجزائري، ليسط للدوائر العليا قضيتنا، ويدافع عنها حتى يحقق رغبتنا، وذلك في دورتي 1948، 1951. وقد قام بما يجب أحسن قيام.

3= بعد موافقة المجلس الجزائري على مشروع الحكومة، لا سيما في تقرير ضم ميزاب لعمالة الجزائر.

هذه الحوادث كلها كانت تبشرنا بقرب نجاح المسألة وإتمام تطبيق النظام المدني بتمامه، وضم ميزاب نهائيا إلى عمالة الجزائر، وانتخاب نائب أو نواب عنه في المجلس العمالي.

وطلبنا منهم تحقيق أمنيّتنا في ضم ميزاب إلى الشمال وذلك حسبما طلبنا من الشيخ بيوض ممثلنا أمام المجلس الجزائري، أن يدافع عن ذلك المشروع أمام الدوائر العليا بالعاصمة.

وقد قام بما يجب أحسن قيام ونجح في الموافقة عليه أمام المجلس الجزائري الذي قرر ضم ميزاب إلى عمالة الجزائر.

وأخيرا طلبنا من تلك اللجنة إتمام تطبيق النظام المدني بتمامه، وضم ميزاب نهائيا إلى عمالة الجزائر.

وقد صادق على هذا التقرير الأستاذ إبراهيم رمضان باسم قدماء

التلاميذ، فرغ غرداية.

وبعد هذا النصر والحمد لله توصل الشيخ بيوض رحمه الله ببرقية من خصومه، هذا تعريبها:

«السيد بيوض، النائب في المجلس الجزائري، الجزائر.

نظراً لخطورة الحالة فيما يهّم ارتباط ميزاب بأرض الشمال، وذلك رغم الاحتجاجات المُجمّعة عليها من الشعب ضد هذا الارتباط، ولإبقاء ما كان على ما كان عليه.

هذا فإننا نطالبكم بأن تبرروا موقفكم حسبما واعدتمونا، بأن تدافعوا عنّا أمام المجلس ولدى السلط صاحبة النظر، ومعنى ذلك إبقاء ما كان على ما كان، واحترام بنود معاهدة 1853م.

وفي الحالة التي قمنا وجدنا خروج منكم عن الطريق، لهذا فإننا نطلب منكم الوقوف عند حدكم، ولو مؤقتا حيث إنكم تعملون ضد إرادة الأمة، والقُدوم لتحاسبوا أمام محكمة الشعب في الشيخ سيدي عبد الرحمن الكرتي، لكل ما يهم الأمر.

المطلوب جوابكم المنتظر».

والجواب المنتظر هو أن البطل الذي قام بإزالة الحكم العسكري من كامل تراب الصحراء وعوّضه بالحكم المدني، والذي توصل إلى ربط وادي ميزاب بالجزائر رأساً، وذلك رغم الصعاب والعراقيل التي واجهته في مهمته من طرف الحكام العسكريين الأقوياء، والمعاكسات المحلية المدبّرة من طرف الاستعمار، هو الشيخ بيوض الحاج إبراهيم بن عمر تغمدته الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه.



مشاركة الشيخ بيوض في الثورة والنضال السياسي

إن أمثال هذه الشخصية الفذة التي توصلت بمجهوداتها الجبارة إلى إزالة الحكم العسكري من الجنوب وتبديله بالحكم المدني، هو في حد ذاته عمل جبار، مع ماله من قوة ونفوذ وهيئات، إلى تكوين مجتمع تنعدم فيه الأمية وتلتف حوله جماعة متضامنة ومتماسكة من العزابة ورؤساء العشائر ونقابة الفلاحين والجمعيات التهذيبية، وجمعية قدماء التلاميذ، والجمعيات الرياضية، في صحراء قاحلة فقيرة، لَمَّا يثير الدهشة والإعجاب.

إن أمثال الشيخ بيوض، هذه الشخصية الفذة التي شاركت في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، والتي أسست أول معهد ديني وطني في صحراء قاحلة فقيرة، وتخرج منه وعُظَّاء وشعراء وكتاب ومفكرون، والذي اهتزت له أعواد المنابر هنا، وفي المشرق العربي ومغربه، وشمالا وجنوبا، والذي دَوَّى بصوته أمام المجلس الجزائري بالعاصمة، بلسان عربي مبين، وكان أول من خطب به في ذلك المجلس، حتى صاروا يلقبونه بالصوت الذهبي: *La voie d'or*.

والذي توصل بمجهوداته المتواصلة إلى إزالة الحكم العسكري من الصحراء وتعويضه بالحكم المدني، وربط وادي ميزاب بالجزائر رأساً، رغم ما للحكم العسكري من قوة ونفوذ، ورغم المعاكسات المحلية المدبرة من قبل الاستعمار.

هو الذي قام بنشر الدين القويم والعلم الصحيح والأخلاق الفاضلة في ربوعه، كما قام بتأسيس أول معهد ديني وطني عصري في صحراء قاحلة، جرداء فقيرة، فأينعت ثماره وأخرج منه للناس وعظ مرشدون وشعراء وكتاب ومفكرون، وكوّن منهم مجتمعا تنعدم فيه الأمية.

والتفت حوله جماعة متضامنة متراصة حسبما هو مفصل في التقرير المذكور أعلاه، كما أنه شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، واهتزت له أعواد المنابر هنا، وفي المشرق والمغرب.

والعجيب في الأمر فإن هذا الزعيم لم يتخرج من أي معهد من المعاهد أو أية كلية من الكليات، بل استمد تربيته وخلقه وتكوينه من القرآن الكريم، الذي أخرج به العرب من الظلمات إلى النور.

وأحرى بشخصية عظيمة في منزلته وفي مقامه الرفيع أن يتصل به كل مسؤول وكل مفكر وكل مستشرق أو كل سياسي، سواء في المسائل الدينية كتفسير القرآن الكريم، بطريقة تتماشى مع عصرنا هذا أو في سياق حديث شريف يروي عن رسول الله ﷺ، أو فتوى ترتكز على الدين القويم، في أية مسألة من المسائل المستحقة في هذا العصر وهي كثيرة ومتنوعة، وفي طريقة التعليم التي تنجب أجيالا متشعبة بالأخلاق الفاضلة والاستقامة، وتعتمد على نفسها وتتوكل على ربها في بث روح الابتكار والازدهار لهذا الوطن العزيز، أو في سياسة الجماهير التي تعتمد على السلوك الحسن، مع الشورى والتيسير، والتبشير بالتي هي أحسن أحيانا، أو بالتي هي أخشن عند المناسبة.

وكان من جملة اتصالاته، وبالتحديد في شهر فيفري سنة 1956 وقعت له مقابلة في مدينة الأغواط بصفته ممثل منطقة ميزاب مع الأستاذ محمد بن سالم الممثل السياسي للجبهة، وبوخلخال معمر بن الرميلى، الممثل العسكري لها، وطلب منهما السعي إلى توحيد قيادة الجبهة بوادي ميزاب، وجعل حدًا للمنافسة الموجودة بين قيادة الأخ قهيوقة المتمركزة في ناحية سطّافة، قرب مدينة بريان، وبين قيادة بلخير العيفاوي بإشراف الأخ غزال الحاج سليمان بن عبد القادر، المتمركزة بمدينة العطف.

وبفضل مساعي الجميع فإنه تم توحيد القيادة في شبكة وادي ميزاب، حيث وقع ضمها نهائيا إلى الولاية السادسة، تحت قيادة العقيد الحواس، وتحت إشراف الأخ جغابة محمد، وذلك في أواخر أكتوبر من سنة 1956م.

وكان الغرض من ذلك هو إقصاء منظمة الحركة الوطنية الجزائرية: M.N.A. عن المنطقة، لأنها مدعومة بعيون من الاستعمار، وفي ذلك خطر للجبهة.

ولتوضيح ذلك فإننا ندلي هنا بشهادة الأخوين محمد بن سالم وبوخلخال معمر، وهذا هو نص تعرييها:

«يشهد على نفسه الواضع يده أسفل، ابن سالم محمد، بأنه عند تأسيس جبهة التحرير الوطني هنا، في فيفري سنة 1956، وجد من قبل الشيخ بيوض إبراهيم نحوها الدعم التام والمساعدة الفعالة، وفي تلك الحقبة في أوائل سنة 1956 كان ميزاب متأثرا أشد التأثير بتدخلات مبعوثي الحركة الوطنية الجزائرية M.N.A. المنتمية إلى سي زيان.

وبفضل الشيخ بيوض وأنصاره أمثال ابن يوسف سليمان والشيخ بكلي عبد الرحمن استقبلوا بحفاوة عمال مواصلاتنا، وآوؤهم. ذلك الموقف الذي جعل الشعب يميل نحو جبهة التحرير الوطني، ويمتنع عن إعانة الحركة الوطنية M.N.A. ويقوم بتموين مجموعتنا المقاتلة، وهي تعدّ الطليعة لجنود جبهة التحرير الوطني في الصحراء الجزائرية، المستقرة في شبكة ميزاب.

ومما يجدر ذكره هنا أنه في سنة 1956 كانت الحركة الوطنية M.N.A. متمركزة سياسيا وعسكريا في تلك المنطقة، وإن عملها التخريبي صار ينفذ بين سمع وبصر الجهاز القمعي الفرنسي.

ومما هو معروف لدى عدد كبير من أنصارنا ومن مسؤولينا في

قيادة جبهة التحرير الوطني أن الفضل يرجع إلى الشيخ بيوض في الانتماء إلى جبهة التحرير الوطني، والابتعاد عن الحركة الوطنية، والعون الذي قدمه إلى جنودنا وإلى مسؤولينا.

هذا وإن مسؤول قدماء الجنود بوخلخال معمر عضو المواصلات، وجابي الأموال قد اتصل به شخصيا ووجد لديه أتم المساعدة والدعم... الأغواط يوم 12 أكتوبر 1964».

وبعد رجوع الشيخ بيوض من الأغواط عقد اجتماعا بغرداية في دهليس دار المرحوم صالح بن قاسم بابكر ليلا مع الجماعة التي كان يعتاد المباحثة معها في المهمات، وكان من ضمن الحاضرين الأستاذ إبراهيم بن صالح رمضان، وأخبرنا باتصاله مع الأخ ابن سالم، وحذرنا من المشاركة مع الحركة الوطنية الجزائرية المسماة M.N.A. لأن في وسطها عملاء وعيون الاستعمار، وأمرنا بالاستمسك بجبهة التحرير الوطني والعمل معها قلبا وقالبا.

وبعد مضي أيام من ذلك الاجتماع بيننا، تلاقينا في دهليز المرحوم كركاشة عمر لتنظيم مشاركتنا مع الجبهة بعد توحيد القيادة اقترح علينا الأستاذ إبراهيم رمضان مقابلة أشخاص ونحن نعلم بأنهم من أعوان الحركة الوطنية، فحذرنا من هذا اللقاء وأفهمنا أن مغبته تكون وخيمة على الجميع.

فصمم على تنفيذ فكرته واستصحب معه المرحوم الأستاذ عمر بن صالح أداود لملاقة أشياعه. وبعد مرور ثلاثة أيام من ذلك اللقاء ألقى القبض على عضو من تلك الحركة الوطنية المزعومة، وتبعاً لذلك ألقى القبض على الأستاذ إبراهيم بن صالح رمضان، وذلك يوم الأحد 24 فيفري سنة 1954 صباحا.

وبعد مضي ما يقرب من ساعة من بعد ذلك داهم رجال الدرك

مدرسة الإصلاح في حواشة بالقصر، وألقوا القبض على الأستاذ
المرحوم صالح بن قاسم بابكر، وسألوه عن مكان وجود ناصر علي،
حيث وجدوا مستودعه مغلقا.

وبما أن الحاضرين من الأساتذة يعلمون بأنه في جنانه بالغبابة
فبادروا بإرسال سعيد بن موسى كربوش إليه ليخبره بما جرى بالتفتيش
عليه، وبعد ذلك بادر بإخفاء سلاح قارايبلا، فألقاها في بيت الخلاء،
وعند خروجه منها وجد أمامه رجال الدرك فساقوه معهم، وذلك لأن
الأول كان رئيس جمعية الإصلاح والثاني نائبه.

وبعد ذلك كنا نستجلي سير الحوادث، فأخبرنا بأن أحد المعتقلين
قد باح بجميع أسرارنا، وذلك بعد جولة من استنطاقه وتهديده، وأن
جماعتنا مهددة بالقبض عليها، فكان الأمر كذلك حتى صار رجال
الدرك يلقون القبض علينا أفواجا أفواجا، حتى بلغ عددنا خمسة وستين
سجيناً.

وفي أثناء اعتقالنا أجرينا اتصالات سرية مع الأخوين بابكر صالح
وناصر علي، فأخبرانا بأن القضية جد خطيرة، وحلها الوحيد يكمن
فيما اقترحه ناصر علي بتحمل مسؤوليتها وحده دون غيره، والتركيز
على القول لا أحد غيره يعلم شيئا أصلا، كما أنه هو وحده فقط يقوم
بالاتصال مع جبهة التحرير الوطني.

وعليه فكل من سئل منا عن شيء من ذلك يجب أن يكون
جوابنا "أنا لا أعلم شيئا، وإني أتبع أوامر ناصر علي ولي الثقة التامة
فيه".

فحاول رجال المباحث إلصاق التهمة بمرمضان إبراهيم حيث قالوا
عنه: إنه طويل اللسان، فأصر ناصر علي على نظريته قائلا: إني أتحمل
وحدي كامل المسؤولية دون غيري.

ولما وصل دورنا في الاستنطاق وبعد اللكم والصفع والركل
والسير حبواً على الرُكَب، كان جوابنا متحداً، ولم يحصلوا منا على
طائل، أطلقوا سراحنا وحجزوا الثلاثة الأولين، وقدموهم إلى المحكمة
أمام المحكمة العسكرية بالأغواط.

والمرحوم ناصر علي لتغطية زلته من جهة، والمحافظة على سلامة
إخوانه المقبوض عليهم، وعدم توريطهم من جهة أخرى، تحمّل كامل
المسؤولية بشجاعة وإباء، وبعد نظر، وصدق رسول الله إذ قال:
«كلكم ميسر لما خلق له»(1).

وهنا نتساءل: هل ذكر أحدهما في تقارير المجاهدين، وهل ذكر
المرحوم الحاج إبراهيم بن الحاج بكير دادي وعمر، الذي دوّن
الاستعمار وجعل من بستانه في ناحية مرماد مصنعا للبارود. وعندما
ألقي القبض عليه في المرة الأولى سئل عن صنع البارود فأجاب بكل
بساطة: أصنعه للإعلان عن الإفطار والإمساك في شهر رمضان، كما
أصنعه للفاذعة لاستقبال الحكام وللحفلات والأعراس. وفي الحقيقة
كان يمدّ به المجاهدين.

وعندما قبض عليه مرة أخرى اتهموه بتقديم السلاح والذخيرة إلى
الجبهة وكان قد أقام في دار سكناه مصنعا يسبك الرصاص والرش
للخرطوش والأسلحة، فأجاب قائلا: أصنعه لصيد الطيور.

فتعجبوا من تمكّماته، وأمعنوا في تعذيبه، وتفننوا في استنطاقه، ولم
يحصلوا منه على شيء، فألقوه في غيابات السجون، فكان جملة ما قضاه

(1) - الحديث أخرجه مسلم «عَنْ عَلِيٍّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ
جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عَوْذٌ يَنْكُتُ بِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ مَنَزِلَهَا مِنَ
الْحَشَّةِ وَالتَّارِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ نَعْمَلُ أَفَلَا تَتَكَلَّمُ قَالَ لَا اَعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»
كتاب القدر، حديث رقم 4787. (ترقيم العالمية)

فيها سواء في مدينة الأغواط والبرواقية والمدينة أو الحراش وبربروس، مدة ثمان وخمسين شهرا.

أما عن المرحوم عمر بن سليمان كركاشة لما أُلقي عليه القبض مكث في التعذيب الشديد والاستنطاق مدة شهر كامل، ولم يحصلوا منه على شيء مطلقا.

ومثله في ذلك المرحوم صالح بن الحاج عيسى موسى المال، عُدب أشد العذاب، ورأى بعينه سكرات الموت، ومع ذلك فإنه لم يبح بأي سرٍّ من الأسرار في الوقت الذي كان يشرف على إدارة المستودع التجاري الجنوبي، وكان هو المقر الرئيسي لتموين جيش جبهة التحرير الوطني بالصحراء. وملتقى مسيّري الثورة في المنطقة، وجماعة الإصلاح من القرى السبع.

ومات رحمه الله وهو متأثر بقساوة ما ناله من التعذيب في السجن، وأمثالهم كثير.

وبعد سكون تلك العاصفة، فكرت إدارة جمعية الإصلاح في مصير سجنائها فقدمت لهم وكيلا في الأغواط للدفاع عن حقوقهم، كما وجهت عنايتها لإعانة عائلاتهم ماديا وأديا.

وأوفدت عضوين من أعضائها هما بابا بن إبراهيم بوعروة، وعمر بن سليمان كركاشة، إلى الأخ الكريم السيد رمضان صالح بن إبراهيم، صهر إبراهيم رمضان، وأخبراه بما قررت إدارة الجمعية، من الإعانة، فأجاب قائلا: إن زوجة إبراهيم رمضان هي ابنتي، وأولاده هم أولادي، وإني قد أسكنتهم معي في دار للاطمئنان على راحتهم، وهم من جملة العيال في النفقة، وأتحمل بهم شخصا.

فشكرناه على هذا الموقف الكريم. وبعد خروج إبراهيم رمضان من السجن استقبله أعضاء جمعية الإصلاح هو ورفاقه في دار عشيرة

أولاد باحمد الكائنة قرب الباب الجديد، استقبالا حارا، وألقيت الخطب، وكان من جملة الخطباء الأخ سليمان بن الحاج داود ابن يوسف، وبعد ذلك أوفدنا له الأخوين ملال عمر بن سليمان، وحمو بن عمر فخار، طالين منه الرجوع إلى مكانه في التدريس مثلما رجع إليه الأخ الحاج إبراهيم بن بكير دادي وعمر، بعد إطلاق سراحه من السجن، فأجابهما قائلا: إني قررت ترك التدريس نهائيا، ولديّ حاليا مطامح سياسية أريد بلوغها.

وتركا له مهلة لعله يراجع فيها أفكاره فأصرَّ على مبدئه.

وشاركته الجمعية في إقامة أفراح زفاف ابنه سليمان.

وهكذا أسدل الستار معه على هذا النحو، وافترقنا وصار كل فريق منا انتهج سياسته.

وبعد ذلك انعقد اجتماع عمومي في الأجنة حضره كل من له فكرة عن سير الثورة، وكان من جملتهم الشيخ الأستاذ سليمان بن الحاج داود ابن يوسف.

أما عن الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي فلم يحضره، وقد حضره مع الأخ الحاج إبراهيم رمضان رفيقه حواش يحيى، كما اصطحب معه سابقا عمر بن صالح آداود، وكلاهم فاقد البصر، رحمهما الله.

وصدق الشاعر القائل:

ثوب الرياء يشفّ عما تحته فإذا التحفت به فإنك عارٍ

ولذلك فإن الحكمة تقتضي عندئذ الكلام بحذر، حيث اتعظنا

بما جرى لنا سابقا مع هؤلاء، ولذلك سلك الشيخ بيوض رحمه الله في ذلك الموقف أسلوب الكلام الذي يحلو لهم سماعه، ليلقن لهم درسا في السياسة التي يطمحون إليها.

ومن الناحية السياسية، ننتقل إلى التعمير، ومنها وسائل النقل:

أولا: نقل المسافرين:

- 1- شركة بليديان BLIDIEN المشهورة، الممتدة فروعها شرقا وغربا، ومقرها مدينة البليدة، والتي كان أكبر مساهم فيها هو المرحوم زهار عيسى.
- 2 وكالة الصحراء، MESSAGERIE DE SAHARA ومقرها برج بوعريريج، وتمتد فروعها إلى مدينة المسيلة، وبوسعادة، والجلفة.
- 3- شركة بوكامل، ومقرها مدينة الأغواط، وتمتد فروعها من الجلفة إلى الأغواط، غرداية، القاررة، متليلي، ورقلة، والمنيعة.
- 4- شركة الحافلات الحضرية، مقرها غرداية، ويمتد نشاطها بين قصر وغابة غرداية.
- 5- ولا ننسى شركة خبزي من بسكرة إلى تقرت، القاررة، غرداية.

ثانيا: نقل البضائع: وذلك بواسطة الشاحنات.

من الجزائر العاصمة:

1- شركة باعيسى بن داود دودو.

2- شركة النور.

3- شركة السماوي.

4- شركة عمر بن بكير.

5- شركة بوكامل محمد.

ومن غرداية:

1- المستودع التجاري الجنوبي.

2- شركة بوكامل.

3- شركة الحاج علي بابا عيسى.

4- شركة السماوي،

ومن قسنطينة: شركة مصباح بوعروة.

ومن بسكرة شركة خبزي عيسى بن عمارة.

ومن وهران شركة حواش عبد الرحمن بن إبراهيم.

ومن غيليزان عمر بن سليمان ملال. وشركة حدبون.

ومن تيارت شركة حواش عبد الرحمن بن عيسى.

ومن عين الذهب شركة كربوع حمو.

ومن شلالة شركة الحاج محمد الشقمة.

هذا هو ما بقي عالقا بالذاكرة، سجلته على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

وكل تلك الشركات تنقل المسافرين والتموين، إما إلى غرداية رأسا، أو إلى تقرت ورقلة.

وبفضل تلك المجهودات باتت الصحراء لا ينقصها شيء من التموين.

ومن مدينة غرداية ينتقل بواسطة الشاحنات على يدنا:

1- جماعة الحاج محمد بن إبراهيم، منها إلى المنيعة، عين صالح، تامنراست، أقادس، زندر.

2- جماعة فيها خمير منها إلى تميمون، نيامي، أقاديس، زندار.

3- جماعة الاروي، منها إلى تامنراست، وأدرار، وقاؤ، ونيامي،

وأقادس.

4- جماعة قمبر، منها إلى ورقلة، فلاتير، جانت، تامنراست، آقادس، زندار، غات،

5- جماعة مولاي الطيب، من غرداية إلى تيمون، نيامي، آقادس، زندر.

ويرجع الفضل في ذلك كله إلى الذين جلبوا ذلك التموين من الشمال واستقروا به في غرداية التي صارت هي القاعدة الأساسية لتموين الصحراء بأسرها، من توريد وتخزين وتوزيع.

تلك هي الحركة الاقتصادية على العموم.

أما عن الحركة السياسية:

فهذا هو مجمل سيرها.

كان ما يسمى بتراب الجنوب منطقة منعزلة عن شمال الجزائر، يدير دفعة الحكم فيها حُكَّام عسكريون بلا شفقة ولا رحمة، كونها متخلفة ماديا وصحيا، وسكانها في سُبات عميق، فقيض الله لها رجالا أخلصوا دينهم لله رغم تلك الظروف الصعبة، أمثال الإمام القطب الشيخ الحاج محمد بن يوسف اطفيش، رحمه الله رحمة واسعة، الذي ترك ثروة علمية تكان تكون فريدة في العالم الإسلامي في ذلك الحين، وأخرج للإسلام والمسلمين نخبة من العلماء العاملين، المخلصين رغم معاكسات ومشاكسات الاستعمار، وأذنا به من الجاهلين.

وكان من جملتهم المرحوم الشيخ الحاج عمر بن يحيى، الذي تتلمذ عليه، وعلى الشيخ أبي بكر بن الحاج مسعود بن باحمد، شيخ وإمام مسجد غرداية. الذي انتقل إلى رحمة الله يوم 27 جوليت سنة 1907 ميلادية.

والشيخ الحاج عمر بن يحيى هو أستاذ ومربي الشيخ الإمام الحاج إبراهيم بن عمر بيوض، تغمده الله برحمته الواسعة، فأخذ من يده مشعل العلم عن جدارة واستحقاق، وحارب البدع والخرافات، وأخرج للأمة الجزائرية رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا.

وقام بمقاومة الاستعمار الفرنسي، ولا سيما العسكري المتجبر، بكياسة ودهاء وسياسة.

وبعد أن أتم إعداد الرجال دينيا وخلقيا، تصدى لخوض غمار محاربة الاستعمار في ميدان السياسة، فاستدعته لجنة الإصلاحات الإسلامية بالجزائر، والتي شكّلها إذ ذاك الجنرال دوقول، وقدم لها تقريره المشهور المؤرخ يوم الثالث جانفي سنة 1944م. وفيه شكر تلك اللجنة على الأخذ بعين الاعتبار شكاية الأمة الجزائرية المسلمة، لمنحها الحقوق الثابتة لها، ولخص مطلبها في جملة واحدة، وهي أن تكون الواجبات مساوية للحقوق، وعبر بقوله: الأمة الجزائرية المسلمة.

بعد ذلك طلب منه الوزير المفوض الوالي العام على القطر الجزائري شرح المطالب والإصلاحات التي تصبوا إليها الأمة الميزابية، وهذا هو تعبير الوالي العام.

فقدم له تقريره المؤرخ يوم 24 أفريل 1946. وتلخص المطالب بما يلي:

أولا: من الوجهة الإدارية، تكون كل قرية من القرى السبع بلدية تامة تتمتع بجميع حقوق البلديات التامة.

ثانيا: الوجهة القضائية، بإعادة مجلس الاستئناف الميزابي المسمى بمجلس عمي سعيد. ويُحوّل القضاة حق التوثيق في جميع الرسوم وإصدار الأحكام في الأحوال الشخصية، وفي جميع المسائل المالية

والمعاملات والموارث وغيرها، من غير حد ولا قيد ولا شرط.

ثالثا: من الوجهة الإدارية الفرنسية فإننا نطالب إلغاء الحكم العسكري.

رابعا: من الوجهة الاقتصادية يجب أن تقوم سياستها على اعتبار البلاد ملكا خاصا لأهلها لهم وحدهم حق التصرف فيها، والحرية التامة أفرادا وجماعات، ولهم حق التمتع بجميع حقوقها إذا أنشئت عين مثلا، يجب أن تكون من مال الأمة وملكاً للأمة، أفرادا أو شركات أو بلديات، لا يتحكم فيها أجنبي مطلقا، ولا تعطى أي أراضي ميزابي لفرد أو جماعة أو شركة كائنة ما كانت إلا بموافقة المجلس العام، ومجلس بلدية تلك الجهة. مع الاحتفاظ بجميع الحقوق.

وأخيرا، يقول التقرير الذي قدمته جميع الهيئات وجلّ الجماعات المحلية بغرداية والقرى السبع بوادي ميزاب إلى لجنة الإصلاحات البرلمانية، في مارس سنة 1951 ما يلي:

لقد تبعنا بكامل العناية تطور قضيتنا في جميع أطوارها، منذ ثلاثين سنة، وقد كنا نراقب بفارغ صبر القانون الأساسي للجزائر، يوم 20 سبتمبر سنة 1947، الذي ينص بمادته الخمسين بإزالة الحكم العسكري عن أراضي الجنوب وضمّها للشمال، وذلك بفضل نائبنا المحترم الشيخ بيوض، وموافقة المجلس الجزائري، وكذا بتوسطه لدى الدوائر العليا الحكومية بالجزائر، حتى حقق رغبتنا، وذلك في دورتي 1948 و1951. وقد قام بما يجب في ذلك الحين أحسن قيام.

ولتوضيح ذلك العمل من قبل الشيخ بيوض رحمه الله ورضي عنه، نقول:

إنه عندما قدّم تقريره الأول إلى لجنة الإصلاحات الإسلامية تكلم بصفته الدينية، وعبر فيها بقوله شكاية الأمة الجزائرية المسلمة، وفي

تقريره الثاني قدمه إلى الوزير المفوض الوالي العام باسم سكان ميزاب خاصة، وباسم سكان تراب الجنوب العسكري.

وأخيرا اتضح من التقرير الأخير بأن الشيخ بيوض رحمه الله قد تحققت أمنيته ونال مسعاه في إزالة الحكم العسكري عن كامل تراب الجنوب، حيث قدم مطلبه في الشأن يوم 24 أبريل سنة 1946، وصدر قرار إزالة الحكم العسكري، يوم 20 سبتمبر سنة 1947. أي بعد مضي ستة عشر شهرا من طلبه.

أما عن التقسيم الجديد للصحراء فهو كما يلي:

القسم الأوسط تابع لعمالة الجزائر، وبذلك وقع ارتباط منطقة ميزاب بالجزائر رأسا حسبما رغب فيه الشيخ بيوض رحمه الله.

وقبل الانتقال إلى زيارة سوستال إلى غرداية، علينا دراسة تسلسل الأحداث السابقة، حيث تقلد الجنرال ديقول منصب رئاسة الجمهورية بفرنسا يوم 21 ديسمبر سنة 1958، وعيّن أثناء ذلك ميشال دوبري في منصب الوزير الأول، وعندها توجه إلى الجزائر لمدة خمسة أيام، من الثامن إلى الثاني عشر فيفري سنة 1959، لدراسة أوضاع الحالة في الجزائر في عين المكان.

وعند رجوعه تكلم أمام المجلس الوطني بفرنسا حول القضية الجزائرية، حيث صرّح قائلا: إنه من الضروري المساواة الحقيقية لحقوق الجزائريين.

وفي اليوم الثاني عشر جوان من تلك السنة قام جاك سوستال بزيارة ميزاب لمدة أربعة أيام لدراسة أوضاع الصحراء، فاستقبله سكان وأعضاء الهيئات الممثلة للناحية في الملعب البلدي، وذلك عشية الجمعة.

وفي عشية يوم السبت اجتمع في سوق غرداية بالممثلين والسكان، وبعد الترحيب بمقدمه من طرف رئيس بلدية غرداية وإجابة

خطابه الوزير المفوض المذكور، وفي يوم الأحد 14 جوان طلب مقابلة الشيخ بيوض في مكتب الوالي إذ ذاك، المسيو بيشوف BICHOF، وعند اجتماعهما صرح له قائلاً: قبل قدومي لزيارة ميزاب درست جميع التقارير المقدمة من طرفكم عن قضية الصحراء، وعلى ضوءها قمنا بتنفيذ إلغاء الحكم العسكري على ترابها، وعوضناه بالحكم المدني، وجعلنا قراكم السبع بلديات تتمتع بجميع حقوق البلديات، ابتداء من انتخابات يوم 8 مارس 1959، وقسمنا الصحراء إلى عمالتين، عمالة الواحات، وعمالة الصاوره، أما عن الإصلاحات الأخرى فستأخذ مجراها.

فأجابه الشيخ بيوض قائلاً: إني أشكرك على هذه الزيارة لتطلع في عين المكان على حالة هذه المنطقة.

وأردف قائلاً: عندما اقترحت إلحاق ميزاب بالجزائر رأساً أخذت بعين الاعتبار كون الغالبية العظمى من سكان ميزاب كانت وجهتهم نحو الشمال في جميع عملياتهم التجارية ومعاملاتهم الأخرى، وحر كاتهم الدينية والمادية والأدبية، كالمساجد والمقابر والمحاكم الشرعية، وليس لها شيء من ذلك في الجنوب.

فأجابه الوزير المفوض بقوله: سوف نرى. NOUS VERRONS

وبذلك تمت تلك المقابلة.

وبعد ذلك الاجتماع تناولنا وجبة الغداء بدار المرحوم بابكر صالح وليس معهما سوى ناصر علي وبوعروة بابا، فقص علينا ما جرى بينه وبين الوزير المفوض. وقال: أحمد الله على توفيقه في الجواب. وبعد ذلك أخذ نصيبه من الراحة.

وفي الغد من ذلك قدم إلى مكتب جمعية الإصلاح الأستاذ المرحوم حواش يحي سائلاً عن نتيجة المقابلة التي جرت بين الشيخ

بيوض وسوستال لينقلها إلى أصحابه، فأجبت: إنك تعرف طبيعة الطلبة، فإنهم مولعون بالزرادي والمشاي!!

وهذا الحديث يجرنا إلى قضية فصل الصحراء التي هي قضية حياة أو موت لاستعمار فرنسا، وهي تدرك ذلك غاية الإدراك، كما أن السعي لإبقائها متصلة بأمة الوطن الجزائر هي مفتاح النصر للجهة التحرير الوطني، ولا ريب في ذلك.

فوقعت فيها أثناء ذلك مناورات ومساومات ومؤامرات من طرف الحكومة الفرنسية، ولا سيما غلاة الاستعمار من أبنائها في الجزائر، فوقع إذكاء نارها على يد العسكريين ببطشهم وجبروتهم وكبريائهم، وبأطماع بعض ضعفاء العقول وأذئاب الاستعمار من أبناء هذا الوطن، وألغيب سياسة ديقول الداهية، المخططة بدقة وصرامة.

فطلب ذلك الجنرال المحنك دراسة ملف الصحراء رفقة صديقه الحميم ومستشاره الخاص المسيو أوليفي قيشار OLIVIER GUICHARD الذي نجح في تنصيبه رئيساً لجمهورية فرنسا.

كما وجّه وزيره الأول ميشال دوبري DUBRE إلى الجزائر لدراسة أوضاعها عامة وأوضاع الصحراء خاصة، وبعد ذلك قام جاك سوستال بزيارة ميزاب لدرس أوضاعها وعلاقتها بالصحراء، وأجرى المقابلة المذكورة مع الشيخ بيوض رحمه الله.

وفي يوم 22 جويلية سنة 1959 أجرى الجنرال ديقول تحويراً في وزارته وعين لوي جوكس LOUIS JOXE كاتب دولة في مكتب الوزير الأول، فاختص بدراسة القضية الجزائرية بصفة عامة وقضية فصل الصحراء بصفة خاصة، فوقع تقديم ذلك الملف إلى مستشار ديقول أوليفي قيشار، وكلفه بحل معضلة الصحراء بعد الاتصال بجاك سوستال في الجزائر. فرأى من الأنسب له أن يتصل في الصحراء مع من يستحق

المفاوضة وهم أقلية.

وكان من جملتهم الشيخ بيوض رحمه الله الذي لعب دوراً مهماً في تلك القضية منذ الأربعينيات، فقدم إلى غرداية وتمت مقابلته مع الشيخ.

وهذا ما حكاه لنا بعد رجوعه من تلك المقابلة التاريخية رحمه الله. وقع الاجتماع بمكتب رئيس الدائرة المسيو كلان كلاش برفقة رئيس بلدية غرداية المرحوم ناصر علي، فتوجهوا جميعاً إلى محطة الهاتف "هيرزيان" المنصوبة فوق جبل "بوزقرة". فقال المسيو قيشار مخاطباً الشيخ بيوض: إني مبعوث إليك من طرف رئيس الجمهورية الجنرال ديقول للمفاوضة معك في شأن مستقبل الصحراء واستقلالها، فهي تملك الموارد الضخمة من الغاز والبترو، وهي متاحة لموريطانيا؛ الجمهورية الإسلامية المستقلة، وبذلك تكون جارة وصديقة لها، ونحن في عونكم جميعاً. وأخبرك بأن الجنرال ديقول خط هاتفه مفتوح في الإليزي، وينتظر الجواب.

وبعد صمت رهيب دام بضع دقائق نظر الشيخ بيوض إلى المسيو قيشار وخاطبه قائلاً: هل من حقي تقرير مصير شعب كامل؟ فأجابه: نعم. فقال له: هذا حق من حقوق الشعب، ولذلك فمن الحكمة يجب استفتاء شعبي في الشأن.

وبذلك تم ذلك اللقاء بيننا.

وهذا هو تعليقه حول ذلك اللقاء، أشهدوا بأني قمت بواجبي أمام الله، وأرضيت ضميري، وأحمد الله وأشكره على توفيقه.

وأردف قائلاً: لتعلموا بأنه سيستقبلنا ويستقبل شعبنا أزمات وأزمات، فلتحملها بصبر وشجاعة، ومن بعد ذلك يأتي النصر والفرج إن شاء الله.

وبعد أيام من ذلك اللقاء توصل الشيخ بيوض باستدعاء من طرف المجلس العمالي بورقلة، وفي جدول أعماله "بحث مسائل مختلفة" فقدم إلى غرداية متوجهاً إلى ورقلة وقال لنا: يجب سبق الحوادث حيث يخطر ببالي إثارة مسألة فصل الصحراء.

وبعد رجوعه من ذلك الاجتماع قص لنا ما دار فيه بالتفصيل، والأدوار التي قام بها قبل انعقاد تلك الجلسة، وهذا هو مجمل ما حكاه:

بمجرد الوصول إلى مدينة وارقلة أجريت مقابلة مع صديقي القائد العيد، وأخبرته بما جرى لي مع قيشار عن فصل الصحراء، وطلبت منه رأيه في الشأن، فقال هذا مستحيل. فقلت له: ما العمل؟ فقال: الرأي من عندك، فأجبت قائلاً: إذا أثبت هذه المسألة، يجب أن تكون كلمتنا متفقة، وهو الرفض، فقال: إني موافق.

فقدّم الشيخ بيوض نسخة من القرآن الكريم فأقسما فوقها معاً على الرفض.

وبعدها أردف الشيخ بيوض قائلاً: يجب أ، تكون لنا الأغلبية عند التصويت، ولذا يجب إشعار النائب زيدي الأمين ممثل كوينين، بهذا الاتفاق لينضم معنا.

فقال القائد العيد: يجب التوجه حالا إلى تيقورت لمقابلة الشيخ أحمد التيجاني، لإشعاره بالقضية، ويطلب منه استدعاء زيدي الأمين للحضور معنا والانضمام إلى رأينا، فتم ذلك ووقع إحضار المصحف الشريف والقسم عليه من الجميع.

وبعد ذلك رجع الشيخ بيوض ورفيقه القائد العيد إلى وارقلة وهو يتململ حيث لا يدري عما سيتمخض عنه ذلك الاجتماع.

وعند افتتاح الجلسة من طرف رئيس المجلس السيد آل الشيخ بوبكر بن حمزة النائب العام على دائرة متليلي، تقدّم باقتراح درس

مسألة فصل الصحراء، فوق وجوم تام من طرف الحاضرين وصار كل واحد منهم ينتظر الجواب، فقام الشيخ بيوض وأخذ الكلمة قائلا: إن مهمة هذا المجلس هو بحث المسائل الاقتصادية والاجتماعية، وليس من صلاحياته التدخل في المسائل السياسية كفصل الصحراء مثلا، ولا يتأتى ذلك إلا باستفتاء شعبي!

وبعد ذلك خرج من مقعده وتبعته الأغلبية وبقي الباقي، وبعد ذلك رفعت الجلسة، وأغلقت المشكلة والحمد لله رب العالمين.

هذا ما حكاه لنا الشيخ بيوض رحمه، وقدّمت هذه الشهادة التاريخية إحقاقا للحق وإخبارا بالواقع حسبما علمناه وسمعناه، وكفى بالله شهيدا.

حرره الفقير لربه بابا بن إبراهيم بن عمر، وأتمه صبيحة يوم الاربعاء التاسع والعشرين رمضان المعظم عام 1407 سبع وأربعمئة وألف هجرية، الموافق ليوم السابع والعشرين ماي سنة 1987 سبع وثمانين وتسعمائة وألف ميلادية.

وصرنا بعد ذلك نتقرب سير الحوادث، حيث كنا نتقرب رد فعل الاستعمار العنيف.

فبدأ بإشعال نار الفتنة بمدينة وارجلان، حيث تلقى في مجلسها العمالي درسا سياسيا لم يكن يخطر له على بال، أمام الشعب، فحرك أذنايه وأشعلها بين أبناء الشعب الواحدة فتنة طائفية، ونعرة دينية، دامت قرابة شهر، وجرت فيها حوادث قتل وجرح ونهب دكاكين الميزابين وإحراق مخازنهم، وإتلاف أجنحتهم، من رعا القوم وغوغائها.

وامتدّ لهيها إلى مدينة المنيعه وصار سماسرة السوء ممن لا خلاق لهم، يسعون بالدعاية إلى تعميمها إلى جميع أرجاء الصحراء وشمال الجزائر معا لولا لطف الله، والتدخل الحازم من طرف أعضاء جبهة

التحرير الوطني في المنطقة وخارجها، حيث تبرؤوا من ذلك الصنيع الشنيع، والذي ألصق بهم تشفيا من أعوان الاستعمار ليعدوهم عن الشعب.

أما في غرداية فقد كلف الاستعمار أحبابه من الحركة الوطنية بتنفيذ المؤامرة لينتقموا من موقف الشيخ بيوض مع صديق الجنرال ديقول "قيشار"، بغرداية بمحضر رئيس بلديتها ناصر علي.

وجرت تلك الحادثة الدامية في أواخر شهر سبتمبر من خريف سنة 1960 في أجنة غرداية وفي ساحة بُني عليها حاليا ماجل⁽¹⁾ يُعمر بالماء العذب الحلو، أقامه سبيلا آل باجلمان، ويُعرف عندنا إلى الآن بساحة الشهداء، حيث استشهد فيها رميا بالرصاص من طرف الأجانب المذكورين أذنا الاستعمار، والقتلى هم:

أولا: علوط إبراهيم بن سليمان.

ثانيا: عطفواي محمد بن باعيسى.

ثالثا: فخار محمد بن باحمد.

رابعا: أوبكة حمو بن عمر.

وجدوه راكبا فوق حماره وخلفه زوجته، فأنزله من حماره وتركوا زوجته فرجعت إلى دارها، وعند وصولها سمعت طلقات نارية.

واختاروا لتنفيذ جريمتهم المنكرة عند صلاة المغرب، ومجموع الناس في المساجد، فسمع دوي تلك الطلقات المرحوم بابكر قاسم بن صالح الذي كان قائدا إذا ذاك على فوج الإصلاح بالكشافة الجزائرية، ومن رجال الإسعاف، secourist. فهرع إلى الوادي فوجد أربع جثث ملقاة في الأرض مدرجة بدمائها، فأسبل تلك الجثث مما يستلزمه الميت،

(1) - حوض بملأ بالماء.

وبعد ذلك قدمت سيارة جيب عسكرية من القصر عبر الوادي، فنقلت الشهداء إلى المستشفى للمعاينة حسب قولهم، وفي الحقيقة كان ذلك لإخفاء معالم الجريمة، وإلقاء الرعب في قلوب السكان.

وبعد ذلك دفنوا جميعا في مقبرة الشيخ باعيسى العلواني، رحمهم الله ورضي عنهم.

وذلك بدون ذنب ولا جريمة اقترفوها، وتلك هي أعمال الاستعمار. وقد نجا بلطف الله من تلك المجزرة في ذلك اليوم الابن كركاشة صالح بن باحمد، عندما التقى بالجرمين قالوا: هذا صبي لا يلزم مسه. C'est un gosse, il ne faut pas le toucher.

وبعد دفن أولئك الشهداء شيع أبواق الاستعمار بأن تلك المجزرة قام بها أعضاء جبهة التحرير الوطني، وذلك ليُبعدوا الشعب عنه، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.

أما ما جرى من الأحداث في مدن القرارة خصوصا، وريان وغيرها من قرى وادي ميزاب، فحدثت عن البحر ولا حرج، وتقاريرهم شاهدة على ذلك.

أما في مدن التل في شمال الجزائر، فإن الحركة الوطنية المزعومة قد أشارت بأصابع الاتهام إلى الميزابيين الموجودين في الشمال، وكشفت عن أسرارهم إلى المنظمة السرية الإرهابية بالجزائر، وأخبرتهم بأن الشيخ بيوض هو الذي تسبب في إبقاء الصحراء مرتبطة بالجزائر، وقام بإحباط جميع المخططات المرسومة لفصل الصحراء عن الجزائر.

وأن مفدي زكرياء الميزابي هو الذي قام بصياغة النشيد الوطني الجزائري، والذي يسمونه في الأفطار الإسلامية الشرقية يتلى جهارا نهارا، ويتلى هنا سرّيا.

كما أن المسمى السماوي إسماعيل بن محمد الذي له متجر في

نحج طرولار قد التحق بأعضاء جبهة التحرير بتونس، كما أعلن به صوت الجزائر في إذاعته بتونس.

وأخيرا فإن محالّ التجار الميزابيين هي مخابئ للقاء السري لأعضاء جبهة التحرير بالعاصمة، وهي موضع أسرارهم. ومنها يصدر موعد الاتصال فيما بينهم، ومكان أسلحتهم.

ويقع كل ذلك بكامل السرية، بدون أن يشعر به أحد، ولذلك يجب تشديد الرقابة عليهم ومضايقتهم والحذر كل الحذر من هؤلاء القوم.

هذا ما حكاه لنا الشيخ بيوض رحمه الله بعد رحلة قام بها إلى الجزائر، وهو متأثر أشد التأثر بما جرى وما يجري حولنا من هؤلاء وأولئك.

ونتيجة لتلك التحرشات الدنيئة قامت قيامة عصاة الحركة السرية الهدامة على إلقاء القنابل الحارقة على محلاتهم لإتلافها بما فيها ومن فيها، وشدت عليهم الرقابة، ومضايقتهم في تحركاتهم، وأرغمت بعضهم على غلق محلات تجارتهم، ونجا كثير منهم بأرواحهم إلى قرى ميزاب، وعمت بطالتهم وبطالة عمالهم، واشتدت ملاحقتهم لأداء مغارمهم، وتسديد ديونهم المترتبة على حركات تجارتهم المشلولة.

أما من الذين آمنوا على تجارتهم وسياراتهم أو حافلاتهم أو شاحناتهم المحروقة، فإن شركات التأمين لم تعترف لهم بحقوقهم، مدعية بأننا في حالة الطوارئ، وبالله العجب!

ولبيان ذلك فإن أماننا تقرير قدمته الغرفة التجارية والصناعية بغرداية بتاريخ يوم 11 ماي سنة 1962، عدد 186. نلخص منها ما تعرييه هو الآتي:

أولا: فإن المحال التجارية والمخازن التي أغلقت لأصحابها من

سكان وادي ميزاب في جميع مدن التل، بلغ عددها سبعة عشر وأربعمائة محل 417.

ثانيا: قيمة السلع المنهوبة من المخازن: 6.267.029.00

ثالثا: قيمة السلع المعرضة للفساد: 10.769.500.00

رابعا: قيمة أجهزة وإقامة المحال التجارية المحروقة:

7.500.000.00

خامسا: قيمة أجهزة غير صالحة للاستعمال: 15.000.000.00

سادسا: قيمة التدهور والفساد في المحال التجارية:

12.000.000.00

المجموع: 51.536.529.00

الجميع واحد وخمسون مليونا، وخمسمائة وستة وثلاثون ألف، وخمسمائة وتسعة وعشرون فرنكا جديدا.

أضف إلى ذلك الديون المترتبة بذمة الزبناء، تعطلت عن التسديد.

عدد أرباب العمل الذين شلت حركاتهم 523.

عدد الصناع والعمال المحرومين من الشغل 1800.

تلك هي الحالة المادية.

أما من السجون والتعذيب والتشريد وبطالة العمال، فذلك علمه عند الله، وما عند الله خير وأبقى.

ولمعالجة تلك الأوضاع المؤلمة طلب ذلك التقرير إعطاء مهلة لأولئك التجار المنكوبين، وذلك حسب القرار رقم 55.032 الصادر عن المجلس الجزائري المصادق عليه بقرار يوم 30 جويلية سنة 1955 القاضي بتحمل جميع الخسائر الناجمة عن الأشخاص والممتلكات من

جاء الحوادث الجارية حاليا في تراب الجزائر على عاتق الجزائر.

وبعد تلك الخسائر المرهقة والأحداث الدامية في وطننا العزيز، صدر أمر حكومي بفتح أبواب الحج لمن أراد السفر إلى البقاع المقدسة، ففكرت جماعة منا في أداء فريضة الحج، وكان من جملة أعضاء جماعتنا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر السادة: صالح بن قاسم بابكر، وزوجته وابنه قاسم، سعيد بن بكير عوشت، وابن إدريس، صالح بن بايoub الحاج موسى، محمد بن إبراهيم الزرقة، وابنه بكير، وصهره بابا بن إبراهيم بوعروة، أحمد بن محمد بكوش، مصحوبا بأمه. وكان جملة الحجاج الذين أقلتهم الطائرة أربعين ومائتي راكب.

فأقلعت تلك الطائرة من مطار نومراط، بغرداية يوم الاثنين الفاتح ماي سنة 1961، وأرست في جدة يوم الثلاثاء الثاني ماي، ومنها توجهنا إلى المدينة المنورة، لزيارة قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه، والروضة الشريفة، وإقامة خمسين صلاة في المسجد النبوي حيث مكثنا هناك عشرة أيام (1).

وبعد وضع أمتعتنا بدار العرش ملك الميزابيين الجزائريين تطهرنا وتوجهنا صوب المسجد النبوي الشريف، وعند دخولنا واجهنا هنالك منظرا من مناظر الجنة، منظرا من مناظر التضحية والإخلاص والعمل لوجه الله الكريم، وذلك هو مشهد جهاد الأخ إسماعيل بن محمد سماوي وهو يجوب صفوف الحجاج في ذلك المسجد المبارك، وينادي بأعلى صوته: أعينوا إخوانكم الجزائريين المجاهدين تحت راية جبهة التحرير الوطني.

تالله إنه لمنظر يثلج الصدر ويملأ القلوب بهجة وسرورا. ولمثل

(1) - عملا بالأثر المروي في فضل صلاة خمسين صلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم.

هذا فليعمل العاملون. فكان يجمع التبرعات ذات اليمين وذات الشمال، وكان ذلك هو عمله في مكة المكرمة وعرفات والمزدلفة، رحمه الله رحمة واسعة.

وفي مساء ذلك اليوم وقع اتصالنا به فقص علينا حكاية هروبه من قرية العطف عندما أرادت السلطة العسكرية الفرنسية إلقاء القبض عليه، بعد هروبه من الجزائر العاصمة، بعدما اكتشفت ما قام به من نشاط لفائدة الجبهة.

كما قصّ علينا المغامرات التي واجهته أثناء تنقلاته حتى يوم وصوله إلى تونس، وهو منهوك القوى، أما عن معنوياته فكانت سامية، ومن هناك واصل جهاده، ومنها تحوّل إلى القاهرة، ومنها إلى دمشق، ومن هناك إلى الحجاز، حيث وجدناه يضحى بنفسه ونفيسه نحو وطنه الغالي وطن الجزائر.

ولذلك فإننا نرجو ونلحّ في الرجاء من إخواننا طلبة العطفاء النابحين أن يقوموا بإلقاء الأضواء الكاشفة على هذا البطل، وهذا الجندي المجهول.

ولنرجع لهذا الجندي المجهول الذي أوصانا عند اللقاء معه بقوله: خذوا حذرکم من جواسيس فرنسا، فإنهم قدموا إلى الحج عيوناً لها، وإذا سألكم سائل منهم عن سير الحركة السياسية في الجزائر فقولوا لهم: نحن قدمنا إلى البقاع المقدسة للعبادة لا لغيرها.

وكان يمدّنا في كل اجتماع عقدناه معه بمعلومات تتعلق بسير الأحداث حول الجزائر. وفي آخر لقاء عند توديعنا طلب منا تقديم سلامه الحار إلى الشيخ بيوض والشيخ عبد الرحمن، والشيخ سليمان بن الحاج داود، والسيد ناصر علي، وآل سماوي خصوصاً، وجميع المصلحين عموماً.

وقدّم لي شخصياً قصاصات من النشريات والجرائد الفرنسية المتعلقة بسير الحوادث في الجزائر، طلب مني تعريضها وتقديمها إلى الشيخ بيوض عند وصولنا لميزاب ليطلع على سير الأحداث، فقامت بهذا الواجب، وأخفيتنا في مكان سرّي، وبعد وصولنا لميزاب أقامت جمعية الإصلاح حفل استقبال للحجاج بمدرسة الإصلاح، وذلك ليلة الأحد 11 جوان 1961م.

وفي يوم الأحد أقام لنا المرحوم ناصر علي مأدبة غداء بداره حضرها الشيخ بيوض، فقدمت له ما نفحني به السماوي اسماعيل، وهاكم خلاصتها:

1- إنه من يوم 25 إلى يوم 29 جوان سنة 1960 جرت محادثة سرية في مدينة MELUN بين ممثلي فرنسا وممثلي جبهة التحرير الوطني، وهما بومنجل وابن يحيى، ولم تسفر على أية نتيجة، حيث صرّح فرحات عباس يوم 5 جويليت قائلاً: الحرية لا توهب بل تشتري.

2- يوم 16 نوفمبر 1960 وقع أول إعلان رسمي بإقامة استفتاء حول قضية الجزائر قريباً.

3- يوم 22 نوفمبر 1960، تعيين جوكس LOUIS JOXE وزير حكومة مكلف بالمسائل الجزائرية.

4- من يوم 20 إلى 22 فيفري سنة 1961، مقابلة سرية في مدينة جنيف بين بومبيدو جانباً، وبومنجل وبولخروف جانباً آخر.

5- يوم 1 مارس سنة 1961 مقابلة في الرباط بين الحسن الثاني وبورقيبة وفرحات عباس.

6- 15 مارس سنة 1961 صدور بلاغ رسمي بعد اجتماع مجلس الوزراء أخبرنا بافتتاح المفاوضات.

7- 30 مارس أعلنت الحكومة الفرنسية بافتتاح المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، ليوم السابع أبريل في مدينة إيفيان EVIAN، وبعد غدٍ من ذلك رفضت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مقابلة المفاوضين الفرنسيين في الموعد المحدد، وذلك بناء على ما صرح به لوي جوكس LOUIS JOXE بمدينة وهران، مصرحاً بأنه يود المفاوضة مع الحركة الوطنية الجزائرية M.N.A. مثل مفاوضة الجبهة.

وبعد ما تم سرد تلك الوثائق قهّل وجه الشيخ بيوض بشراً وقال: إن تبشير الاستقلال بدأت تلوح في الأفق بفضل دعواتكم الصادقة في أظهر مكان من البقاع المقدسة، والحمد لله الذي حقق أمنيّتي التي كنت أنتظرها منذ عشرين سنة، والله يشهد بأننا نعمل لوجهه الكريم ولأجل الوطن. وبعد الغروب يأتي الشروق.

هذه هي الكلمات التي تفاعل بها الشيخ بيوض رحمه الله، وبعد ذلك توالى المفاوضات تلو المفاوضات بين فرنسا جانبا، وممثلي جبهة التحرير جانبا آخر.

وكان افتتاحها بمدينة إيفيان EVIAN يوم 20 ماي 1960، بين لوي جوكس، ممثل فرنسا، والوفد الجزائري برئاسة الأخ بلقاسم كريم، ثم توالى المفاوضات التي تعثرت حول مصير الصحراء.

وفي يوم 5 سبتمبر 1961 عقد الجنرال ديقول ندوة صحفية صرّح فيها بأن قضية الصحراء لم تعد لها أهمية من قبل فرنسا، بشرط أن تبقى مصالحها مضمونة.

وفي يوم 18 مارس 1962، تمت المفاوضات بين الطرفين، ووقع الإعلان بإيقاف إطلاق النار، ووقع تعيين فوشي CHRISTIEN FOUCHET مفوضاً سامياً في الجزائر من قبل فرنسا، وأسند منصب رئاسة الهيئة التنفيذية المؤقتة الجزائرية إلى الأخ عبد الرحمن فارس.

وفي يوم 23 مارس 1962 أذاع لوي جوكس خطاباً متلفزاً أخير فيه على اتفاقية وقف إطلاق النار في القطر الجزائري عامة، وفي الجزائر العاصمة خاصة.

وفي يوم 7 أبريل 1962 وقع تنصيب المجلس التنفيذي الموقت بصفة رسمية في مدينة بومرداس، ROCHER NOIR تحت رئاسة الأخ عبد الرحمن فارس، ونائبه هو: روجي روث ROGER ROTH.

وكان من جملة أعضائه الشيخ بيوض الذي طُلب منه قبول تلك العضوية. وعند قدومه إلى غرداية طلب منّا رأينا في ذلك فحبذناه. وبعد ذلك وقع تنصيبه مسؤولاً عن الشؤون الثقافية بموافقة جميع الأعضاء.

وعند مباشرة ذلك المجلس لمهامه طلب من الغرفة التجارية بتقوم الخسائر الناتجة للمواطنين الجزائريين أثناء حرب التحرير، ولا سيما ما أفسدته منظمة الجيش السري المخربة، O.A.S.

وكان من جملةتها الغرفة التجارية والصناعية بغرداية، فقدمت تقريرها في الشأن يوم 22 ماي 1962، كما هو مفصل أعلاه، وجملة: 51.536.529.00 إحدى وخمسين مليوناً وخمسمائة وستة وثلاثين ألفاً، وخمسمائة وتسعة وعشرين فرنكاً جديداً.

وقدّمت نسخة منها إلى كل واحد من أعضاء ذلك المجلس، ومن جملةهم الشيخ بيوض.

وفي أثناء تلك الفترة الدقيقة رحل عن ميزاب يهوديها ومستعمروها، وتركوا أملاكهم ومساكنهم ومتاجرهم بما فيها على حالها. فقام لفيف من المرتزقة والغوغاء والحركيين فاستولوا على تلك المخلفات، ونهبوا وسلبوا كل ما فيها، ومن جملةها مؤسسة "برلي" BERLIET لشركة الشاحنات المعروفة، وقع احتلالها بما فيها من قطع

غير وشاحنات، وغير ذلك من المخلفات.

ويذكرني ذلك المشهد بقصيدة لشوقي رحمه الله، حفظتها وأنا تلميذ بتونس في سنة 1920، لم يبق منها عالقا بذهني سوى آخرها، وهي تروي قصة الغراب والثعلب، ونصها - إن لم تخني الذاكرة:

فقال يا غراب ما ظلمتك بقدر ما فعلت قد فعلتك

سلبت إنسانا عليك ما اعتدى وما فعلت الآن تلقاه غدا

والمال لا يخرج من كف الفتى إلا من الباب الذي منه أتى

والشيء بالشيء يذكر، فقد وقع استدعائي في شهر أكتوبر 1961 من طرف الأخ الضابط الثاني الشهيد طالي أحمد إلى ملجأ أقامته بدار في ناحية حواشة داخل مدينة غرداية، بواسطة حمودة إبراهيم بن حمو، فاسترا به قلبي، لأي مراقب أشد المراقبة في جميع تحركاتي. وطلبت من الأخ رمضان محمد بن إبراهيم عقد ذلك الاجتماع بواسطة معتمدا على إخلاصه للجهة، فتمت مقابلته بتلك الدار واستغرقت مدة ست ساعات متوالية انتقد بشدة وصرامة موقف الإصلاح من عدم الانضباط وفتور الانسجام مع الثورة، وبعد الانتهاء من حديثه شرحت له ما قام به الإصلاح منذ ثلاث وثلاثين سنة مضت، وما يزال يقوم به من إصلاح أوضاع الشعب، وأقنعت بأننا نعمل بحذر، وكان غرضنا هو حفظ الأسرار أولاً، ثم المحافظة على سلامة أعضاء جيش التحرير، فافتنع بذلك.

وبعد تنصيب المجلس التنفيذي الموقت بالجزائر في شهر أبريل 1962، عقد لنا الأخ رشيد الصائم رئيس المنطقة الخامسة للولاية السادسة بغرداية، اجتماعا بدار الحوش بغرداية، وكنت من جملة المدعوين، ولم يبق من الأحياء منهم سوى الأخ رابع حمو بن ميلود. وذلك لدراسة وتشكيل أعضاء البلدية الجديدة المؤقتة بغرداية، فسجل

قائمة من الأسماء من جميع العشائر، وافترقنا.

وبعد ذلك أُخبرتُ بأني مندرج في قائمة أعضاء البلدية الجديدة، وكان من بين رفاقي محمد بن صالح الأزوش، وحمو بن ميلود رابع. وعند الاجتماع أُخبرنا بأن الرئاسة قد أسندت إلى الأخ بن خليفة عمر، ونائبه هو الأستاذ إبراهيم بن صالح رمضان.

وعند افتتاح الجلسة الأولى استهل الرئيس خطابه بقوله: إننا استخلفنا في هذا المنصب البلدية القديمة التي قامت بواجبها في إصلاح المدينة، وتُشكر على ذلك، وإننا سنسير على منوالها ونرجو عون الجميع لبلوغ الغاية المنشودة.

وأما من نائبه فقد استهل خطابه المرتجل بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (1).

فاستشهد بهذه الآية الكريمة من كتاب الله العزيز، بدون أن يستهلها بالبسملة، فاستشعرت في نفسي بأنه هو هو منذ انفصاله عن حركة الإصلاح، وذلك مصداقا لقوله ﷺ: «كل عمل ذو بال لم يفتح باسم الله فهو أبتر» (2). وسبحان مقلب القلوب.

وبعد ذلك المهرجان وقع توزيع أعمال البلدية إلى الجان، فأُسند إلي رئاسة لجنة إصلاح التعليم، ودامت مشاركتي في سير مصالح البلدية مدة ثلاث سنوات متوالية، نعمل جنبا إلى جنب، مع رئيس تلك البلدية

(1) - سورة آل عمران، آية 26.

(2) - الحديث أخرجه أحمد في مسنده «عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ أَبْتَرُ أَوْ قَالَ أَقْطَعُ» مسند باقي مسند المكثرين، رقم 8355. (ترقيم العالمية).

ونائبه.

وبعدما كنت عضوا فيها أثناء تلك المدة صرت بعد ذلك في نظر نائب الرئيس من أعداء الثورة، وذلك لأن مواقفه في سير مصالح البلدية لا تتسجم مع السير الذي كنا نسلكه عندما كنا نعمل سابقا مع الفقيد المرحوم ناصر علي.

والحشر مع غير الجنس عذاب، كما يقول المثل. لأن العمل المثمر لا يحصل بالخطب الرنانة والأفكار المرتجلة، ولا في محافل الأكل والزراعي، بل بالتخطيط المحكم، وجمع وسائل التنفيذ والمثابرة والمتابعة، وبعد ذلك يحصل النجاح.

ومما تجدر الإشارة إليه عدم تعرضي لتفاصيل خطاب نائب رئيس البلدية لأنه يدور حول التقرير الذي قدمه هو ورفاق فكرته بتاريخ يوم 1967/07/10 تحت رقم: 61/0432 والذي يقول فيه:

«... لمساعدتنا كمسؤولين محليين في تذليل بعض الصعاب التي نعانيها في إدارة المنطقة، وصيغها بالروح العصرية، يجب في نظرنا الاهتمام بثلاث نقط أساسية:

أولا: إصلاح التعليم، ثانيا: إصلاح نظام المساجد، ثالثا: إلغاء النظام العشائري.

تعرض في النقطة الأولى إلى التعليم الحر، أو الجمعيات الحرة، ويراه سداً منيعاً وحائلاً سميكا بين الشباب على وجه الخصوص، وأتباعها على وجه العموم.

وأردف يقول: معهد الحياة ديني في مدينة القرارة يقوم بالتعليم الثانوي... ينهج في نمط تعليمه على أسس عتيقة ومخالفة لوسائل التربية الحاضرة.... وقد بلغت الحماسة بمسيري هذا المعهد الذي يقع تحت إشراف الشيخ بيوض أن اجتلبوا عشرات الشباب من خارج الجزائر،

من عُمان ومن ليبيا لتكوينهم ورعايتهم.

إلى غير ذلك من المضحكات، ويا للأسف الشديد.

وبعدها تعرض لجمعية قدماء التلاميذ بقوله: ولخريجي هذا المعهد جمعية تسمى قدماء الشباب، وترسم خطط التوجيه في إطار الهدف المأمور الذي هو المحافظة على نمط الحياة الخاص، وعلى إبقاء الشعب في هذا الكيان الشاذ...

إلى أين يقول: في نظرنا إنه يجب حل هذه الجمعيات كله.

النقطة الثانية: إصلاح نظام المساجد.

استهله بقوله: إن للمساجد عندنا وضعية خاصة، فهي لا تزال تملك الهيمنة الكبرى فكريا وسياسيا على طبقات الشعب كلها شبابا وكهولا، رجالا ونساء، لأن الوازع الديني لا تزال له قوته وفعاليته في جميع أفراد الشعب (وشهد شاهد من أهلها)

ثم يردف قائلا: نظام حلقة العزابة في جميع قرى ميزاب واحد، ومرتبطة بعضه ببعض...

ولها زيادة على ذلك حلقة غليا موحدة هي مجلس عمي سعيد...

وقد حاول إحياءها ورد اعتبارها زعماء هذه القرى بعد الاستقلال مباشرة، لعدم تقديرهم الظروف والملابسات والتطورات التاريخية، ولتحقيق أحلامهم وأطماعهم الشخصية في النفوذ والسيطرة.

النقطة الثالثة: إلغاء نظام العشائر.

إن نظام العشائر عندنا لا يزال ونحن في أواخر القرن العشرين يقوم بالدور الفعال الذي كان يقوم به في القرن العاشر تقريبا، فله ارتباط متين بنظام حلقة العزابة... فممثلو العشائر يكتسبون النفوذ المطلق تقريبا في أفراد عشائرهم، ويملكون السلطة التوجيهية والتأديبية.

ولذلك يقترح ذلك التقرير إلغاء هذا النظام، وكذلك نظام الحراسة.

هذا وقد وقع الرد على ذلك التقرير رداً محكماً وحكيماً بتاريخ يوم 15 سبتمبر من تلك السنة.

ومنذ ذلك العهد وهو وزملاؤه يرددون نفس الدعاوى، بلا كلل ولا ملل، والشعب ينتظر منهم أعمالاً مدروسة، لا أقوالاً مدسوسة.

وتعلّق هو ومن لفّ لفّه بالألف الزائدة في غرداية، وذلك رغم القرار الوزاري المشترك المؤرخ في الثالث شوال عام 1405 هجرية الموافق ليوم 22 يونيو سنة 1985 المحدد لفهرس الجماعات الإقليمية، المحدث بموجب أحكام المادة الأولى من المرسوم رقم 20/85 المؤرخ يوم 2 فبراير سنة 1985 المتضمن قائمة الولايات والبلديات.

ولو استقاموا على الطريقة لاستقام أمرهم، كما يقول الشاعر.
ألفُ الكتابة وهو بعض حروفها لما استقام على الجميع تقدما
وأخيراً رشّح نفسه ذلك الكاتب لتزكية شعبه للانتخاب الوطني الشعبي ليمثله في المجلس الوطني بالجزائر، وذلك يوم 26 فيفري من السنة الحالية 1987، فنال أعلا مرشح وهو الأخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بكلي من أصوات الناخبين عدد 49210 صوتاً، كما نال آخر مرشح وهو المزكي نفسه عدد 11799 من الأصوات، والمقارنة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، والله عاقبة الأمور.

وتحدّثنا بنعمة الله نقول: بأنه منذ تأسيس جمعية الإصلاح سنة 1928 على تقوى من الله ورضوان وهي سائرة إلى الأمام إلى يومنا هذا، رغم العراقيل والصعوبات التي واجهتها أثناء سيرها المبارك، بحول الله وقوته.

وقد قامت جماعات وأحزاب وشخصيات لمحاربتها، ومناوأتها

وعرقلتها والفساد لها، فلم تفلح أمثال جمعية الدعاية والإرشاد في الأربعينيات، وحزب الاتحاد الشعبي بوادي ميزاب في الخمسينيات، وكغيرها من التكتلات والشخصيات.

وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل. وأما الزيد فيذهب جفاء.

وليكن في علم القارئ الكريم، بأن هذا البحث المتواضع هو تنمة للتقرير الذي كنت حررته في الخامس جمادى الثانية عام 1405 هجرية، الموافق ليوم 25 فيفري سنة 1985.

وقد يوجد في الأول ما لم يذكر في الثاني، كما يوجد في هذا التقرير ما لم يأت به الأول، وإن كان في ذلك خطأ فمئني، وما كان صواباً فمن الله الذي استعنت به في تحريره، ولا أقول ما قاله مقرر الندوة الولائية الثالثة عندما تكلم حول كتاب المؤرخ الأستاذ حمو محمد عيسى النوري الميزابي على تاريخ الثورة في المنطقة، وهو "المرفوض لديهم جملة وتفصيلاً".

فأنا شخصياً لا أرفض هذا الكتاب، فبفضله صدر تقريركم، وإنما أقول ما قاله الإمام مالك رحمه الله، في كل كلام مأخوذ ومتروك، إلا صاحب هذا القير. وعلى ذلك المنوال يحكم على تقريركم.

وغرضي من كتابة هذا البحث المتواضع، هو أولاً: إلقاء بعض الضوء على الأحداث المجهولة التي جرت بمنطقتنا، أثناء الثورة الجزائرية المباركة، التي اندلعت حول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ثانياً: ليعلم أبنائنا وأحفادنا الذين لم يعيشوا تلك الفترة من الأحداث بأننا قد قمنا بواجبنا الوطني بإخلاص وأمانة حتى النصر وبعده قدر المستطاع.

وأخيراً، فإن كل من ذكر في هذا البحث ممن كان شغل وظيفاً

في الثورة المباركة أو شارك فيها أية مشاركة، فهي لوجه الله الكريم، نحتسب أجرها عند الله، كما أننا لا نطلب الحصول على أية شهادة من رفيق في السجن، أو أخ في النضال، وقد يكون لها غرض دنيوي.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (1).

تم هذا البحث بعون من الله وتوفيق منه صبيحة يوم الخميس السابع شوال عام 1407 سبع وأربعمئة وألف هجرية، الموافق ليوم الرابع جوان سنة 1987 سبع وثمانين وتسعمائة وألف ميلادية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



تقرير عن مشاركة غرداية في ثورة التحرير الوطني

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

مقدمة:

اشترك سكان شبكة وادي ميزاب في الثورة التحريرية للقطر الجزائري مثلما شارك فيها جل أفراد الشعب الجزائري، منذ اندلاعها في فاتح نوفمبر سنة 1954.

وكانت منطقتنا مهياة لذلك لعدة أسباب، منها:

أولاً: بفضل التوعية والدروس الدينية والوطنية القيمة التي كان يلقيها مشائخنا، وعلى رأسهم الإمام الأستاذ الشيخ بيوض.

ثانياً: الأناشيد الوطنية التي نظمها شاعر الثورة مفدي زكرياء، وأناشيد إخوانه أمثال الشيخ أبو اليقظان، وأحمد بن الحاج يحي بكلي، ويوسف تريح، وعلي معمر، وأحمد أوبكة وأضرابهم.

ثالثاً: إنشاء المنظمات الجماهيرية قبل وإبان الثورة، مثل قدماء التلاميذ، والكشافة. وبعثاتنا العلمية في الخارج.

رابعاً: تزويد الأهالي بالسلاح من نوع سداسي وخماسي، و مرسكتون، تحصلوا عليه بالشراء أثناء الحرب العالمية الثانية، مما جعلهم مولعين بالصيد وتسديد الرماية، والفضل في ذلك إلى التكوين الحازم الذي قامت به منظمة الحراسة الليلية المتمركزة بمدينة غرداية منذ أمد بعيد.

خامساً: مشاركة المرأة مع الرجل في خدمة الصُوف، ويرجع الفضل إليها في غسلها وحلجها وصبغها ونسجها، حتى يصنع منه

(1) - سورة هود، آية 88.

قشاشيب يرتديها جنودنا البواسل، سواء في التل أو في الصحراء.

سادسا: كانت منطقة وادي ميزاب عامة، وعاصمتها غرداية خاصة، محورا هاما للتجارة، حيث يمتد منها تموين باقي أنحاء الصحراء من الجلفة إلى الأغواط شمالا، إلى متليلي وورقلة والمنيعية جنوبا، مع باقي مناطق الصحراء.

سابعاً: تواجد كثير من سكان منطقتنا في شمال الوطن، والذين انضموا إلى الحركة التحريرية بصفة رسمية مع الطلائع الأولى وشاركوا فيها مشاركة محمودة.

كل ذلك جعل سكان المنطقة يترقبون بفارغ صبر وصول طلائع جيش التحرير الوطني إلى الصحراء عامة، وإلى منطقتنا بصفة خاصة، ليشاركوا بنصيبهم في الثورة حسب إمكانياتهم.

فكان أول جيش يصل إلينا في سنة 1955 تحت قيادة الأخ قهيوة بالأغواط، وتمركز بناحية سطافة قرب بريان، وهو متصل بالجزائر العاصمة.

وفي آخر سنة 1955 قدم لميزاب جيش العقيد الزيان تحت قيادة بلخير العيفاوي، والمكلف بتنظيمه الأخ غزال الحاج سليمان، وكان سي الزيان ينتمي إلى حركة مصالي الحاج، وتمركز في مدينة العطف.

وفي فيفري سنة 1956 اجتمع الشيخ بيوض بالدكتور محمد بن سالم في الأغواط عند تأسيس جبهة التحرير الوطني بها، وبفضل الشيخ ومساعديه الحميدة، مع من معه من الإخوان استقبلوا أعوان الاتصال التابعين للجبهة وأعانوهم ماديا وأديبا، وبذلك كانت تلك الحركة هي الثانية من جنود الجبهة في الصحراء.

وفي أواخر أكتوبر سنة 1956 وقع الاتصال بجيش بعثه العقيد الحواس إلى ميزاب تحت قيادة جغابة محمد، صحبة الأخوين خبزي بكير

ومحمد ابني عيسى.

وعند نزول الأخ جغابة محمد بغرداية قام كاتب الأحوال المدنية بمكتب ملحقة غرداية الأخ أولاد بهون إبراهيم بن الناصر بتزويده ببطاقة تعريف مزيفة تحمل صورته.

ونتيجة لذلك كان سكان وادي ميزاب يعملون مع ثلاث منظمات، وكل واحدة منها تصبوا إلى نيل حصة الأسد.

وبناء على ذلك اجتمع الشيخ بيوض بالدكتور محمد بن سالم، وطلب منه بذل مجهوده في توحيد القيادة بميزاب، فكان الكومندان "الاحوج عبد الله" الملقب محمد علي، مبعوثا من العاصمة لتوحيد الصف. وذلك في شهر ماي من سنة 1957، وذلك مما تمخض عنه مؤتمر وادي الصومام، المنعقد بما يوم 20 أوت سنة 1956.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نتيجة اتصال الشيخ بيوض بالعقيد الحواس قائد الولاية السادسة، أواخر سنة 1956 والذي أوصى العقيد الزيان بضم جميع القوات تحت لواء جبهة التحرير الوطني، وبذلك رجعت المياه إلى مجاريها.

وفي يوم 26 جويلت سنة 1956 توفي في سبيل الوطن الشاب مسعود بن بابا الأزوش في مدينة بسكرة، واستشهد وفي عمره 25 سنة.

وفي يومي 23 و24 أكتوبر من سنة 1956 عقد الإخوان خبزي بكير وأخيه محمد اجتماعا سرياً بمحضر الأخ جغابة محمد بمنزل الأخ أولاد بهون الأخضر بن الناصر بغرداية، فجرى رسم الخطة بصفة منظمة، وقد حضر الاجتماع المرحوم ناصري علي نيابة عن أعيان غرداية، وطلب منه تأسيس خلايا تضم أعضاء من مدن وادي ميزاب، ويكون مقرها متجر "مستودع الجنوب" الذي يديره الأخ ناصر علي.

فعقد الأخ ناصر علي اجتماع سريا مع الإخوان بابكر صالح،

وبوعروة بابا ومصباح الحاج مسعود، وتدارسوا توزيع الأعمال بصفة منظمة مع كتمان السر، واهتدوا إلى رسم الخطة الآتية:

1. أخذ المواد الغذائية من متجر "المستودع الجنوبي" تحت مسؤولية ناصري علي.

2. القشاشيب الصوفية تحت مسؤولية قارة عمر الحاج علي بن بكير، بمشاركة الدلائين.

3. جمع السلاح والخرطوش والبارود، بابتكر صالح بن قاسم، رئيس جمعية الإصلاح، ودادي وعمر الحاج إبراهيم بن الحاج بكير، معلم القرآن بجمعية الإصلاح.

4. المفرقات والديناميت، كركاشة عمر مع أبي إسماعيل محمد.

5. الأدوية من صيدلية باسة. على يد كركاشة صالح بن أحمد، ومن معه.

وكان في كل بلدة خلية.

1. الإشراف على خلية غرداية، ناصري علي.

2. الإشراف على خلية بنورة، داودي عمر، وداودي محمد "المضبر".

3. الإشراف على خلية بني يسجن، دواق الحاج إبراهيم بن صالح.

4. الإشراف على خلية مليكة، اسكوتي عمر بن سليمان.

5. الإشراف على خلية العطف قرادي الحاج إبراهيم، وابن يوسف سليمان.

6. الإشراف على خلية بريان، القائد أوراغ، وبودي عمر بن سليمان.

7. الإشراف على خلية القرارة، الشيخ بيوض.

وكل هذه الخلايا كانت تحت إشراف وتوجيهات الشيخ بيوض رحمه الله.

وفي يوم 29 جانفي 1959 أُلقي القبض على الأخ غزال الحاج سليمان، وتبعاً لذلك أُلقي القبض على خليتي القرارة وغرداية، بعد اكتشاف أمرهم ممن لا يطبقون تحمل الأسرار.

وفي غرداية أُلقي القبض أولاً على بابتكر صالح والحاج إبراهيم دادي وعمر، ثم ناصري علي، وأخيراً على رمضان إبراهيم بن صالح، مع 68 شخصاً من المواطنين. وكان من جملتهم بوعروة بابا.

في أوائل 1957 قام جمع من المواطنين بإضراب عام لمدة ثمانية أيام، حيث شلت جميع الحركات الاقتصادية والثقافية، وذلك بفضل توعية المسؤولين، مما جعل السلطات الاستعمارية تردّ عليه بحق وعنف شديد. ففتكوا بالأبواب الحديدية وكسروا الأبواب الخشبية، وحطموا الواجهات، ونهبوا وسلبوا كثيراً من البضائع، فقام أبناؤنا الصغار بدافع الغيرة الوطنية بجمع السلع المشتتة في الشوارع وإرجاعها إلى أصحابها في محالهم.

وفي يوم 29 أوت سنة 1957 وقع كمين الخراجة (1) واحتل مدينة غرداية على الساعة العاشرة ليلاً، وكان غرضه فك الحصار المضروب من قبل الاستعمار على المجاهدين عند اندلاع معركة إفرا بتليلي، وإثر ذلك وقع هدم سور مقبرة الشيخ باحمد على طول الجهة الشرقية مما يلي طريق السيارات، وأقاموا عوضاً عنه خطاً من الأسلاك الشائكة.

وبعدما وقع اغتيال الترجمان بيل، فرض منع التجول من منتصف

(1) - مخرج السوق في وسط غرداية.

النهار إلى الرابعة عشية، ومن السادسة ليلا، إلى السادسة صباحا.

كما فصلوا مدينة غرداية وأحاطوها من جميع جوانبها بالأسلاك الشائكة.

ولما تبين للاستعمار بأن معظم سكان ميزاب يساندون الجبهة مساندة فعلية أوفدوا جيش ابن الوئيس إلى منطقتنا لزرع الشقاق والفتنة، والقضاء على نفوذ جبهة التحرير. فقام ذلك الخائن في إشعال المعارك في العطف. وكان ذلك في شهر أكتوبر من سنة 1957 سعيا وراء القبض على الضابط محمد علي.

ولكن نجاه الله بلطفه، وبيقظة الشعب، وذلك بالرغم من مساندة القوات الاستعمارية وانضمام معظم جيش العقيد الزيان تحت قيادة بلخير العيفاوي إلى ابن الوئيس.

وبعد فشل محاولة ابن الوئيس، واتساع رقعة النضال، وإلقاء القبض على خليتي القرارة وغرداية، والإضراب المنقطع النظير، في كامل الصحراء، ظهر لفرنسا أن تلعب ورقتها الأخيرة في صحرائنا الحبيبة، على قاعدة "فرّق تسد"، فأصدرت قرارها رقم 57/903 المؤرخ يوم 7 أوت سنة 1957، بضم الصحراء إلى أم الوطن فرنسا رأسا، على زعمها، وقسمتها إلى عمالتين، عمالة الساورة وعمالة الواحات التي كان من حملتها وادي ميزاب

وجعلت من السيد آل الشيخ بوبكر بن حمزة نائبا عماليا لدائرة متليلي، ورئيس المجلس العمالي للواحات بورقلة، وعضوا في مجلس الشيوخ بباريس. وكان نائبه هو السيد بوسعيد العيد بن محمد، النائب العمالي لورقلة.

فباءت كذلك تلك المحاولة بالفشل، رغم تقديمها في أطباق من ذهب، وذلك بفضل مساعي أبنائها المخلصين، وعلى رأسهم المنعم

الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر رحمه الله. حيث اعتبروا التراب الجزائري كلاً لا يتجزأ⁽¹⁾.

فقامت بعد ذلك بإعلان حالة الطوارئ، وأقامت الحواجز بين القرى، وعزلتها عن بعضها بنصب الأسلاك الشائكة، ومداومة منازل المواطنين ليلا ونهارا، وأباححت السلب والنهب من طرف أعوانها، من القومية والحركية، وقاموا بترويع النساء والأطفال وحتى الحيوان لم ينج من تعسفاتهم.

وبعد تنصيب المجالس البلدية الجديدة لقرى ميزاب السبع، كانت فرصة سانحة لضمّ جهود جميع رؤساء بلديات وادي ميزاب للتشاور وتنظيم الخطة بينهم لحماية المواطنين من التعسفات اللاأخلاقية التي يقوم بها جيش الاستعمار وأعوانه.

فاقترح المرحوم ناصر علي رئيس بلدية غرداية مع أعضائه تأسيس اتحاد رؤساء تلك البلديات، فوافقوا بالإجماع على ذلك، وعلى أن يكون مقرها بلدية غرداية. وذلك على العاشرة صباحا من كل يوم جمعة للتنسيق مع الجبهة.

فقام ذلك الاتحاد بأداء واجبه من رسم الخطط الموحدة لمصالح المواطنين، تبعا لتعليمات الجبهة، والحكام العسكريون يظنون أن الاجتماعات لصالح فرنسا، وما هي إلا ضدها وخرابها.

وفي أوائل سنة 1958 رجع المسؤول محمد علي مع كوكبة من الجنود المخلصين وتبعوا فلول جنود ابن الوئيس، وقضوا عليهم.

وبذلك استقرت الأوضاع واستمر العمل والنضال من جديد.

وكانت مشاركة الجماهير في الثورة شبه جماعية من رجال

(1) - مضى الحديث عن هذه القضية سابقا.

ونساء، وحتى الأطفال.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نخص بالذكر بعض الأفراد الذين اشتركوا في النضال، وهم:

1- الشيخ صالح بن قاسم بن عيسى بابكر

رئيس جمعية الإصلاح ومديرها بغرداية، منذ تأسيسها سنة 1928 إلى يوم انتقاله إلى رحمة ربه، فكافح الجهل والخرافات والجمود طيلة حياته، وكان من رؤساء منظمة الحراسة الليلية بغرداية، وفي فرقة ساسي⁽¹⁾، كما كان مغرماً بالرماية بالأسلحة النارية، ويعلمها لمن معه من أعضاء الحراسة.

وكان مخلصاً في جميع أعماله، واشترك في الثورة المسلحة بوادي ميزاب منذ شهر ماي سنة 1956، قبل توحيد جيوش الجبهة بوادي ميزاب. وعندما توحدت أصبح عضواً في المنظمة المدنية.

وفي آخر ماي سنة 1957 أُلقي عليه القبض من طرف الاستعمار مع زميله ناصر علي بن عمر، ورمضان إبراهيم بن صالح، مدة ستة شهور.

ومن أبرز ما قام به إيواء فلول جيش عيسى عمير في محل سكناه في الغابة هو وزميلة دادي وعمر الحاج إبراهيم بن الحاج بكير، مدة سبعة عشر يوماً، وقاما بجميع ضرورياتهم كما أهدى جميع أسلحته وما معها من ذخيرة إلى الجبهة.

(1) - فرق الحراسة الليلية تتبع ثلاث محاضر (جمع محضرة) هي: محضرة ساسي، ومحضرة بلحسن، ومحضرة عمور. (باجو)

2- الحاج إبراهيم بن الحاج بكير دادي وعمر

حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب في سن مبكرة من عمره، وكانت هوايته جمع الأسلحة وصيانتها، وصنع البارود، وتسديد الرماية بدقة، كما كان من أمهر الفلاحين بغرداية.

ومنذ تأسيس جمعية الإصلاح بغرداية، قام فيها بتدريس القرآن الكريم إلى أواخر عمره، وتخرج على يده عدد مهم من حفظة القرآن الكريم.

وله إلمام كبير بصنع الأدوية من الأعشاب، وله حكمة فائقة في معالجة الأمراض العقلية وإظهار السرقات، وتقفي الآثار، سواء للعباد أو الحيوان.

وكان العضد الأيمن للشيخ صالح بابكر في الحراسة الليلية في محضرة ساسي بغرداية.

اشترك في جيش التحرير منذ ماي سنة 1956. ومن أبرز سماته المحافظة على السر والصراحة في الأعمال والمواعيد، ولقبه في الجيش "الصادق" كما أهدى كل ما لديه من سلاح وخرطوش وذخيرة بارود إلى جبهة التحرير، والتزم بجمع التبرعات لتقديم المؤونة والكسوة والأدوية إلى الجبهة بصفة منظمة.

ففي شهر أوت من سنة 1956 أُلقي عليه القبض مدة ثلاثين شهراً إلى آخر ديسمبر سنة 1958، وذلك بعد استشهاد الأخ عيسى عمير الذي اغتاله الترجمان الفرنسي، بعد أن حاول الأول اغتياله، والتجأ أحد عشر جندياً من فلول جيشه إلى دادي وعمر الحاج إبراهيم، فلجأ بهم إلى دار سكنى صديقه بابكر صالح في الأجنة. وبعد سكون العاصفة بعث بهم مع سلاحهم ومؤونتهم إلى الجيش الغربي في وادي مسك.

وكان سبب إلقاء القبض عليه ما باح به بعض الجنود الأسرى
المقبوض عليهم بعد استنطاقهم.

ثم سُجن ثانية يوم 12 ديسمبر سنة 1959، مدة ثمانية وعشرين
شهرا، إلى أبريل من سنة 1962، بسبب وشاية دسّها عليه حارس
بستانه.

فكان جملة ما قضاه في سجن الأغواط والبليدة والبرواقية
والحراش وبربروس مدة ثمان وخمسين شهرا بلياليها.

3- ناصر علي بن عمر

كان مدير المستودع التجاري الجنوبي بالزقاق الغربي بغرداية.
ونائب رئيس جمعية الإصلاح، وخليفة الباشاغا في جماعة غرداية، ثم
صار في سنة 1957 رئيس بلدية غرداية، فكان محل تجارته مصدر تموين
جيوش الجبهة، ونقطة اتصال مع أعضاء الجبهة الوافدين إلى ميزاب،
وملتقى جميع المصلحين من القرى السبع، وعلى رأسهم الشيخ بيوض
الحاج إبراهيم، الذي جعل منه مقر نزوله بغرداية، ومحل اجتماعه مع
بقية أعضاء القرى الخمس من المصلحين إما هناك، وإما بمكتب شركة
الحافلات الحضرية المقابلة للمستودع المذكور. والتي يديرها بوعروة بابا
بن إبراهيم.

فكان يترصد أخبار عملاء الاستعمار وتحركاتهم، ويخبر بها ممثلي
الجبهة ليكونوا على علم عما يحاك ضدهم في الخفاء.

وفي آخر ماي من سنة 1957، أُلقي عليه القبض من طرف
الاستعمار مع رفاقه بابكر صالح بن قاسم، ورمضان إبراهيم بن صالح،
وجميع أفراد الجماعة المنتمية إليهم. وكان عددهم خمسة وستين
شخصا، سُجنوا جميعا.

وعند استنطاقه عن مشاركته مع جماعته في الثورة أجاب قائلا:
إنني أتحمّل المسؤولية الكاملة وحدي، حيث كنت أنا المسير، وكل
التبعية تقع على كاهلي.

وعندما أراد رئيس الملحقة أن يرى ساحته بإلصاق التهمة بغيره
من المقبوض عليهم معه، أصرّ على أنه هو وحده المسؤول على ذلك،
وباقى إخوانه يقومون بتنفيذ أوامره.

وأمام هذا الإصرار وقع تقديمه للمحاكمة أمام المحكمة العسكرية
بالأغواط، فحُكم عليه وعلى بابكر صالح ورمضان إبراهيم بالسجن
مدة ستة شهور. وأما باقي المعتقلين فقد وقع الإفراج عنهم بعد ثمانية
أيام سجنًا، بسبب تحمل المسؤولية وحده، رحمه الله.

وبعد خروجه من السجن واصل عمله النضالي مع جماعته إلى
نهاية الاستقلال.

4- بوعروة بابا بن إبراهيم

بعد إتمام معلوماته بتونس قدم إلى غرداية وشارك في تأسيس
جمعية الإصلاح بغرداية منذ سنة 1928، ودخل في سلك القضاء
الإسلامي بالمحكمة الشرعية الإباضية بقسنطينة سنة 1931، وكان من
مؤسسي جمعية الهدى بقسنطينة، لتعليم الأبناء تعليما إسلاميا عربيا في
سنة 1932. كما تصدى مع جماعة قسنطينة الإباضية للدفاع عن مقبرة
قسنطينة الإباضية في محاكم الاستعمار، حيث طلب غلاة الاستعمار
شق طريق وسط تلك المقبرة، فأصدروا في ذلك قرارا من بلدية قسنطينة
تحت رئاسة المسمى مورينو، الذي كان إذ ذاك رئيس المجلس البلدي
بقسنطينة، وعضوا في مجلس النواب في باريس، فرفعت جماعتنا قضية
ضدهم أمام محكمة قسنطينة، فأيدت تلك المحكمة قرار المجلس البلدي
بمعاوضة المسمى كيطولي رئيس بلدية سكيكدة، وعضو مجلس الشيوخ

بباريس. فزدنا أن رفعنا القضية إلى مجلس الاستئناف بالجزائر العاصمة، فوافقت على حكم محكمة قسنطينة، فلم تفتر عزيمة جماعة قسنطينة، فرفعت القضية أمام محكمة النقض والإبرام بباريس، فأصدرت حكمها لصالحنا بعد مداولة دامت ثلاث سنوات، وذلك في سنة 1935.

وبعد هذا النصر المبين أسندت قسنطينة مهمة أخذ ملف تلك القضية من طرف الوكيل بباريس إلى بوعروة بابا، فاغتنمها فرصة لزيارة ما وراء البحار لأول مرة من حياته، وبعد زيارة قام بها إلى جنوب فرنسا لمشاهدة المعالم التي كان أجدادنا الجزائريون يستعمرونها، فتوجه شمالا إلى مدينة GRENOBLE الموجودة قرب حدود سويسرا، وبعد قراءة إحدى جرائدها، وجد إعلانا بانعقاد مؤتمر مسلمي أوروبا في مدينة جنيف السويسرية تحت رئاسة الأمير شكيب أرسلان، وذلك من يوم 12 إلى يوم 15 سبتمبر 1935، فتوجه إلى تلك المدينة، وشارك في ذلك المؤتمر بصفته جزائريا من سلك القضاء الإسلامي، وألقى فيه خطابا ارتجاليا باللغة العربية الفصحى، تحت عنوان "المحاكم الإسلامية بالجزائر" فبلغ حد الإعجاب من جميع الحاضرين، ولا سيما شكيب أرسلان، الذي كان يظن أن الجزائريين إنما يحسنون إلقاء الخطب الفرنسية فقط.

وفي سنة 1950 اعتزل منصبه في القضاء بقسنطينة، وقدم إلى مسقط رأسه بغرداية فشارك في سير جمعية الإصلاح تارة بصفته عضوا فيها، وأخرى كاتبًا لها، ثم صار نائب رئيس الجمعية، فريئسها بعد وفاة المرحوم بابكر صالح بن قاسم.

وفي أثناء ذلك وقع انتخابه من طرف عشيرته ممثلا لها في جماعة غرداية، ثم صار وكيل العرش، وعند تأسيس المجالس البلدية الجديدة انتخب من جملة أعضائها، ثم نائبا أول لرئيس البلدية المرحوم ناصر علي.

كما قام بإدارة شركة الحافلات الحضرية، وكان مركزها في الزقاق الغربي بغرداية، وكان كذلك مركزا ومقرا للشيخ بيوض عند مقدمه لغرداية وملتقى له مع جماعات الإصلاح من جميع قرى وادي ميزاب.

وفي آخر ماي من سنة 1957 وقع اعتقاله مع جماعة ناصري علي مدة ثمانية أيام.

وفي أوائل أكتوبر من سنة 1961 استدعاه الضابط الثاني الشهيد طالي أحمد، إلى مقر إقامته بدار الأخ حمودة إبراهيم، داخل باب حواشة، فدام اجتماعهما مدة ست ساعات متوالية، من الساعة السابعة ونصف صباحا إلى الساعة الواحدة ونصف بعد الزوال، فافتتح بتوجيهات في غاية الشدة والصرامة، منتقدا موقف جمعية الإصلاح ورؤسائها من عدم الانضباط وفتور الانسجام مع الثورة. وبعد انتهاء حديثه أقنعه بشدة المراقبة لنا من طرف الاستعمار وأعوانه، أكثر من غيرنا، حيث أنهم يتبعون خطواتنا مع جميع حركاتنا، وكنا نعمل بحذر، وكان غرضنا حفظ السر أولاً، ثم المحافظة على سلامة أعضاء جيش التحرير، حيث أحسنا بأن عيون الاستعمار تترصد لهم كما تترصد جميع من يتصل بهم، فافتنع بذلك.

وبعد الاستقلال وقع تعيينه ضمن الأعضاء الذين شكلتهم الثورة في المجلس البلدي المؤقت بغرداية.

خامسا - قارة عمر الحاج علي بن بكير

كان متجرا بزقاق الخضر داخل مدينة غرداية، وحركته هي بيع المواد الغذائية والعقاقير بسائر أنواعها، وكان منذ الثلاثينيات عضوا بارزا من أعضاء الإصلاح، وكان يحقت الجمود ويحاربه علنا، ولذلك كانت السلطة العسكرية تقرأ له ألف حساب، لما له من عقل راجح

وبعد نظر وبعض شديد للاستعمار.

وكانت السلطة المحلية كلما كادت له كيذا لاعتقاله إلا وتملص منها بحكمة ودهاء، وكانت له صلة وثيقة بالأخ بابا بن حمودة، الترجمان العسكري. بمكتب الدائرة بغرداية، وكان موضع أسرارهِ حيث يستغلها الأخ الحاج علي لفائدة إخوانه من أعضاء جمعية الإصلاح.

وقد شارك ماديا وأديبا في إنجاح الثورة، وامتد به العمر إلى أن بلغ أمنيته في استقلال الجزائر.

سادسا - كركاشة عمر بن سليمان

كان من أعضاء جمعية الإصلاح، وكان محل سكنه في زقاق حواش، ملتقى جماعة الإصلاح حيث تعقد عنده أسبوعيا جلسة بصفة منتظمة، وتُدرس فيه جميع الخطط، وتغطي جميع الأخبار المتصلة بالثورة وبالمدينة وبالمنطقة، وتُسند فيها لكل شخص المأمورية التي سيقوم بتنفيذها، والمتابعة في التنفيذ بكل ثقة وأمانة.

وكان عاملا في مصلحة الطرقات والجسور الحكومية بغرداية، ومنها كان يمدّ الجبهة بجميع ما تحتاجه من أدوات وقطع ومفرقات. وبما أنه كان مولعا باقتناء السلاح، فإنه قدّم جميع ما يملكه منه إلى الجبهة.

وفي السادس أكتوبر من سنة 1961 أُلقي عليه القبض عند حصار مليكة، واستشهد طالي أحمد، ومكث في التعذيب والاستنطاق مدة شهر كامل، ولم يحصلوا منه على شيء مطلقا، فنقل إلى الأغواط ومكث في المعتقل سبعة أشهر، وبعد ذلك جرت محاكمته بالمحكمة العسكرية بغرداية مع 32 شخصا، ثم أطلق سراحه.

7- رايح حمون ميلود:

كان عمله هو البيع والشراء في الملابس الصوفية والزراي بجميع أنواعها، والفرش ولا سيما القشاشب التي تمتاز منطقتنا بنسجها.

وبحكم موقع محل تجارته في وسط سوق غرداية العامر كانت له اتصالات بجميع الناس، وتعرّف على ميولهم وأفكارهم بحكم انتمائه إلى الإصلاح منذ تأسيسه، وبدأ اتصاله بأعضاء الجبهة منذ سنة 1955، حيث اتصل بالمسؤول ابن سعيد من الولاية الخامسة في ناحية سبب.

وفي سنة 1957 أُلقي القبض عليه ضمن خلية غرداية، وبعد توحيد القيادة وتأسيس الولاية السادسة وقع اتصاله بالمساعد السياسي الهاشمي الدارم، وعبد القادر زعطاش، وأخيرا بالضابط الثاني أحمد طالي، واستمر نشاطه النضالي بإخلاص حتى يوم الاستقلال.

8- الحجاج حمون عمر

كان من أعضاء شركة البناء والسعادة بناحية باب الحداد، خارج مدينة غرداية، وشارك في النضال منذ وصوله إلى غرداية بماله ونشاطه. وكان من أعضاء المجلس المدني بغرداية بعد اعتقال الأخ الحاج إبراهيم دادي وعمر في رئاسة المجلس من شهر أوت سنة 1961 إلى جوان سنة 1962 عند الاستقلال.

9- العجروود صالح بن سليمان

كان سائقا للشاحنات عند الحاج علي بابا عيسى بغرداية، وبحكم تنقلاته بين الجزائر العاصمة وغرداية أسبوعيا، قام بحمل السلاح وذخيرتها والمواد الغذائية واللباس والأدوية، وأدوات المكاتب ما بين الجلفة وغرداية في الشاحنات التي يسوقها. وجعل من دار عرش

الميزابيين بالجلفة مركزا لعملياته حيث كان يضع فيها حاجيات الجيش تحت رعاية الأخ بابا بن إبراهيم بن عيسى باكلي.

واستمر في عمله في خدمة الثورة منذ اندلاعها، ولا سيما ضمن الولاية السادسة منذ سنة 1958، واستمر في عمله إلى يوم توقيف القتال وإعلان استقلال الجزائر.

10- بابكر حمو بن باحمد

شارك في الثورة منذ سنة 1957 حيث قام بالتقاط صور لأعضاء الجيش لأوراق التعريف المستعارة، وصوّر بعض الوثائق وتقديم الأشرطة المسجلة للشيخ بيوض في عدة مناسبات، وفي سنة 1960 أسندت له مهمة المكتب المالي لخلية غرداية، فقام بهذا العمل بكل أمانة وإخلاص، تحت رئاسة رمضان محمد بن إبراهيم. وكان من جملة أعضائها الحاج حمو بن عمر، وعبونه عيسى بن سليمان، والشيحاني باحمد بن إبراهيم.

وفي أواخر سنة 1961 تم اعتقاله وتعذيبه وإرساله إلى سجن الأغواط بسبب عثور عيون الاستعمار على بعض الوثائق عنده تتعلق بالثورة، حيث كان أجرى اجتماعا في دار سكناه بناحية سالم وعيسى مع بعض مسؤولي الجبهة لتنظيم سير أعمالها ماديا وأديا.

فتبين لنا من بعض الأمثلة السالفة الذكر بأن مواطني هذه المنطقة شاركوا مشاركة جماعية في الكفاح الوطني، فمنهم الأستاذ ومعلم القرآن، والتلميذ والفلاح والتاجر والأجير، والصانع والمرأة والصغير، كل حسب طاقته.

ولم تقتصر هذه المشاركة على منطقة ميزاب فقط، بل تعدته إلى مدن التل شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا، وفي خارج الوطن كتونس والمشرق العربي، والمهجر في فرنسا وغيرها.

ولنرجع بعد ذلك إلى كفاح مدينة غرداية، ففي يوم السابع عشر جوان سنة 1960 اندلعت معركة شعبة النيشان تحت قيادة المساعد رابح الأبيض، والشهيد مصباح بغداددي، وكانت حامية الوطيس كبدت جيوش الاستعمار خسائر فادحة، ونتيجة لتلك الهزيمة النكراء قامت قيادة الاستعمار مستعينة بأذناها فأشعلت نار الفتنة بين الميزابيين وغيرهم، وكان ذلك يوم الثالث عشر أوت سنة 1960، في مدينة وارجلان، وأشعلوها نعمة مذهبية بين الإباضية والمالكية، ودامت تلك الفتنة نحو شهر، جرت فيها حوادث قتل وجرح ونهب دكاكين الميزابيين وإحراق مخازنهم من رعاي القوم وغوغائها، وامتد لهيبها إلى مدينة المنيع، ولولا لطف الله والتدخل الحازم من طرف أعضاء جبهة التحرير من جهة ودروس الشيخ بيوض ولا سيما الخطاب الرائع الذي ألقاه عند تأبين الشهيد الذي لقي مصرعه أثناء تلك الفتن ودُفن في مسقط رأسه القرارة، داعيا إلى توحيد الصف والتضامن مع بعضنا البعض متمثلا بقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (1)

وبذلك أخذ نار لهيبها وتنفس المخلصون الصعداء، وعلم الاستعمار علم اليقين بأن صحراء الجزائر هي جزء لا يتجزأ من شمالها، وكل الجزائريين إخوة مسلمون، وأمتهم أمة واحدة. وبذلك قطع دابر الذين ظلموا.

وفي أوائل أكتوبر من سنة 1961 قدم إلى منطقتنا الضابط الثاني طالي أحمد فتمركز بجيشه أولاً بمدينة بريان، وبعد ذلك قدم إلى غرداية وتمركز بدار حمودة داخل باب حواشة، واتصل فيها بأعيان ميزاب مثل بوعروة بابا بن إبراهيم وغيره، وبذل مجهودا محمودا في توحيد الصف بين المصلحين والجامدين، فصار الاستعمار يتتبع أعماله بواسطة

(1) - سورة الحجرات، آية 10.

جواسيسه، وأعوانه من الخونة، يريد بذلك القضاء عليه، لأنه ليس من صالحه توحيد الصفوف، ويعلم علم اليقين بأن الاتحاد قوة ترجع بالوبال عليه.

وفي اليوم الرابع من شهر أكتوبر من تلك السنة انتشرت قوة العدو في مدينة غرداية من جوميين وحركيين (1) ومظليين داخل المدينة وخارجها مفتشة على أحمد طالبي وجيشه، فلم يحصلوا على طائل. وأخبرت بواسطة جواسيسها بأنه اعتصم بمدينة مليكة، وجعل من مسجده مكمنا، فلحقه العدو فاندلعت في المدينة معركة حامية الوطيس حول المنازل والسطوح والطرق، ومات من جنود العدو عدد لا يحصى، كما جرح الكثير منهم، وإثر ذلك استشهد البطل أحمد طالبي وبندقيته بيده، حيث عمّد العدو إلى نفس موقعه بقنبلة ألقيت عليه وعلى رفاقه من طائرة مروحية. وكان ذلك يوم الجمعة السادس أكتوبر من سنة 1961.

وبعد هذا المشهد الرهيب تولّى قيادة الثورة في منطقتنا رشيد الصائم، وعلي الشريف تحت قيادة العقيد محمد شعباني، قائد الولاية السادسة، ودامت الأمور سائرة إلى يوم وقف إطلاق النار يوم التاسع عشر مارس سنة 1962، وذلك بعد مفاوضات إفيان.

فكان ذلك اليوم يوما مشهودا في الشارف حيث تقاطر نحوها جمع عظيم، قدم من جميع أنحاء الصحراء في قوافل متتابعة من سيارات وشاحنات وحافلات، وكان من جملتها شاحنتان لشركة الحافلات المحلية أرسلها مديرها بابا بن إبراهيم بوعروة.

وفي ذلك اليوم الأغرّ ألقى فيه العقيد محمد شعباني خطابا رائعا

(1) - الجوميون، أو الجومية، والحركيون، أو الحركة: هم عملاء الاستعمار المسخرون لكشف أسرار الثورة والوطنيين لصالح أسيادهم المستعمرين.

تعرض فيه إلى أدوار الكفاح المسلح والسياسي منذ اندلاع الثورة إلى يوم توقيف إطلاق النار، وحرّض جميع الحاضرين على تحمل المسؤولية في البناء والتشييد لإقامة دولة جزائرية حرة مستقلة ماديا وأديبا.

فوقع عرض مماثل له في مدينة العطف بوادي ميزاب، حضره جمهور غفير من مدن ميزاب وغيرها من أنحاء الصحراء، فعمّت الفرحة والبشرى، وكان يوما تاريخيا واستقبل فيه الأخ رشيد الصائم رئيس المنطقة الخامسة للولاية السادسة استقبال الفاتحين.

وبعد هذا النصر المبين رأى كثير من العقلاء أنه من الحكمة أن يرجعوا إلى أعمالهم حيث ينتظرهم الجهاد الأكبر جهاد البناء والتشييد بكل جهد ونشاط، وتفانى في خدمة الوطن وازدهاره.

فرجع الأستاذ إلى مدرسته، والمعلم إلى تعليم تلاميذه، والفلاح إلى حقله، والتاجر إلى متجره، والأجير إلى عمله، حيث كانوا قد قدموا جهادهم لله ولرسوله وللوطن، أما من كانت نيته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فلكل امرئ ما نوى.

وبذلك طويت مرحلة الجهاد الأصغر، وفتحت صفحة الجهاد الأكبر. وبما أن تاريخ هذه الثورة المشرفة المباركة ليس ملكا لنا فقط، فقد سجلناه حسبما علمناه وتحققنا به بكل إخلاص ونزاهة، سيبقى صفحة ناصعة وعبرة ما فيه لأجيالنا الذين لم يسعفهم الحظ على تلقي نارها أولاً، واستقبال نورها أخيراً، حتى تكون لهم نبراسا يضيء لهم طريق مستقبلهم، وليعلموا بأن هذا الاستقبال لم يأت لهم عفواً، بل تحقق لهم بعد تضحيات جسام من مئات الشهداء وملايين المسجونين، وبعد تهديم الآلاف من القرى وإنفاق مليارات من الدنانير، فتوحّد بذلك الوطن بجميع أجزائه كاملة من تلهها وصحرائها.

والحمد لله رب العالمين.

تقرير العطف

بسم الله الرحمن الرحيم

مراحل النضال الثوري في العطف ونواحيها ما بين 1956 و1958

كانت منطقة الشبكة بالجنوب الجزائري تتحضر كغيرها من مناطق الوطن لاحتضان طلائع الثورة التحريرية، بعد أن أخذت دائرتها تزداد شديداً فشيئاً لتعم أرجاء الوطن، وقد استجابت منطقة وادي ميزاب، وبالأخص العطف لنداء الثورة مبكراً في أوائل سنة 1956 قبل انعقاد مؤتمر الصومام، الذي يعتبر نقطة تحول لتركيز النظام وتعميمه.

ويرجع سبب ذلك إلى تواجد كثير من أبناء المنطقة في مناطق شمال الوطن، حيث انضموا إلى الحركة بصفة رسمية مع الطلائع الأولى. وقد سجن البعض منهم. ففي ربيع سنة 1956 وفدت أول كوكبة لجيش التحرير بأمر من القائد الشهيد عاشور زيان، واستقرت بالعطف، واتصلت بالمواطنين داخل البلدة وخارجها، لجمع الأسلحة والمؤونة والملابس الصوفية، وتجنيد بعض المواطنين، ثم تحصين بعض المراكز والمخابئ في مختلف الأجنّة.

وفي أوائل سنة 1957 قام المواطنون بالإضراب العام لمدة ثمانية أيام، حيث شلت الحركة الاقتصادية والثقافية بنسبة 95 بالمائة، وكان لتوعية المناضلين ورعايتهم أثرها البالغ في إنجاح هذه العملية، مما نتج عنه رد فعل عنيف من طرف السلطات الاستعمارية، فقلعوا الأبواب وسلبوا كثيراً من البضائع.

وقد تشكل أول مجلس للثورة في بلدة العطف يوم 17 يناير 1957 تحت رقم 1175، فأخذ يعمل بجدية ونشاط في توعية المواطنين، فكانت الاستجابة التلقائية للعمل الثوري تحت راية جبهة التحرير الوطني.

وبما أن وادي ميزاب بموقعها الاستراتيجي والاقتصادي، كانت دائماً مطمح حركات المقاومة الوطنية للتزود بالمؤن والأسلحة، فقد تلاقت فيها عدة جيوش من مختلف الولايات.

وبعد مجيء السيد عبد الله الأحوج الملقب بمحمد علي، واستقراره بالعطف بعد مكثه أياماً في ضاية بن دحوة، أخذ يعمل على توحيد القيادة تحت راية جبهة التحرير فكللت أعماله بالنجاح، وبذلك أعطى دفعا قويا للنضال الثوري وتركيزه في المنطقة، فقام باتصالات عدة بمختلف الشخصيات.

كما قام الجيش بعدة عمليات فدائية جريئة استهدفت بعض غلاة الاستعمار وأعوانهم من العملاء، مثل الترجمان "بيل" بفرض منع التجول من منتصف النهار إلى الرابعة عشية، ومن السادسة إلى طلوع الشمس صباحاً.

غير أن هذا التناسق في العمل أصيب بنكسة مؤلمة إثر هجوم جيش "بلونيس" على العطف بقيادة محمد الأكحل في شهر سبتمبر 1957، ودخلوا البلدة في وضوح النهار، وتحت حماية المظليين الفرنسيين، مما أوقع المناضلين والمواطنين في حيرة ودهشة، وقد اصطحبوا معهم المسمى بالخير العيفاي، الذي كان يعرف جميع الأسرار الخاصة بالنضال الثوري، كما يعرف جميع المراكز والمخابئ السرية في البلدة عندما كان يمثل طلائع الجيش الصحراوي التابع للقائد عاشور زيان في سنة 1956.

وإثر هذه النكسة المؤسفة أصبح المخلصون يلقون كثيراً من العنت على يد بقايا جيش "بلونيس" بعد رحيله، فهاجر منهم من هاجر، وسُجن من سجن.

وفي أوائل سنة 1958 رجع المسؤول محمد علي مع كوكبته من الجنود المخلصين، وقاموا بتتبع فلول "بلونيس" وإلقاء القبض عليهم، حتى استقرت الأوضاع واستمر العمل والنضال في مجراه الطبيعي.

ملاحظات على تقرير المجاهدين (1)

ص3. نندد بما يكتب من تاريخ ثورتنا بأقلام غير نزيهة، بغية الخط من قيمة تضحيات الشعب من أجل استرجاع حريته واستقلاله، مثلما كتبه الأستاذ حمو عيسى عن تاريخ الثورة في المنطقة، وهو الكتاب الذي يرفضه المجاهدون جملة وتفصيلا، ويعتبرونه وصمة عار وسب في تاريخ الثورة، وهذه الجهة.

ص3: ... الهدف من كتابة تاريخ الثورة هو التزام الحقيقة التي هي غاية الجميع... ويقول بعد ذلك... أما حين عرضه للجوانب الاجتماعية والسياسية فيؤسفنا أن نصفه بأنه كان ذاتيا أحيانا، ومراعيًا لحسابات سياسية أحيانا أخرى.

صفحة 6 من التقرير، يقول: ... أساليب القتال في الصحراء تختلف عن غيرها من المناطق لعدة وجوه،... فكل عمل عسكري أو تحرك سياسي يعتبر مغامرة تعرض صاحبها للهلاك، وإن فرص النجاة من ذلك ضئيلة جدا.

صفحة 7 منه: ... صمود الشعب في وجه مخططات العدو في حد ذاته أحد معجزات الثورة الجزائرية.

صفحة 7 أيضا: إن أبناء ولاية غرداية لبوا نداء الثورة وقدموا لها النفس والنفيس أينما كانوا، وحيثما حلوا، من فلاحين وعمال وتجار وطلبة وكتابا وشعراء.

ص13 من التقرير يقول: ... إن الأخ قاسم الحاج حمادي تدخل باسم الثورة الجزائرية لدى وزير الداخلية المالي، لوضع حد لنشاط محمد

(1) - أورد الشيخ نصوصا من تقرير المجاهدين حول مشاركة غرداية في الثورة، وعلق على بعضها بما أبداه من ملاحظات.

محمود قاضي تمبكتو السانجي وغيره، إلى تكوين جمهورية صحراوية، فاستجابت الحكومة المالية لطلب الثورة الجزائرية، فأدخلته السجن حداً لنشاطه.

ص14: الأحداث السياسية، واصلت الثورة تصفية الجيوب المتبقية من الحركة المصالية بشقيها السياسي والعسكري، إلى أن تم القضاء عليها نهائيا في مطلع سنة 1959.

صفحة 16: عقدنا اجتماع في سنة 1958 في واحة غرداية لدراسة موضوع المشاركة الجماعية في الثورة أو المشاركة الفردية أو اللامشاركة، وبعد المناقشة كان الرأي الذي نادى به الشيخ بيوض وأيده فيه الشيخ سليمان بن الحاج داود، هو المشاركة ظاهريا، بينما أعلنت أقلية مخلصمة معبرة عن فكرة الجماهير، معارضتها لهذه الفكرة ونادى بالمشاركة الفعلية مثل رمضان الحاج إبراهيم بن صالح، والشيخ عبد الرحمن بكلي في نفس هذا الاتجاه.

صفحة 16: إن علماء المسلمين بولاية غرداية يريدون المحافظة على سلامة أنظمتهم وإبقاء مدارسهم، وإن وجد لهم عمل مع الثورة فإنه لا ينفي تعاملهم مع الاستعمار، وأحيانا أخرى...

أما عن أمثال رمضان فإنهم يريدون نسف تلك الأنظمة وإغلاق مدارسهم، لا قدر الله.

صفحة 17: قضية فصل الصحراء عن الجزائر.

وقع اجتماع المنتخبين مع الجنرال صالان في سارق العربي في صحراء ورقلة، في ربيع سنة 1959، ووقع ضغط كبير من طرف فرنسا وعمالها، أمثال حمزة بوبكر ومحمد محمود قاضي تمبكتو، والهدف منه هو قبول فكرة إنشاء الدولة الصحراوية، والاجتماع الذي تم مع جاك سوستال في غرداية يوم 30 جانفي سنة 1959، بقيادة بللو عيسى،

وكذلك اجتماعات الشيخ بيوض مع عدد من الوزراء الفرنسيين أمثال ماكس لوجون، وميشال دوبري، وغيرهم.

صفحة 19، فإن جيش التحرير بالناحية كان يتابع الأوضاع بدقة ويقظة، ويعمل على إحباط المخططات الواحدة تلو الأخرى، وجاءت الضربة القاضية والأخيرة عند منع عدد من النواب من حضور الاجتماع المزمع عقده في ورقلة للإعلان على الحكومة الصحراوية العملية للاستعمار.

صفحة 20، حول هذه المجالس المتمثلة في البلدية والعمالية والوطنية، ومجلس الشيوخ، فمنهم من لى نداء الثورة، ولم يرض بالترشيح، ومنهم من تم ترشيحه غيايبا.

صفحة 20: ومنهم من لى النداء، ولظروف القاهرة نفى من هذه المجالس، وقدم خدمات للثورة، وهم أقلية.

صفحة 24: رفع معنويات المساجين داخل السجون، وبعد خروجهم.

سياسة التفرقة، كلف هذا الموضوع الكثير من التضحيات، وأمد في عمر الثورة ما يقرب ثلاث سنوات.

أما على الصعيد المحلي، فقد عملت السياسة العروشية ومصالحها المختصة على تركيز فكرة الصحراء الفرنسية، محاولة بذلك فصل الصحراء عن الجزائر.

صفحة 25: اهتمت قيادة الولاية السادسة إرسال نخبة من الضباط لدعم الأطر العاملة بما لتعثر المفاوضات بين الجبهة وفرنسا في شأن فصل الصحراء.

تشهد بمعركة يوم 19 سبتمبر سنة 1960. في عين صالح التي

قادها السيد مصباح لغراد، ثم في جبال الهقار بقيادة الشهيد بوضبع عمر، في أكتوبر سنة 1960، ومعركة الحوار والجرجير بمتليلي سنتي 1960/1961، ومعركة مليكة في أكتوبر سنة 1961 بقيادة الضابط الأول الشهيد أحمد طالي.

وفي غيره مثل تنظيم مظاهرات شعبية ضد سياسة الفصل في سنتي 1960-1961.

صفحة 35: لم يذكر اسم الحكيم بابا عمر في قائمة الأطباء الذين قاموا بعلاج المرضى والمصابين من الجيش، والأدوية مع صيدلية باسة، على يد كركاشة صالح بن أحمد.

صفحة 37: التعليم والتكوين، فضل المساجد والمحاضر والمدارس الحرة في تركيز الديانة الإسلامية واللغة العربية والأنشيد الوطنية الحماسية.

صفحة 39: التمويل، اعتمدت الثورة في ناحيتنا على الشعب، وعلى الشعب وحده في تمويلها وتموينها، الذي كان يتطلب ذلك جهدا كبيرا في جمعه وإخراجه وإبلاغه إلى الجهات المعنية، وتصديره إلى الخارج كانت مهمة شاقة تؤدي في أغلب الأحيان إلى السجن أو الموت.

صفحة 40: وكذلك التخزين يتطلب الجهد الكبير واليقظة المستمرة لتوفير المواد المختلفة بكميات معتبرة.

صفحة 40: نقل البريد والتموين والأسلحة.

صفحة 41: كما أن الثورة استعملت وسائل النقل الصالحة لذلك مثل الشاحنات والحافلات، وكلها ملك للخواص، أمثال شاحنات بابا عيسى الحاج علي، وشاحنات مستودع الجنوب، وشاحنات آل السماوي، وشركة النور، وحافلات شركة الحافلات الحضرية.

صفحة 41: مشروع قسنطينة، هو تمهيد لفصل الصحراء عن الجزائر، جاء هذا المشروع بمجيء ديقول للحكم.

صفحة 43: الحكومة المؤقتة الجزائرية هي انتصار لإرادة الشعب، هذه الحكومة قد تحملت مسؤوليتها رغم الصعاب ودفعت بعجلة الثورة إلى الأمام، وواجهت مخططات السياسة الفرنسية وفضحتها أمام المحافل الدولية، وعرفت بالقضية الجزائرية العادلة أمام الرأي العام العالمي.

صفحة 44: الإعلان عن تقرير المصير.

صفحة 46: منظمة الجيش السري التي زرعت الدمار والتخريب والإرهاب.. تقييم ما خسرت الصحراء حسب التقرير... وقد كادت تلك المنظمة أن تمتد يدها إلى حقول النفط في حاسي مسعود، لكن يقظة المجاهدين أفشلت محاولتهم.

صفحة 47: المظاهرات الشعبية، أهمها هي تلك التي قوبل بها وزير الصحراء في سنة 1961 بسوق غرداية.

صفحة 48: دور المغتربين... تطور الأحداث خلال 1961/1962 عن قضية فصل الصحراء عن الجزائر: أوجدت الولاية السادسة نخبة من ضباط التأطير، فأجروا اتصالا مع الشيخ بيوض في الموضوع، واتصالات غير مباشرة مع القائد العيد بورقلة، والشيخ أحمد التيجاني في تماسين. لكونهم العناصر المعتمدة عليها من فرنسا، فأدلى الشيخ عدون بشهادته في الموضوع قائلا: إن الشيخ بيوض حدثه قائلا: بأنه أثناء الاجتماع المجلس العمالي بورقلة تعرض قائلا: إن مهمة هذا المجلس مهمة اقتصادية واجتماعية، ولا دخل لها في مسألة فصل الصحراء باعتبارها قضية سياسية بحتة.

صفحة 49: وبتقدم المفاوضات مع فرنسا هرعت جماعات من الحركة القومية بأسلحتها للانضمام إلى صفوف الثورة.

صفحة 49: تقول الخلاصة: ..إن المواضيع التي تناولها تقريرنا هي في حد ذاتها خلاصة الخلاصة.. لما لها من أحداث سياسية متنوعة ومتشابكة تحتاج إلى دراسات ومؤلفات توضح مختلف جوانبها، وتحدد أبعادها.. نأمل أن نجد باحثين متخصصين لاستجلاء معالمها وتقديمها إلى الأجيال الصاعدة بيضاء ناصعة، خالية من كل شائبة.

الختام في صفحة 50.

صفحة 50: التقرير السياسي.

صفحة 51 المعارك، شعبة النيشان.

صفحة 8: معركة تاو لا والت بالعطف، 10 أكتوبر 1960م

صفحة 17 المعارك:

صفحة 20 العمليات الفدائية.

صفحة 22: 20 نوفمبر 1959 نفذ حكم الإعدام في عميل بسوق

غرداية يدعى حمادي ماضي.

صفحة 26: في أواخر سنة 1961 أعدم بوسعدة سليمان بن أحمد.

في 2 مارس 1962 أعدم باحمد الأقرع بغرداية.

صفحة 27 الحصار:

صفحة 28 الضمير؟ سنة 1959 وقع حصار غرداية، ألقى القبض

على كلي عمر بن خليفة ومسعود بلي.

صفحة 34 في جانفي 1960 حاصرت قوات العدو بلدة بريان،

وألقى القبض على بعض المناضلين.

صفحة 36: في صيف سنة 1960 حاصر العدو سوق غرداية يوم

الجمعة يوما كاملا،

(59): في سنة 1961 حاصر العدو واحة القرارة.

(60) حاصر العدو بريان كلها.

(61) سبتمبر 1961 وقع حصار في السوق بالقرارة.

(62) حصار بريان.

(67) 23 أكتوبر سنة 1961 حاصر العدو القرارة بكاملها

وأخرج الرجال وجمعهم خارج المدينة.

رسالة الشيخ بيوض للوالي العام

إلى سمو الوزير المفوض الوالي العام على القطر الجزائري.

نتقدم إليكم بموجز للإصلاحات التي ترحو الأمة الميزابية تحقيقها على يدكم، وإنها لإصلاحات بسيطة ميسورة، وقد أجملت في المذكرة التي قدمتها للجنة الإصلاحات في 3 جانفي سنة 1944، ومع هذا نسخة منه، ودونكم شيئا من البيان المختصر لها، مع استعدادنا لإعطاء الشرح الكافي مشافهة، أو بتقرير مفصل كتابي كلما طلبتم منا ذلك.

نطلب إصلاحات ضمن روح معاهدة 1853، التي تنص على استقلال بني ميزاب في إدارة شؤونهم الداخلية.

أما من الوجهة الإدارية فإننا نطلب جعل كل قرية من القرى السبع بلدية تامة تتمتع بجميع حقوق البلديات التامة.

والصورة موجودة الآن فعلاً، فإن لكل قرية مجلساً منتخباً انتخاباً حرّاً من عشائر القرية، ولا نطلب إلا إصلاحين اثنين فقط في هذه النقطة، إحداهما إلغاء القرار الذي يعطي الإدارة حق رفض المنتخب والأمر بتحديد الانتخاب لغيره، وثانيهما إلغاء وظيف القائد وجعله منتخبا انتخاباً حرّاً من أعضاء المجلس، كما يُنتخب الآن الخليفة (1) لمدة ثلاث سنوات، ويسمى شيخ المدينة، أو رئيس الجماعة، كما كان يسمى قديماً. لا نريد تغييراً في طريقة الانتخاب ولا في عدد النواب.

ونؤكد لكم مقدور أصغر بلدية على تحمل واجباتها المادية وغيرها، كما هو الواقع فعلاً اليوم، فإن كل قرية قائمة بجميع

(1) - هو خليفة قائد البلدة.

إصلاحاتها الداخلية على شعبها من غير أن تكلف الميزانية العامة لإدارة غرداية، ولا ميزانية المستعمرة درهما ولا دينارا.

أما من الوجهة القضائية فإننا نطلب إرجاع جميع المحاكم الملغاة في بنورة ومليكة، وإرجاع محكمة العطف وبريان إلى الدرجة العليا، حتى يكون في الكل قاضي وباش عدل وعون، كما كان سابقا، ونؤكد لكم أن كل قرية تستطيع أن تسدد مصاريف موظفي محكمتها، كما نؤكد لكم أن في الأمة أكفاء لشغل هاته المناصب، وإنما عيب الإدارة العسكرية أنها تقلب الحقائق فتوقع الإدارة العليا في أخطاء.

ويكون تعيين هؤلاء الموظفين في المحاكم من طرف ممثل فرنسا بميزاب بتقديم مرشح الهيئة الدينية (العزابة) في القرية، فإنهم المشرفون على الحياة الاجتماعية والدينية والشرعية في القرية.

وقد كان القاضي عند مجيء فرنسا للبلاد هو شيخ العزابة، وذلك هو رسم خاتمه الذي يختم به الرسوم.

ونطلب إعادة مجلس الاستئناف الميزابي المسمى بمجلس عمي سعيد، والرجوع به إلى عهده قبل مجيء فرنسا، وذلك أنه يتركب من سبعة علماء أحرار غير القضاة، تقدم الهيئة الدينية في كل قرية عالما من علمائها، فيجتمع السبعة وينتخبون رئيسا لهم، ثم يرجع الأمر إلى المقيم الفرنسي، فيصدر أمره بتشكيل المجلس على تلك الصورة، ليتعقب أحكام القضاة، فيرم وينقض.

ونطلب إلغاء القرار الذي يحدد أجل طلب الاستئناف إليه بثلاثة أيام، ويشترط لذلك اتفاق الخصمين، فيكون الأجل شهرا، وبرغبة المحكوم عليه وحده، كما هو الحال في طلب الاستئناف إلى محكمة المطلب الأول بالبليدة.

ويبقى للقضاة حق التوثيق في جميع الرسوم، والحكم في الأحوال

الشخصية، وفي جميع المسائل المالية والمعاملات والموارث وغيرها، من غير حد ولا قيد ولا شرط. ولا يخرج عن اختصاصهم إلا الجرائم في الأنفس والأعراض والسرقات.

وأما من الوجهة الإدارية الفرنسية الحامية فإننا نطلب إلغاء الحكم العسكري، وليكن ممثل فرنسا بميزاب إما مقيما عاما، وإما مراقبا مدنيا، يدير شؤون البلاد التي يشرف عليها إدارة مدنية، يرأس المجلس العام للقرى السبع، الذي يتركب من مشايخ المدن ونائبيهم مع كل شيخ منتخبين من أعضاء بلديته، للنظر في شؤون البلاد العامة وللتناقص في الميزانية العامة.

ولهذا المجلس حق إصدار القرارات في دائرة اختصاصه بالأغلبية، تكون نافذة بشرط أن لا تمس السيادة الداخلية لبلدية كل قرية.

ولممثل فرنسا اتخاذ نائبين يقوم أحدهما بوظيف كوميسار لحفظ الأمن، يعين له المجلس العام عدد الأعوان الذين يستخدمهم، ويقوم الثاني بوظيف قاضي الصلح ترفع إليه الجُنح والمخالفات، فيصدر حكمه فيها.

وينتخب المجلس العام من بين أعضائه أو من غيرهم أعضاء الاستشاريين بالعدد الذي يختاره المجلس نفسه.

أما المخالفات الكبيرة والجرائم ترفع بواسطة ممثل فرنسا إلى المحاكم العليا بالبليدة أو بالجزائر، لا إلى المحكمة العسكرية كما كان سابقا.

وأما الضريبة المقررة في المعاهدة فيعاد النظر في تقديرها حسب تغيير سعر النقد الذهبي في المجلس العام إذا تم انتخابه.

أما الضرائب الأخرى فمن حق المجلس أيضا النظر فيها والإلغاء والتقرير حسبما تقتضيه المصلحة العامة من غير إرهاق.

وأما من الوجهة الجغرافية فإننا نطلب تعديل الحدود بين ميزاب وبين الأغواط والجللفة وتيقورت ووارقلة، فإنه قد وقع غبن فاحش في بعض الجهات، بدون مبرر، عندما رسمت الحدود الجديدة وألغيت الحدود القديمة التي بنيت على اعتبار قسمة المسافة بين كل بلدين أنصافاً.

وأما من الوجهة الاقتصادية فإننا نطلب أن تبني سياستها على اعتبار البلاد ملكاً خاصاً لأهلها، لهم وحدهم حق التصرف فيها والحرية التامة أفراداً وجماعات، ولهم حق التمتع بجميع حقوقها، فإذا أنشئت عيون مثلاً، وجب أن تكون من مال الأمة وملكاً للأمة أفراداً أو شركات أو بلديات، لا يتحكم فيها أجني مطلقاً، ولا تعطى في أي جزء من أراضي ميزاب امتيازات لفرد أو جماعة أو شركة كائنة ما كانت، إلا بموافقة المجلس العام ومجلس البلدية لتلك الجهة، مع الاحتفاظ بجميع الحقوق.

وتقبلوا سيدي الوزير خالص سلامات، وعاطر تحيات المعجب بخلالكم الحميدة، وعبقريتكم الفذة، واشترakitكم العادلة.

الجزائر في 24 أبريل سنة 1946.

الإمضاء: بيوض إبراهيم.

شهادة عن نضال الشيخ بيوض في الثورة

من السيد خبزي أحمد بن عيسى بن عمارة، عضو اللجنة المركزية بيسكرة، حرره

بتاريخ يوم 10 فيفري 1981.

قال فيها:

فيما يتعلق بالشيخ بيوض رحمه الله... إن الشيخ بذاته لا يحب كتابة ما عمله في الثورة، وكلامه المأثور هو "أعمل لله ولأجل الوطن". ... يقول خبزي أحمد: عند رجوعي ثانية إلى القرارة، تقابلت مع الشيخ بيوض فعانقني وأردف قائلاً: الحمد لله الذي حقق ما كنت أتمناه منذ عشرين سنة.

فكر الشيخ في الالتحاق بالقاهرة لمساندة بعض المسؤولين هناك، لبث الدعاية لصالح الثورة الجزائرية في المشرق العربي، وقبل التنفيذ استطلع رأي أعضاء الجبهة هنا، بواسطتي فأبلغت الأمر لمسؤول إدارة الولاية السادسة، بواسطة الأخوين مناني نور الدين، وصفاباوي [غموض] نور الدين، وبعد أسبوع من ذلك ورد الجواب بالرفض، لأن القيادة رأت فائدة بقاء الشيخ بيوض داخل الوطن، الذي هو في أمس الحاجة إليه لأن دوره في الداخل أنفع منه للوطن من خارجه، كما أمر بإبقاء علاقته مع السلطة الفرنسية نظراً لدوره النافع بصفته نائباً على وادي ميزاب في المجلس الوطني بطريق الانتخاب، وذلك مما يساعد على تغطية حركات المجاهدين على مستوى منطقة وادي ميزاب.

ومنذ ذلك الحين استمر الشيخ في نشاطه لصالح الثورة [والوطن]

إلى يوم وفاته.

تعليق أرسلان على رسائل الشيخ بيوض

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد.

وصلتني أعداد الأمة، وطالعت فيها مقالات بامضاء أفلح، وبالرغم مما فيها من تعظيم الباروني، أقول: إنه لا يمكن أن يدافع عني أحد بأحسن مما دافع عني هذا الذي صدق وأفلح، ونادرا ما وجدت في العرب كاتباً جمع بين قوة الحجّة ومتانة اللغة هذا الجمع الآخذ بمجامع القلوب.

جزاه الله أفضل الجزاء عن الحق الذي نصره، وعني أنا الذي بغى البغاة عليه، أقدم له مزيد الشكر وثنائي.

شكيب.

شكر من الشيخ بيوض

ASSEMBLEE ALGERIENNE

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

القرار 8 فيفري 1951

حضرة الفاضل المحترم الأخ الكريم السيد بعروة إبراهيم وكافة أفراد أولاد باخه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وتحية من عند الله مباركة طيبة، وبعد.

فقد تقبلت برقيتكم الكريمة حاملة ثنائكم الصادقة، المعبرة عن إخلاصكم وولائكم وحسن ظنكم في أخيكم الذي وضعتم فيه ثقتكم، وعن تضامنكم واجتماع كلمتكم، فشكرا لكم إخواني على عواطفكم النبيلة، وإحساساتكم الشريفة، وثباتاً على العهد، ونصرة الحق بكل الوسائل المشروعة.

حقق الله آمالك في، وآمال كل مخلص لدينه وأمتة ووطنه، وجعلني في سبيل خدمة الصالح العام فوق ما تظنون، بمنّه وكرمه.

دمتم محفوظين للراجي لكم كل خير، أخيك المخلص.

بيوض إبراهيم

بشائر الاستقلال تظهر في الأفق (١)

- ونهاية تلك المفاوضات السرية تنشر يوم 18 فيفري 1962.
- ونقط الخلاف الرئيسة هي الضمانات المعطاة للأوروبيين، وتأليف لجنة التنفيذ المؤقتة.
- 7 مارس: استئناف المفاوضات في إيفيان بين فرنسا والجبهة.
- 18 مارس: إتمام مفاوضات إيفيان، ووقف إطلاق النار، والضمانات المعطاة للفرنسيين سواء في فرنسا أو في الجزائر.
- 19 مارس: تعيين فوشي Christinen Fouchet مفوض سامي في الجزائر، وأسند إلى عبد الرحمن فارس... (كتابة مفسوخة)
- 23 مارس: خطاب متلفز ألقاه لوي جوكس على اتفاقية وقف إطلاق النار في الجزائر عامة، وتطبيقاً في الجزائر العاصمة خاصة.
- 7 أبريل: التنصيب الرسمي للمجلس التنفيذي المؤقت في بومرداس Rocher noir، تحت رئاسة عبد الرحمن فارس، ونائبه روجي روط Roger Roth
- وكان من جملة أعضاء ذلك المجلس التنفيذي الشيخ بيوض، الذي طُلب منه قبول تلك العضوية، وعندما جمعنا في غرداية وأخبرنا بذلك الخبر، فحبّذناه، وعن وصوله في بومرداس أجرينى تنصيبه نائباً عن الشؤون الدينية (١) بموافقة جميع الأعضاء.
- فاتح جوليت: استفتاء في الجزائر على الاستقلال.
- 3 جوليت: تصريح الجنرال ديغول بالاعتراف الرسمي لاستقلال الجزائر، مع قدوم أعضاء G.P.R.A. الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بعاصمة الجزائر.

■ الاستئناف بعد يوم 30 مارس 1961.

- 20 ماي 1961: ابتداء مفاوضات إيفيان Evian بين الوفد الفرنسي، تحت رئاسة لوي جوكس، والوفد الجزائري تحت رئاسة بلقاسم كريم.
- 13 جوان: تأجيل مفاوضات إيفيان من طرف لوي جوكس.
- 20 إلى 28 جوليت: مفاوضات مدينة لوقران Lugrin بين الوفد الفرنسي ووفد جبهة التحرير، لم تسفر على نتيجة، لأجل الصعوبات الناتجة من أجل الصحراء.
- 27 أوت: يستخلف ابن خدة مكان فرحات عباس رئاسة G.P.R.A.
- 5 سبتمبر: ندوة صحافية من طرف ديغول يصرح فيها عن الجزائر بأن قضية الصحراء لم تعد لها أهمية من قبل فرنسا، بشرط أن تبقى مصالحنا الاقتصادية والعسكرية محترمة.
- 4 ديسامبر: إلقاء القبض على عبد الرحمن فارس، متهم بجمع الأموال لفائدة الجبهة.

■ سنة 1962

- 11 فيفري 1962: مقابلة سرية في روس Aux Russes بين الوزراء الفرنسيين: لوي جوك، روبر بيرون، روفلي، جانباً، مع أربعة أعضاء من الحكومة المؤقتة الجزائرية G.P.R.A.

(1) - تولى الشيخ بيوض رحمه الله مسؤولية لجنة الشؤون الثقافية في الهيئة التنفيذية للمرحلة الانتقالية بين إيقاف القتال في 19 مارس وإعلان الاستقلال في 5 جويلية 1962. (باجو)

(1) - أورد الشيخ هنا محطات في تاريخ الثورة ورصد مراحل من مفاوضات جبهة التحرير الوطني مع الحكومة الفرنسية إلى تمام الاستقلال. (باجو)

■ 8 أكتوبر: دخول الجزائر عضوا في جمعية الأمم.

■ سنة 1963

■ 31 مارس: تأميم الأراضي الفرنسية من قبل الحكومة الجزائرية.

■ 1 أكتوبر: نزاع ملكية أراضي المعمرين بالجزائر.

■ سنة 1964

■ 15 جوان: خروج آخر جندي فرنسي من التراب الجزائري.

بعد الغروب يأتي الشروق

■ بعد تلك الكلمات الحكيمة التي تفاعل بها الشيخ بيوض بمستقبل جزائرنّا الحبيبة توالّت المفاوضات تلو المفاوضات بين فرنسا من جهة وممثلي جبهة التحرير الوين من جهة أخرى، كان افتتاحها يوم 20 ماي سنة 1961، في مدينة إيفيان.

■ أولا: يوم 20 ماي 1961: افتتاح المفاوضات في مدينة إيفيان بين لوي جوكس ممثل فرنسا، والوفد الجزائري برئاسة كريم بلقاسم.

■ ثانيا: يوم 13 جوان تأجيل تلك المفاوضات، أقام لوي جوكس ندوة صحفية معلنا بتأجيل تلك المفاوضات لإتمام دراسة القضية من كلا الطرفين.

■ ثالثا: يوم 20 إلى 28 جوليت: عقد المفاوضات من جديد في مدينة لوقران، ثم توالّت المفاوضات التي تعثرت حول مصير الصحراء.

■ وفي 5 سبتمبر أقام ديقول ندوة صحفية... أعلن أن الصحراء لم تعد لها أهمية .. بشرط أن تبقى مصالحها مضمونة.

■ عندما طلب المجلس التنفيذي من الغرف التجارية تقويم الخسائر التي لحقت المواطنين الجزائريين أثناء الحرب التحريرية ولا سيما ما أفسدته منظمة الجيش السري O.A.S. الإرهابية، كان من جملتها الغرفة التجارية الصناعية بغرداية، فقدّمت تقريرها المذكور سابقا. والذي قدرت خسائرها بمبلغ 51.536.529.00. وذلك بتاريخ يوم 22 ماي 1962، فأرسلت منها نسخة إلى وزير الدولة المكلف بالشؤون الجزائرية، كريتيان فوشي، والنائب المسؤول عن الشؤون الدينية في ذلك المجلس والسلط الأخرى.

■ وفي أثناء تلك الفترة الدقيقة رحل عن ميزاب يهوديها ومستعمروها، وتركوا مساكنهم ومجالاتهم.

خطاب معهد الإصلاح (1).

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين.

والصلاة والسلام على رسوله الكريم، صاحب الخلق العظيم،
وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.

فمما يشرف جمعية الإصلاح أن تفتتح هذه السنة الدراسية
الجديدة، بالحمد والشكر لله على توفيقه وتأييده، ثابتة على شعارها منذ
تأسيسها، إلى ما شاء الله، وذلك قوله تبارك وتعالى، بعد أعوذ بالله من
الشیطان الرجيم: ﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا
بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (2).

يا أبناء اليوم، ويارجال المستقبل، فإن جمعيتكم قد هيأت لكم
كل ما تحتاجون إليه من حجرات مجهزة تجهيزاً كاملاً، ومكتبة عامرة
بمختلف الكتب، واختارت لكم أساتذة ومعلمين ذوي كفاءة
واستقامة، ونظمت لكم برامج حافلة بجميع الفنون التي تليق بمستواكم،
وقامت بكل ما يجب عليها مادياً وأدبياً، لإنجاح مساعيكم، واستثمار
مواهبكم على أحسن وجه.

وأملنا فيكم عظيم، والمستقبل ينتظركم أن تقدّموا لوطنكم
الأصغر، وهو ميزاب، مسقط رأسكم، ووطنكم الكبير وهو القطر
الجزائري، ووطنكم الأكبر وهو كافة الأقطار الإسلامية بكل ما تحتاجه
من خلق كريم ودين قويم، وعلم مرتكز على قواعده الأربع، وهي:

(1) - أُلقيت هذه الكلمة بمناسبة افتتاح معهد الإصلاح بغرداية، وذلك يوم الجمعة 14 ذو
القعدة الحرام، سنة 1402 هـ الموافق ليوم فاتح أكتوبر 1982 م.

(2) - سورة هود، آية 88.

ولتكن قدوتكم بأوائلنا رحمهم الله في جميع الميادين، حيث كان أول من دون الحديث هو الإمام جابر بن زيد رحمه الله، وتبعه تلميذه الربيع بن حبيب، وأول من أسس العروض وموازن الشعر هو الخليل بن أحمد، وأول من ألف في النحو هو أبو الأسود الدؤلي.

ومن جملة مبرّاتكم أنهم كانوا أول من ربّ عقيدة التوحيد باللغة البربرية، وكان ذلك سببا لإرساء أسس الإسلام بشمال إفريقيا، وانتشاره به، وتمكن أهلها من اللغة العربية عندما عربّوا ذلك التوحيد على يد عمرو بن جميع. وبذلك نالوا الحسنيين، أولهما نشر الإسلام، وثانيهما نشر اللغة العربية.

وأول من أسس الدولة الجزائرية المستقلة هو الإمام عبد الرحمن بن رستم، وذلك على سبيل العدل وعلى سبيل الحق.

ولذلك فرجاؤنا أن تكونوا مثل أوائلنا في الكد والجد وبذل غاية الجهد، في بلوغ أمانينا دنيا وأخرى.

وختاما أقول لكم: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (1).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خطاب في تأسيس حلقة عزابة الإصلاح (1)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحابه أولي الفضل العظيم.

أيها المحفل الكريم، بعد البيان الشافي الذي سمعتم من كاتب الجمعية الأستاذ الشيخ حمو بن عمر فخار، حفظه الله ورعاه، يسرني أن أشفع كلمته بفقرة من روائع الشيخ السيد قطب رحمه الله، حيث قال في ظلاله ما معناه: «منهج الله في الأرض يقوم على دعامتين لا يُستغنى بأحدهما عن الأخرى، الأولى: الوعظ والإرشاد والبيان، والثانية: القيام بسلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من الحياة البشرية، وحفظ تقاليد الأمة الحسنة».

وبناء على ذلك فإن جمعية الإصلاح بعد أن رفعت دعامة الوعظ والإرشاد والبيان بواسطة منابرهما، قد قررت إن شاء الله ابتداء من هذه الليلة ليلة الأحد 21 ربيع الثاني 1403 هجرية، 4 فيفري سنة 1983 ميلادية، قررت برفع الدعامة الثانية لاستكمال بنائها، بإنشاء جماعة خيرة تتولى بعون الله وتأييده سلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصيانة التقاليد الحسنة للأمة وتحسينها.

وباسم الله أعلن قيام هذه الجماعة وأتشرف بسردها أسمائها عليكم، وهي كما يلي:

أسماء أعضاء هيئة حلقة العزابة

(1) - ليلة الخميس 20 ربيع الثاني عام 1403 هجرية، الموافق ليوم الثاني فيفري سنة 1983

الاسم واللقب	استظهار القرآن الكريم	المستوى الثقافي	العمل والمهنة
فخار حمو بن عمر	مستظهر	خريج معهد الحياة بالقرارة	مدير معهد ومدرسة الإصلاح. غرداية
الشيخ صالح سليمان بن أحمد	مستظهر	خريج معهد الحياة بالقرارة	أستاذ القرآن بمدرسة الإصلاح. غرداية
أوبكة أحمد بن عمر	مستظهر	خريج معهد الحياة	مرشد ديني. غرداية
بابا واعمر يحيى بن أحمد	مستظهر	خريج معهد الحياة، بالقرارة	أستاذ بمدرسة الإصلاح. غرداية
قارة لخضر بن أحمد	مستظهر	خريج جامع الزيتونة بتونس	أستاذ القرآن بمدرسة الإصلاح. غرداية
حواش عبد الرحمن بن عيسى	مستظهر	خريج معهد الحياة بالقرارة	رئيس إدارة معهد الإصلاح
خطارة أحمد بن صالح	مستظهر	خريج معهد الحياة بالقرارة	أستاذ بمدرسة الإصلاح
طباخ نوح بن بكير	مستظهر	خريج معهد الحياة بالقرارة	أستاذ بمدرسة الإصلاح
بشيش محمد بن إبراهيم	مستظهر	خريج معهد الحياة بالقرارة	أستاذ بمدرسة الإصلاح
بكوش محمد بن سليمان	مستظهر	خريج معهد الحياة بالقرارة	مدير مكتبة

علواني عمر بن عيسى	مستظهر	ليسانس كلية الآداب بجامعة بغداد	أستاذ بثانوية غرداية.
عوشة إدريس بن اسعيد	مستظهر	خريج معهد الحياة بالقرارة	مدير معمل ورئيس اتحاد الصناعيين لوادي ميزاب
الواهج إبراهيم بن يحيى	مستظهر	خريج مدرسة الإصلاح	نحار
خطارة محمد بن صالح	مستظهر	خريج مدرسة الوفاق. بسكرة	مدير مؤسسة تجارية وإمام مسجد
بوسعدة يحيى بن أحمد	مستظهر	خريج معهد الحياة بالقرارة	مدير مؤسسة تجارية
باحريز إبراهيم بن أحمد	مستظهر	السنة الثانية كلية الحقوق بجامعة الجزائر	مدير تقني بالمطبعة العربية. غرداية.

وختاماً أسأل الله الكريم أن يؤلف بين أفراد هذه الجماعة، ويكمل مساعيها بالنجاح ويجعلها سبب علو كلمة الحق في هذه الربوع، وأن يُجزل لها الثواب فيما تقوم به من مسؤولية نيابة عنا وعنكم، ولكل من كان في نصرتها ولو بكلمة طيبة، ورحم الله من قال فغنم، أو سكت فسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإمضاء: بوعروة بابا بن إبراهيم.

كلمة في أول اجتماع حلقة العزابة بعد تأسيسها

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إننا نتوجه إلى الله بالحمد والشكر على هذا اللقاء المبارك، راجين منه أن يكون مثمرا ميمونا على جنبات هذا الوادي الأمين، آمين يارب العالمين.

غرضنا والله على ما نقول وكيل، هو العمل بما فيه فائدة المجتمع ماديا وأديبا.

ولا يكون ذلك إلا بالإخلاص في العمل لوجه الله الكريم، والاستقامة في السلوك وابتغاء ما عند الله من الأجر والثواب.

وهذه الشروط متوفرة في هذا المحفل المبارك، إن شاء الله، وذلك بفضل الانسجام الموجود بين جميع أعضائه، والحمد لله.

ورجاؤنا في الله أن ينجح مساعينا، وأن يبلغنا أمانينا، وأن يمدنا بعونه وتوفيقه، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، متمثلين في ذلك بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (1).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. (2).

اختتام مهرجان الإصلاح (1)

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

أيها الحفل الكريم، الذي ازدان به هذا المهرجان الثقافي السادس لنا دي الإصلاح.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إنه لما يشرف جمعية الإصلاح أن تحتضن أمثال هذه التظاهرات الاجتماعية في كل مناسبة.

تَجَمَّع بالأمس القريب في هذا المحل المبارك مقر جمعية الإصلاح أعراس أبنائنا البررة، فكان لقاء سعيدا، حيث التفت فيه القلوب مع القلوب، وتمكنت عرى التقارب والتحابب بين طبقات الشعب، وقد امتد فرع هذا المهرجان إلى دار العلم حيث أقيمت ندوة حول "اليقظة الإسلامية" وتلأل نوره فأضاء به رحاب مسجدنا الجديد، حيث ألقى فيه أستاذنا الجليل الشيخ ناصر بن محمد المرموري محاضرة قيمة تحت عنوان "تأليف الإباضية" فامتألت رحاب هذا المسجد المبارك -الذي أسس على تقوى من الله ورضوان- بجميع المصلين. وبعد إلقاء درسه السديد طلب أستاذنا الجليل من الحاضرين أن يفكروا جديا في توسيع هذا المسجد المبارك الميمون إن شاء الله، حتى يستوعب جميع القاصدين إليه من كل حذب وصوب.

أما بعد.

فإننا اليوم في آخر ليلة من ليالي هذا المهرجان الكبير، ولذلك

(1) - سورة هود، آية 88.

(2) - أُلقيت هذه الكلمة الموجزة بمناسبة الاجتماع المنعقد بمحل سكني الأخ فخار حمو بن عمر بن الحاج إسماعيل، وذلك ليلة الخميس 20 ربيع الثاني الموافق لليوم الثاني فيفري سنة 1403هـ/1983م. وبه بابا بن إبراهيم بن عمر بوعروة. رئيس جمعية الإصلاح بغرداية.

(1) - أُلقيت هذه الكلمة بمناسبة اختتام مهرجان الإصلاح ببوشحمان بواحة غرداية، وذلك يوم الجمعة ليلا: 11 شوال 1403هـ، الموافق ليوم 1983/7/22م.

كان لزاما علينا كمسؤولين عن مستقبل أمتنا أن نسدي النصح لشبابنا الذين هم عمدة المستقبل، قائلين لهم: إننا قد قمنا بواجبنا قدر المستطاع رغم الظروف القاسية والإمكانات المحدودة المتاحة لنا، أما أنتم فقد هيأ لكم حاضركم جميع الأسباب المادية والأدبية، حيث يسر لكم كل صعب، وقرب إليكم كل بعيد، وفتح أمامكم كل أبواب المكاتب الخاصة والعامة، وهيأت لكم الطباعة الحديثة كل نفيس ورخيص من أنواع المطبوعات القديمة منها والحديثة، ومنح لكم من الوقت ما يكفي للمطالعة والتسجيل والتصنيف والتأليف.

وبذلك يكون جديرا بنا اتباع خطى أسلافنا، رحمهم الله، الذين كانوا روادا في جميع ميادين المعرفة، أمثال الإمام جابر بن زيد رحمه الله في تدوين الحديث والإمام الخليل في تأسيس العروض في الشعر، وتأليف أول معجم عربي، سَمَاء "العين" وكمثل الإمام عبد الرحمن بن رستم في تأسيس أول دولة جزائرية مسلمة مستقلة.

وخير ما نتمناه أن يتصدى شبابنا الصالح لتأليف ما يسمّى بكتب الجيب، بحثا عن أوائلنا أمثال أبي عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي، مؤسس حلقة العزابة، وجامع شتات أسلافنا حول وادي ميزاب، والشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، صاحب التأليف القيمة، وأضرابه من الأوائل، وأمثال الشيخ عبد العزيز الثميني والشيخ الحاج محمد بن يوسف اطفيش في الأواخر، رحمهم الله جميعا.

وإننا والحمد لله قد بدأنا نقطف ثمار مجهودات المجدين منكم، فسيروا على منوالهم واستخرجوا لنا من كتب أسلافنا رحمهم الله كنوزهم الدفينة، ودررهم الثمينة، حيث يستفيد منها القاصي والداني من أمة هذا العالم المتعطش إلى نشر تراثنا الدفين، وكنزنا الثمين.

كما نتمنى أن تقوم طائفة من شبابنا بترجمة كتبنا الحديثة منها

والقديمة إلى جميع اللغات الحية.

وختاما نرجو من المولى تبارك وتعالى أن يسدد خطانا وأن يرشدنا لما فيه الخير والصلاح وأن يبارك في أعمارنا حتى نصل إلى تحقيق أمانينا حاضرا ومستقبلا، وحتى نحضر إن شاء الله إقامة المهرجان السابع على أحسن ما يرام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

استقبال وفد أطباء الأطفال بدار العلم بواحة غرداية (1).

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

نص الخطاب:

سيداتى سادتي، اسمحوا لي سيداتي سادتي أن أحاطبكم باسم جمعية التعليم والتجديد، جمعية الإصلاح التي تستقبلكم اليوم في إحدى محالها المتواضعة، وتحديدًا في قاعة المحاضرات من دار العلم التابعة لمدرستها في الواحة.

اسمحوا لي سيداتي سادتي في الترحيب بمقدمكم إلى غرداية باسم مديرها السيد الحاج هو فخار وباسم جميع أعضاء مكتبها الحاضرين هنا وجميع مشتركها.

نرجو أن يكون مقامكم بيننا ممتعا للغاية وأن تحتفظوا منه بآمتع الذكريات. بمناسبة زيارتكم لهذه المنطقة الممتازة بكامل محيطها، مع الطبيعة الجرداء القاحلة، ورغم ذلك فهي معجزة سياحية باستحقاق لجزائرها الحبيبة.

سيداتى سادتي، لم يكن مقدمكم الخاطف لبلدنا في الحقيقة مختصرا إلا بسبب تعلقكم وإخلاصكم المتواصل لتخفيف آلام البشرية، ولنا أمل وطيد في رجوعكم إلينا في أيام مناسبة مصحوبين بعائلاتكم

(1) - استقبل الوفد بخطاب بالفرنسية الأستاذ حواش عبد الرحمن وعربه الأستاذ بوعروة بابا تامر، واللقاء كان يوم الخميس 19 ذي الحجة، عام 1400 هجرية الموافق لـ 27 نوفمبر 1980م. حيث تناول الوفد طعام الغداء بدار العلم تحت رئاسة الدكتور محمد أبو العلا، وبعشاركة فرقة البلابل الرسمية، التي شنت أسماع الحاضرين بألحانها الشجية، ونكتها المسلية، فكان هذا الاستقبال رائعا حقًا.

وأصفيائكم المقربين للمكوث هنا في وقت أوسع، ليكون لكم لقاء معنا يسوده الود والصفاء، ولتتعرفوا جيدا بالبلاد والعباد.

وإني أنتهز هذه الفرصة المواتية، وألفت حسن انتباهكم لأقدم لكم شرحا مختصرا للتعريف بهذه الجمعية التي تتشرف باستقبالكم اليوم.

كما أني أعدد لكم بعض مزاياها التي لا زال يمتد شعاعها ونشاطها منذ ما يزيد عن نصف قرن.

كانت نشأة هذه الجمعية منذ سنة 1928 تحت إشراف وبمشاركة الشيخ إبراهيم بيوض، المحترم. الذي تتاح لكم فرصة التعرف به إذا سمحت بذلك حالته الصحية.

وبإدارة المرحوم والمأسوف عليه الشيخ صالح بابكر بإخلاصه المنقطع النظير.

كان من جملة الوظائف التي قامت به جمعية الإصلاح بصفة مختصرة ما يأتي:

1. تلقين الأمة ثقافة دينية تخولها مخافة الله في السر والعلانية.

2. تمكين علاقة القلب ليكون تابعا لقيادة الفكر.

3. وتمكين إضعاف قوة المادة في النفوس.

4. السير في الطريق المستقيم.

5. التطعيم ضد الإلحاد الذي تتلاطم أمواجه في عالم اليوم.

6. المحافظة التامة على طهارة منابع الديانة الإسلامية، واجتثاث كل ما التصق بها من عناصر أجنبية عنها يجهلون مصادرها، والإشادة بمزاياها مع المحافظة التامة على كل العوائد وخصائصها المستوحاة من روح الإسلام ومصلحة الشعب، وكذلك نظام العائلات والعشائر والمساجد، إلخ. حيث كانت تلك المؤسسات وذلك النظام لهما فضل عظيم في

المحافظة على مميزات ووجود الشخصية الميزابية منذ عشرة قرون.

7. تعميم التعليم الابتدائي بالعربية الفصحى، مع إتمام ذلك بتربية الأبناء وتكوين طبائعهم وتلقينهم ثقافة مطابقة للدين الإسلامي، وذلك في المدارس والمعاهد الموجودة حالياً.

ويرجع الفضل في ذلك إلى المجهودات الجبارة من بذل المال الذي يزودهم به المشتركون، حيث أن اللغة العربية هي لغة القرآن والسنة، وجميع العلوم والآداب، كما أن جهل تلك اللغة ينجر عنه بصفة محققة فهم خاطئ لنصوص القرآن والسنة.

كما أننا ملتقون حول حكومتنا في مهمتها التمديدية ومشاركتها في استتباب الأمن وحفظه، والهدوء والاستقرار في كامل أنحاء الوطن، وكذلك في تثقيف الشعب وتعليمه وتشجيعه على القيام بالأعمال النافعة المفيدة، مع تبني الوسائل التمديدية وإتقان التقنية الحديثة، وتطبيق المناهج الجديدة في الزراعة والحرف اليدوية، والتجارة والصناعة والتكوين الفكري.

كما أننا لا نعتبر المحافظة على الأساليب القديمة هي من الدين حسبما يزعم بعض الجهال.

وأخيراً فإن الهدف الذي تصبو إليه جمعيتنا هو توجيه الشعب الميزابي نحو حياة مطمئنة، سعيدة، ممتعة، سواء داخل وطننا أو في الغربية، وتمكينها من الهدوء في الحال والمآل، مع الأخذ بعين الاعتبار مقومات دينه وطبيعته وعوائده والخصائص التي يمتاز بها.

أتمنى أني قدمت إليكم بهذا الموجز نظرة عامة حول الأدوار الرئيسية لهذه الجمعية.

وقبل فراقكم أتمنى لكم سيداتي سادتي باسم تلك الجمعية شهية طيبة، كما أجدد لكم باسمها أحر شكريهما إلى جراحنا العزيز الحكيم

محمد أبو العلا، الذي شرفنا بزيارته مع زملائه ونرجو منهم المَعذرة إن ظهر منا أي تقصير في مقام ضيوفنا، حيث قدمنا كُسُكُسا متواضعا حسب تقاليدنا الصرفة على بساط الأرض في الواحة، ولعلنا كنا قد سببنا لهم بذلك إرهاقا، عوضا عن التلذذ بالطعام. فمعذرة.

كما أتمنى أن تكون هيئة البلابل الرستمية المشاركة لنا في الحفاوة بكم قد أطربتكم بأنغامها العذبة معوضة بذلك عما قد يكون ناقصا من الضيافة، كما نتمنى أن تنال إعجابكم.

وإني لا أنسى تقديم تشكراتنا باسم جمعيتنا إلى السيد داود الشريط رئيس نقابة السياحة هنا، والسيد يحيى بابكر نائب رئيس تلك المؤسسة، وجميع أعضائها نظرا لإخلاصهم وروح نظامهم.

وختاماً أقول لكم إلى الملتقى جميعاً. وأشكركم على حسن انتباهكم.

رسالة من قسنطينة إلى حموفخار

قسنطينة في 11 مارس 1947

الأخ الكريم والصدیق الحمیم حمو بن عمر فخار، حفظه الله، تحية وسلاما من أخيك بابا بن إبراهيم.

أيها الأخ طالما تمنيت تلقي جواب من عندك، وطالما أزمعت على مكاتبتك فلم يكن هذا ولا ذاك، إلا عندما توصلت إلى أخذ نسخة من الشيخ الطرابلسي عن مسألة قد سئل فيها الشيخ بيوض حفظه الله، من طرف الحاج يونس السكيكدي، ولم يصله جواب عنها إلى يومنا هذا.

لهذا رأيت من الأفيد أن أحيطك علما بتلك الفتوى، وأرجوك أن تطلب إما من الشيخ بيوض حفظه الله، وإما من الشيخ أبي يقظان أن يتحفنا بفتوى تبين وجوهنا، وليعلم المترددون من أين توكل الكتف.

المدرسة تسير على أحسن ما يرام، والأستاذ الأخضر جاد في تعليم الأبناء روحياً ورياضياً، وقد أعلمني بجواب أرسلته له، ولما طلب قراءته وجده قد ضاع له، فتأسفت لذلك أشد الأسف.

أما عن أخيك إسماعيل فهو إمامنا في دار ابن دالي، صباحاً فقط، وكاتب الأسطر يلقي بعض الكليمات في شتى المواضيع، وقد بدأت بالطهارات، وإنني وصلت إلى الصلاة.

أرى الورق أخذه إلى نهايتها، لهذا فإنني أكون مسروراً جداً إذا فكرتني ولو ببعض الأسطر. ولا تنس الفتوى.

والسلام على الأخ عمر بن صالح، وعلوض بكير، هذا بعد التحية والسلام على السادة المشايخ: الشيخ بيوض، والشيخ أبي يقظان، والشيخ عدون طبعاً، وبقية الأساتذة، وأعضاء البعثة الداوية. والسلام عليك من سيوسيو، عوشت، قارة، كوكو، سوفغ، والسلام.

رسالة أخرى من قسطنطينة إلى حموفخار

بوعروة إبراهيم وسوفعالم إبراهيم

هـج لا كونكوردي، رقم 5 قسطنطينة.

قسطنطينة يوم 10 أوت 1947

الأخ الكريم والصدیق الحمیم حمو بن عمر فخار، حفظه الله، تحية وسلاما من أخيك بابا بن إبراهيم بوعروة،

أيها الأخ، بلغني خبر وفاة ابنك فاروق الذي كنا نرجو أن يكون عمدة المستقبل، لكن قضاء الله نافذ، ويجب علينا أن نتقبل قضاءه بالرضا.

ألهمك الله صبرا جميلا، وأجرا جزيلا، ولا أراك مكروها، ورجائي منك أن تنوب عني في تعزية كامل أفراد الأسرة ابتداء من الجد السيد أحمد بن موسى.

قبلت الجواب الذي أرسلت لي بواسطة الأخ عوشت محمد بعد رجوعي من فرنسا أي بعد مضي شهر وعشرة أيام، وكنت نويت إجابتك وتكلمت في الشأن إلى الأخ الأخضر، غير أنه طرأ عليّ هذا الشهر المبارك، وفترت همّي عن الكتابة وقضيت الوقت كله أو جله في المطالعة لأن سوق التجارة كاسد، ولله الأمر.

زلزلت الأرض زلزالها يوم الإربعاء الفارط السادس أوت، وهلع الخلق وقال الإنسان ماله.

وذلك على الساعة التاسعة صباحا، وبعده رجّت الأرض على

العاشرة والنصف من نفس اليوم فضج الناس وخرجوا إلى البراري والقفار، وتصدعت بعض الأسوار وانهارت بعض الديار،

ويوم الخميس وقعت رجة هائلة على الساعة الثانية عشر والرّبع بعد الزوال، ففرغ الناس وهام الخائفون على وجوههم مع اشتداد الحر وحمارة القيظ.

أما معاشرنا فلم نُصب بأذى، ولم يخرج أحد منا من قسطنطينة إلا أرباب العائلات، ولا زالت الأرض تدمدم وتزجر بين آونة وأخرى، جعل الله عاقبة ذلك خيرا.

سمعت بأن الأخ الأخضر قد أطلق سراح حليلته، ولم أدر ما السبب، وكذا تقبلت مع الأخ محمد بن عمر مطالبه، وسنمعن النظر فيها، إما في هاته الأيام أو بعد رمضان.

بلغ له تحيتي العاطرة، ولا تنس الإخوان عمر بن صالح، رمضان إبراهيم، دادي وعمر الحاج إبراهيم، الشيخ نوح، بانوح طبّاخ، وجميع الأصدقاء سواء من ذكرت أو من لم أذكر اسمه.

والسلام عليك من سيوسيو عمر، كوكو بكير، أما عن عوشت محمد، فلا زال بفرنسا يمثل فيها كشافة قسطنطينة ضمن جمعيات كشافة العالم.

كما يسلم عليك الإخوان فخار محمد، إسماعيل، عبد الوهاب، قاسم، وما عطف عليه، والسلام.

رسالة من حموفخار

12 سبتمبر 1979

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما

فضيلة أساتذتنا الأجلاء وآبائنا الروحانيين الأوفياء، الشيخ نوح بن
أحمد مصباح، والشيخ بوعروة بابا بن إبراهيم، والشيخ ملال عمر بن
سليمان، صانهم الله وأبقاهم لنا رمز التضحية والفداء، والقُدوة الحسنة،
وثبتنا وإياهم على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته، من أبنائكم من حمام بوحنيقية، جماعة
المعلمين وإخوانكم في الإدارة.

يسرنا أن نكتبكم بعد غياب أسبوع واحد معبرين لكم عن
أشواقنا نحوكم وتقديرنا لجهودكم، ومطمئنين على حالنا، فقد استقر بنا
المقام بعد تطواف وبحث في كل من حمام ربي بسعيدة، وبوحجار
بوهران، في بوحنيقية، حيث عثرنا بطريق الصدفة ولحسن الحظ على
دار فسيحة جميلة تامة المرافق ذات ثلاث غرف كبيرة، ومطبخ وفناء
واسع ذي كرامة تذكرنا بكرمة ابن هاني لشوقي بالقاهرة.

كل من دخلها عجب كيف تحصلنا عليها، فمن كان صديقاً قدّم
التهاني، ومن كان شائناً فحسبه ما يلقي الشاني، أما نحن فكم نتمنى أن
يكتمل بكم عقدنا، ويزدان ربعنا، وتنداح دائرة أنسنا، ولقد آنس
وحشتنا تـربّ من أترابكم، فسعدنا به في ندواتنا، وذلك هو الشيخ
إبراهيم حجّاج، وقد لحق به آخر في سننا فأضاف إلى الهالة حسنا
وبهجة هو الأخ حواش عبد الرحمن، أما الأخ سكوتي عمر فزيارته إلينا
معدودة، فحلقتة دائما مفقودة.

ولا تسأل عن اعتدال الجو وانتظام الندوات كل عشية مع ترشف
كووس الشاي مترعة هنيئة، يتخللها لوز مقشر لا يستعصي على
الضروس، وتشتاق إليه النفوس، أما الاستحمام ففرض لازم كل يوم
تطلع فيه الشمس، صدقة على سَلامانا، وتَرَحُّماً على موتانا، وإعدادا
لنفع الصالحين من أحيانا.

أما مواضيع الندوات فمختلفة، وهي غالبا مستقاة مما نتناوله من
رسائل وتقارير صحبناها معنا، لا لنزجي بها الوقت، ولكن لتتفرغ
لفهمها وتدقيق مراميها.

ولقد سردنا حتى الآن رسالة الشيخ بيوض للشيخ بنوح عام
1936 في موضوع استيلاء الإصلاح على المساجد وعاقبته، ووجوب
العمل له، والوصول إليه بكل الوسائل، لأنه القاعدة في كل إصلاح
يرومه المصلحون، ودون ذلك فكل مسعى من خيال الشعراء، والشعراء
يتبعهم الغاوون.

أما عشية أمس وأول أمس فسرردنا بما تقريراً عنوانه "لمحة تاريخية
عن الإباضية" قدمه الشيخ علي معمر في خمس صفحات ونيف لموسوعة
الكويت لنشره، وكان حافلاً بالمعلومات التي كان على كل إباضي أن
يعيها.

أما عشية اليوم فالاستماع لقصيدة الأخ أوبكة في مهرجان أبي
اليقظان، وهذا كل أمسية حافلة بالأدب، وكل صباح حافل
بالاستحمام، فالصباح للجسد والمساء للروح، والليل في اللوح، وما بين
ذلك إحماض بين زكري وبنوح...

وإذا تفضلتم بالسؤال عن والد الجميع السيد ناصر علي فهو
والحمد لله في تحسن ظاهر مستمر من حيث هبوط درجة الضغط، ومن
حيث خفة الأرجل في المشي، ومن حيث زوال الصداع، وذلك بفضل

اتباع إرشادات الطبيب، أتم الله لنا وله الراحة والشفاء.

وإلى أن نعود إليكم سالمين غانمين، نتمنى لكم ولكافة إخواننا أعضاء الإدارة المحترمين، وللأخ خياط أحمد كل سعادة وهناء، ونصراً على الأعداء، ودمتم بخير لإخوانكم والكاتب عنهم أخيك، فخار حمو ابن عمر.

رسالة إلى فخار حمو من فرنسا

(كتبت على ظهر صورة تذكارية)

مدينة كان، يوم الاثنين 16 ماي سنة 1983.

إلى الأخ الكريم الأستاذ فخار حمو بن عمر حفظه الله، تحية وسلاما من بوعروة بابا بن إبراهيم، أما بعد.

فإني وصلت مدينة كان عشية السبت 1983/5/7 وبعد الفحص الطبي للعيون أشار عليّ الطبيب بإجراء عملية جراحية وإني أنتظر ذلك قريبا إن شاء الله.

السلام العاطر على جميع أعضاء جمعية الإصلاح، الشيخ بانوح، عوشت، بافولولو، خالي عبد الله، الأخ ملال عمر، الأخ الشيخ صالح عمر، وجميع الأعضاء والأساتذة، وجميع أفراد العزابة فردا فردا، من أخيك.

وهذا هو عنواني بالفرنسية، حيث نزلت بدار الابن بوشن عبد الحميد بن بابا ثامر، في مدينة كان.

وبلغ سلامي العاطر إلى أخيك فخار محمد بن عمر، وأخيه إسماعيل، وابنك عبد الوهاب، وجميع الإخوان، خياط أحمد، وأبيه السيد خياط الحاج داود.

رسالة إلى الشيخ عبد الرحمن بكلي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي، نائب رئيس مجلس عمي سعيد، حفظه الله ورعاه. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من إخوانكم أعضاء إدارة جمعية الإصلاح بغرداية، الداعين لكم بالعون والتوفيق.

أما بعد، فبعد أن أطلعنا سماحتكم على وضعنا الاجتماعي المستدهور، وبما أنكم على علم بمواقفنا مع ذلك الذي يستحوذ على السلطة الدينية ويستأثر بمركزها، من غير أن يضطلع بأعمالها حسبما يقتضيه الواجب، بله القيام بمهام حيوية تستدعي للقيام بها حالة العصر المتطور.

وبما أنكم على علم بما بُدِلَتْ معه من مساح لإصلاح الأوضاع من مختلف الأشخاص والفئات وطبقات الأمة، والكل يرجو منه أن يتعقل وينصف فيفسح المجال لينضم إلى الحلقة من يرجي أن يكون سببا لتحقيق رغبات الأمة التي تتطلع إلى الخير والوصول بها إلى مطامح المخلصين.

وبما أنه لا يخفى عليكم أن كل المحاولات باءت بالفشل، لا لضعف المحاول، لكن لصلف الرجل وعناده واستغلاله لضبط أنفاسنا وتعقلنا، وطيبة نفوسنا، وتحاشينا لكل ما يسبب اضطرابا وفوضى يوديان إلى ما لا تحمد عقباه.

لكن الأحداث في كل هذه الأثناء غير متلبثة ولا منتظرة، ومصالح الأمة ضائعة، والآراء في الأوساط تزداد تضاربا، والأفكار تباعدا، وبدأ الشباب يتنكر لماضيهم، والأجيال تصعد ولا تعي من أمر وطنها ومجتمعها

شيئا، والفضيلة تنقلص من يوم ليوم.

لأجل كل ذلك، وبعد التفكير وإمعان النظر واستشارة أهل الرأي والحكمة، اتفق مجلسنا بالإجماع على تكوين هيئة دينية تسعى لتدارك الأمور، ومبادرة ما عسى يطرأ مما لا قبل لنا برده، فكونا بعون الله، ونرجو أن نكون موفقين - من خيرة أبناء الأمة الصالحاء المخلصين الذين يتمتعون بثقافة دينية وحصانة خلقية وسمعة طيبة.

وهذه الهيئة سوف تسهر بحول الله على مصالح المجتمع، ومعالجة مشاكل الشباب، ومحاربة الآفات الاجتماعية، ثم تشرف على تسيير حفلات الأعراس وتتولى تجهيز الأموات، وتعميم الوعظ والإرشاد، وتسعى جاهدة لجمع الشمل ولم الشتات، لعل الله الكريم يمنح على يدها الأمة ما تصبو إليه من تقدم وازدهار.

ولم نأل بهذا الإجراء لشعبنا نصحا، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» (1).

ويشرفنا أن نعلمكم أننا قد أعلنّا بها في اجتماع عام بمصلى المدرسة ضمّ معظم طبقات الجماهير الراغبة في الخير، من شيوخ وكهول وشباب، وذلك مساء يوم الخميس 20 ربيع الثاني 1403 هجري، الموافق ليوم 3 فيفري 1983م.

ولقد تلقاها الجمهور الغفير بالقبول، واستبشروا خيرا، وانبعثت الآمال في النفوس التي كاد أن يقضي عليها اليأس، فتنفست الصعداء، وشكرت الله كثيرا، ولهجت الألسن بالدعوات الصالحة للهيئة الوليدة المباركة.

(1) - سورة هود، آية 88.

وأخيرا نتقدم إلى سماحتكم برجاءات ثلاث:

أولها: أن ترفعوا أكفكم الطاهرة إلى المولى عز وجل أن يعين هذه الهيئة الفتية على أداء الأمانة التي نيّطت بها، وعلى القيام بمهامها، وبأن يهيئ لها من أمرها رشدا.

ثانيها: أن تفضلوا فتعبروها عضوا رسميا في مجلس عمي سعيد الموقر، وأن تبذلوا كل ما في وسعكم لتحقيق ذلك في أقرب وقت ممكن.

ثالثها: أن تواصلوا مشكورين ما بدأتم من بذل جهود لا تنكر في السعي إلى التوفيق بين الإخوة الأشقاء، وإعادة المياه إلى مجراها. عسى الله أن يحقق على يديكم فتحا يضاف إلى أعمالكم الجليلة، فيكون لكم ذكرا عطرا في الأولين والآخرين. ويكون ذخرا وبراً تجدون جزاءه يوم الدين.

وفي هذا الصدد نلفت أنظاركم إلى أن هذه الهيئة الجديدة المباركة قد بدأت تزاوّل نشاطها بصفة جزئية ومؤقتة، في مصلى المدرسة ريثما يمن الله بحل يلتئم به الشمل وتتحد به الجهود.

وسنوافيكم قريبا بقائمة أعضاء الهيئة بعد ترتيبهم طبقا لسير العزابة.

غرداية في 27 ربيع الثاني 1403هـ الموافق لـ 10 فيفري 1983م

وجهت نسخ من الرسالة إلى:

10- فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف بن بكير حمو واعلي، نائب رئيس مجلس عمي سعيد (شفاه الله من مرضه)

11- فضيلة الشيخ عز الدين عباسي، مفتش الشؤون الدينية

لولايات الجنوب.

12- فضيلة الشيخ أبو القاسم عبد الحميد، ناظر المؤسسات الدينية والأوقاف الإباضية.

الإمضاء: بابا بن إبراهيم بوعروة. رئيس الجمعية(1).

(1) - أسلوب الرسالة للشيخ حمو فخار، ولكنها بإمضاء رئيس جمعية الإصلاح الشيخ

بوعروة. (باحو)

سؤال وجواب عن وضعية المرأة الميزابية

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد.

غرداية يوم 12 أوت 1985

فضيلة الأستاذ المحترم الشيخ بابا بن إبراهيم بوعروة حفظه الله ورعاه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، من الداعي لكم بالسعادة والهناء، أوبكة أحمد بن عمر، أما بعد.

فللتحضير للملتقى الوطني الذي سينظمه المركز الوطني للدراسات التاريخية، التابع لوزارة الثقافة والسياحة، الذي سيعقد بغرداية من الخامس أكتوبر المقبل إلى التاسع منه، فإن بعضا من المثقفين من إخواننا العاملين بالجزائر العاصمة، طلبوا مني أن أعد محاضرة في موضوع "المرأة الميزابية".

ولقلة بضاعتي في الموضوع فلاني ألتجئ إلى الله أولا لأن يعينني، وألتجئ بعده إليكم لأن تمدوني بتوجيهات وإرشادات ومعلومات أتمكن بها من إتمام هذه المهمة، أو لأسد بعض الفراغ، وبأوفق عبارة، لألقي دلوي مع الدلاء، فإليكم بيان ما أطلبه منكم:

أولا: هل اتفاقات وادي ميزاب تناولت أحكاما وإجراءات تتعلق بالمرأة الميزابية؟

ثانيا: الشروط التي تشترطها المرأة على زوجها في عقد النكاح، إلى أين يرجع عهد ابتدائها؟

ثالثا: هل كانت هذه الشروط إجراء فرديا؟ أي سنّها شيخ بمفرده من شيوخ ميزاب وتبعه فيها غيره؟ ومن هذا الشيخ؟ أكان صادرا من هيئة؟ فمن هي هذه الهيئة؟

رابعا: هل لديكم مصادر أخرى تتناول موضوع المرأة الميزابية غير اتفاقات وادي ميزاب؟ فإن كانت، أرجو منكم إعارتها إياي لأستقي منها. وسواء كانت عربية أم فرنسية.

خامسا: إن كان في عملكم شيء مما لم أسألكم عنه فأمدوني به كذلك.

وأرجو منكم الإجابة وتلبية مطلبي.

حفظكم الله ورعاكم وشكر سعيكم وأبقاكم ذخرا للأمة وللوطن، دمت في رعاية الله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

وبه أوبكة أحمد بن عمر.

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

إلى الأخ الكريم، والصديق الحميم، الأستاذ الشيخ أحمد بن عمر أوبكة، حفظه الله وأمده بعونه، تحية وسلاما من الكاتب بابا بن إبراهيم بوعروة.

أما بعد.

بناء على كتابك المؤرخ يوم 1985/8/12 فهاك ما عندي من البضاعة، في ذلك الموضوع، وإن كانت ضئيلة، وما لا يدرك كله لا يترك جله.

أما من اتفاقات وادي ميزاب، فإنها تناولت أحكاما وإجراءات تتعلق بالمرأة الميزابية. أما إلى أين يرجع عهد ابتداء الشروط التي

تشرطها المرأة على زوجها في عقد النكاح فإني لم أجد في المصادر التي طالعته تاريخاً محدداً لذلك، ويبدو لي والله أعلم بأن الدولة الرستمية الجزائرية عندما أسندت إلى أئمة المساجد تسجيل عقود النكاح وتلاوة الفاتحة بعدها فمن الواضح أن تكتب شروطها على وثيرة واحدة، وبعد سقوطها بقيت تلك العقود سائرة على ذلك المنوال من طرف أئمة المساجد. وبعد تأسيس نظام العزابة من طرف الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر أسندت إلى أئمة المساجد تلك المهمة.

وعند دخول الاستعمار إلى ميزاب وجدت حلقة العزابة في مساجدها هي التي تصدر الأحكام وتسجل العقود، ومنها عقد النكاح، وكان إذ ذاك شيخ مسجد غرداية الشيخ الحاج بابكر بن مسعود، فكان في آن واحد شيخاً وإماماً وقاضياً وموثقاً.

ولما أرادت السلطة الفرنسية فصل القضاء وتحرير العقود من المساجد لتقليص سلطتها، طلبت منه ترسيمه قاضياً، وبذلك يتخلى عن إمامة المسجد من جهة، وتستغل نفوذه من جهة أخرى، فرفض ذلك الوظيف وقام بمهمة التدريس والوعظ والإرشاد في المسجد إلى أن توفاه الله في سنة 1907.

أما عن ذلك الوظيف فقد شغله القاضي طالب إبراهيم داود بن بكير.

وبذلك انتقلت عقود النكاح وغيرها من المساجد إلى المحكمة الشرعية الإباضية، وبقيت بذلك صيغة عقود النكاح على حالها مثلما كانت في عهد الدولة الرستمية. والله أعلم وأحكم.

سؤال وجواب عن نظام تقسيم المياه بغرداية

السائل: الحاج موسى عيسى بن سليمان.

بتاريخ الإربعاء 28 ربيع الثاني 1401 هجرية، الموافق ليوم 4 مارس 1981 ميلادية.

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ابتداء توزيع مياه السيل بغرداية، يوم 17 جويلية 1273 ميلادية، عام 672 هجرية.

وذلك عندما كان الشيخ باحمد بوسحابة شيخاً بمسجد غرداية، والذي وقعت توليته في اليوم الثامن عشر رجب عام 653 هجرية الموافق ليوم الثالث والعشرين أوت من سنة 1255.

وهو الشيخ السابع بعد الشيخ باحمد خديم أمه.

كما وقع تحديد ذلك التقسيم في الخامس عشر نفاير سنة 1299 ميلادية، وفي عام 699 هجرية. وذلك في مشيخة الشيخ بالحاج داود، القادم من جبل نفوسة، في مستهل رمضان المعظم من عام 697 هجرية، المطابق ليوم 12 جويلية سنة 1298 ميلادية.

ووقع طوفان عظيم لوادي ميزاب يوم السابع عشر شعبان عام 703 هجرية الموافق ليوم عشرين ديسامبر سنة 1306 ميلادية.

وفي تلك السنة وقع تغيير أمناء السيل.

وفي عام 913 هجرية، المطابق لسنة 1507 ميلادية وقع الشروع في حفر الآبار في سد سالم بن عيسى.

وبعد وفاة الشيخ بوقدمه إبراهيم بن يوسف استخلفه في مشيخة المسجد الشيخ باباعيسى العلواني، وذلك عام 569 هجرية الموافق ليوم الثالث أبريل سنة 1173 ميلادية.

وتزوجت إحدى بناته الشيخ إبراهيم بن يوسف بابا والجمة، والأخرى الشيخ باباعيسى العلواني.

وفي أثناء مشيخة هذا الأخير انتقل إلى رحمة الله الشيخ آل خفيان يوم 14 رمضان المعظم عام 587 هجرية المطابق ليوم 25 نوفمبر سنة 1191 ميلادية.

وبعد وفاته بأربع سنين أعني في عام 591 الموافق ليوم 15 ديسمبر سنة 1194 ميلادية، انتقل إلى جوار ربه الشيخ بابا عيسى العلواني، وهو الشيخ الثالث لمسجد غرداية بعد مشيخة سابقه. الشيخ بابا السعد تلميذ الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر مؤسس حلقة العزابة، والشيخ بابا والجمة الذي شرع في غرس البساتين بغرداية، ولذلك يسمى بابا انتحماً، وهي لفظة بربرية تعريبها "أب الأجنة".

وبعد ذلك استخلفه الشيخ الرابع وهو الشيخ بابا ثامر، بعد وفاة الشيخ باباعيسى العلواني بخمس سنين، أعني عام 596 هجرية الموافق ليوم 22 أكتوبر سنة 1199 ميلادية. وكانت وفاته رحمه الله يوم 4 ربيع الثاني عام 608 هجرية الموافق ليوم 14 أكتوبر سنة 1211 ميلادية.

هذا ما وجدته مكتوباً على عهدة أصحابه. والله ولي الموفق للصواب. وإليه المرجع والمآب. والسلام.

رسالة إلى الوالي لتعديل قانون الجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإصلاح

جمعية. مدرسة، معهد، مكتبة، ناد

ترخيص رقم 409/28/73

سوق الدلالة. غرداية

إلى السيد المحترم، والي ولاية غرداية.

الموضوع: طلب الموافقة على تعديل القانون الأساسي للجمعية.

ودون تغيير في هيئتها المديرة والمسيرة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد.

- طبقاً للقانون رقم 15/87 مؤرخ في 15 ذي القعدة 1407 هـ الموافق لـ 21 يوليو 1987م، ويتعلق بالجمعيات، وخاصة المواد 18/17/29 منه.

- طبقاً للمرسوم 16/88 مؤرخ في 14 جمادى الثانية 1408 هـ الموافق لـ 2 فبراير 1988 يحدد ويضبط كليات تطبيق القانون رقم 87/15 المذكور أعلاه. وبسط الأحكام القانونية الأساسية المشتركة بينهما، سيما المادة 05 منه، والبند الثالث من المادة 15 من هذا المرسوم.

فإنه يشرفنا أن نتوجه إلى سيادتكم احتراماً رفقة هذه الرسالة:

1. بمحضر مداولات الجمعية العامة التي أقرت القانون الأساسي الجديد للجمعية، بعد تعديله وإبقاء الهيئة المسيرة والمديرة على حالها دون تغيير.

2. القائمة الاسمية لأعضاء الهيئة المديرة والمسيرة المصادق عليها من طرف الجمعية العامة.

مع الملاحظة أن جمعيتنا "الإصلاح" معتمدة بقرار من والي ولاية غرداية يحمل رقم 409 في 16/6/1973م.

وفي الأخير تقبلوا فائق التحية والاحترام.

الرئيس: إمضاء بوعروة بابا

الكاتب: إمضاء فخار هو

برقية تعزية في وفاة الرئيس بومدين

جمعية الإصلاح بغرداية، رسالة البرقية الآتية عشية الخميس على الساعة الثالثة وأربعين دقيقة بطريق الهاتف.

النص بالفرنسية، وهذا تعريبه.

المرسل له: الأخ رابح بيطاط، رئيس الجمهورية، الجزائر.

النص: يقدم لكم بتأثر وأسى مدير ومعلمو ومنظمة الإصلاح بغرداية تعازيهم الحارة بفقدان المأسوف عليه الرئيس هواري بومدين.

نتمنى لكم نجاحا في مهمتكم الشريفة بمساعدة وعون من الله.

الإمضاء: رئيس الإصلاح.

ب. بوعروة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلمة التي ديجها باللغة الفرنسية سعادة وزير الداخلية بمناسبة
زيارته إلى مكتبة الشيخ اطفيش ببني يزقن في اليوم السادس من شهر
أكتوبر سنة 1968

"لقد غمرتني مفاجأة سارة بكل ما تمكنت من مشاهدته أثناء
هاته الإقامة القصيرة بميزاب، هذه المنطقة النائية الحبيبة حيث يتنافس
جمال الموقع والاستقبال الحار من طرف السكان، وحيث توجد نخبة
تبذل وسعها بدون حساب لرفاهية الجميع".

[ترجمة بو عروة إبراهيم]

فلمئسن

3	مقدمة
7	تمهيد

الشيخ بو عروة في أطوار حياته

13	مسيرة الشيخ بو عروة في أطوار حياته
16	هذا عرض موجز لنشاط الفقير إلى ربه بابا بن إبراهيم بن عمر بن الحاج بو عروة
16	مراحل النشأة الأولى:
18	مرحلة التعليم بتونس:
20	العودة إلى أرض الوطن:
21	ميلاد جمعية الإصلاح:
25	العمل في محكمة قسنطينة:
27	قضية مقبرة قسنطينة:
30	محنة الشيخ في محكمة قسنطينة:
32	الاستقرار في البلد الأم:
33	نشاط الشيخ في بلدية غرداية:
33	المساهمة في الثورة الجزائرية:
36	في إدارة البلدية من جديد:
39	الرحلة إلى البقاع المقدسة:
42	ملحق للعرض على بعض جوانب حياتي
42	مواقف مشهودة في تاريخ البعثة الميزابية بتونس:
44	الحصيلة العلمية من دراسته بتونس:
45	الأزمة تلد الهمة:
48	من مشاهد رحلته إلى أوروبا:
51	مواقف في مواجهة الاستبداد:
52	الشيخ بيوض والمجلس الجزائري:
54	والفضل ما شهدت به الأعداء:

103	الشيخ أمي موسى
105	الشيخ حرير بن موسى
105	صالح بن الشيخ حرير بن موسى
105	الشيخ بابا بن يونس
106	الشيخ بابا أ محمد
106	الشيخ صالح بن كاسي
107	الشيخ حمو بن باحمد بن صالح بابا وموسى
107	الشيخ الحاج محمد بن باحمد بن صالح بابا وموسى
109	مؤسس حلقة العزابة
109	نشأة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر
115	تاريخ الشيخ سليمان بن بنوح

الميزابيون والكفاح الوطني

118	سؤال وجواب عن تاريخ آل خفيان
123	مشاركة الميزابيين في الثورة
123	مقدمة
133	مسألة ضم ميزاب إلى عمالة الجزائر
136	مشاركة الشيخ بيوض في الثورة والنضال السياسي
171	تقرير عن مشاركة غرداية في ثورة التحرير الوطني
178	أولا- الشيخ صالح بن قاسم بن عيسى بابكر
179	ثانيا- الحاج إبراهيم بن الحاج بكير دادي وعمر
180	ثالثا- ناصر علي بن عمر
181	رابعا- بوعروة بابا بن إبراهيم
183	خامسا- قارة عمر الحاج علي بن بكير
184	سادسا- كركاشة عمر بن سليمان
185	سابعا- رابع حمو بن ميلود
185	ثامنا - الحاج حمو بن عمر
185	تاسعا- العجروود صالح بن سليمان

55	من إنجازات البلدية في عهد الشيخ
61	التلفزيون البلجيكي في استطلاع بغرداية
66	قصة شركة الحافلات البلدية
68	كلمة الشيخ حمو فحار في جنازة الشيخ بابا ثامر
	رسالة نموذجية حررها الشيخ حمو فحار عن أسرة الإصلاح جوابا لرسائل التعزية في وفاة
76	الشيخ بابا ثامر
78	نبذة عن حياة المرحوم الشيخ بابا بن إبراهيم بوعروة
80	نقاط ملحقه
82	تفكير مذكرات بوعروة بابا بن إبراهيم
83	محطات في كفاح رجال الإصلاح
86	سفر بوعروة بابا إلى البقاع المقدسة

أعلام ومعالم

89	موجز تاريخ غرداية
92	مشايخ المسجد العتيق بغرداية
93	مشايخ المسجد العتيق بغرداية
94	الشيخ بابا السعد
96	الشيخ إبراهيم بن يوسف بابا ولجمة
96	الشيخ بابا عيسى العلواني
97	الشيخ بابا ثامر
97	الشيخ باحمد خديم أمه
98	الشيخ باحمد بوسحابه
99	الشيخ بالحاج داود
100	الشيخ باحمد بن الناصر
100	الشيخ بابا صالح
100	عمي سعيد بن علي
102	الشيخ الحاج بلقاسم بن يحيى
102	صالح بن عمي سعيد

186	عاشرا- بابكر حمو بن باحمد
190	تقرير العطف
192	ملاحظات على تقرير المجاهدين
199	رسالة الشيخ بيوض للوالي العام
203	شهادة عن نضال الشيخ بيوض في الثورة
204	تعليق أرسلان على رسائل الشيخ بيوض
205	شكر من الشيخ بيوض
206	بشائر الاستقلال تظهر في الأفق

مناسبات وكلمات . . .

213	خطاب معهد الإصلاح
215	خطاب في تأسيس حلقة عزابة الإصلاح
218	كلمة في أول اجتماع لحلقة العزابة بعد تأسيسها
219	اختتام مهرجان الإصلاح
222	استقبال وفد أطباء الأطفال بدار العلم بواحة غرداية

من أرشيف المراسلات . .

229	رسالة من قسنطينة إلى حمو فخار
230	رسالة أخرى من قسنطينة إلى حمو فخار
232	رسالة من حمو فخار
235	رسالة إلى فخار حمو من فرنسا
236	رسالة إلى الشيخ عبد الرحمن بكلي
240	سؤال وجواب عن وضعية المرأة الميزابية
243	سؤال وجواب عن نظام تقسيم المياه بغرداية
245	رسالة إلى الوالي لتعديل قانون الجمعية
247	برقية تعزية في وفاة الرئيس بومدين

د. ح. م. ك. رقه / 9961/787/19/6 I.S.B.N

1424 / 2004